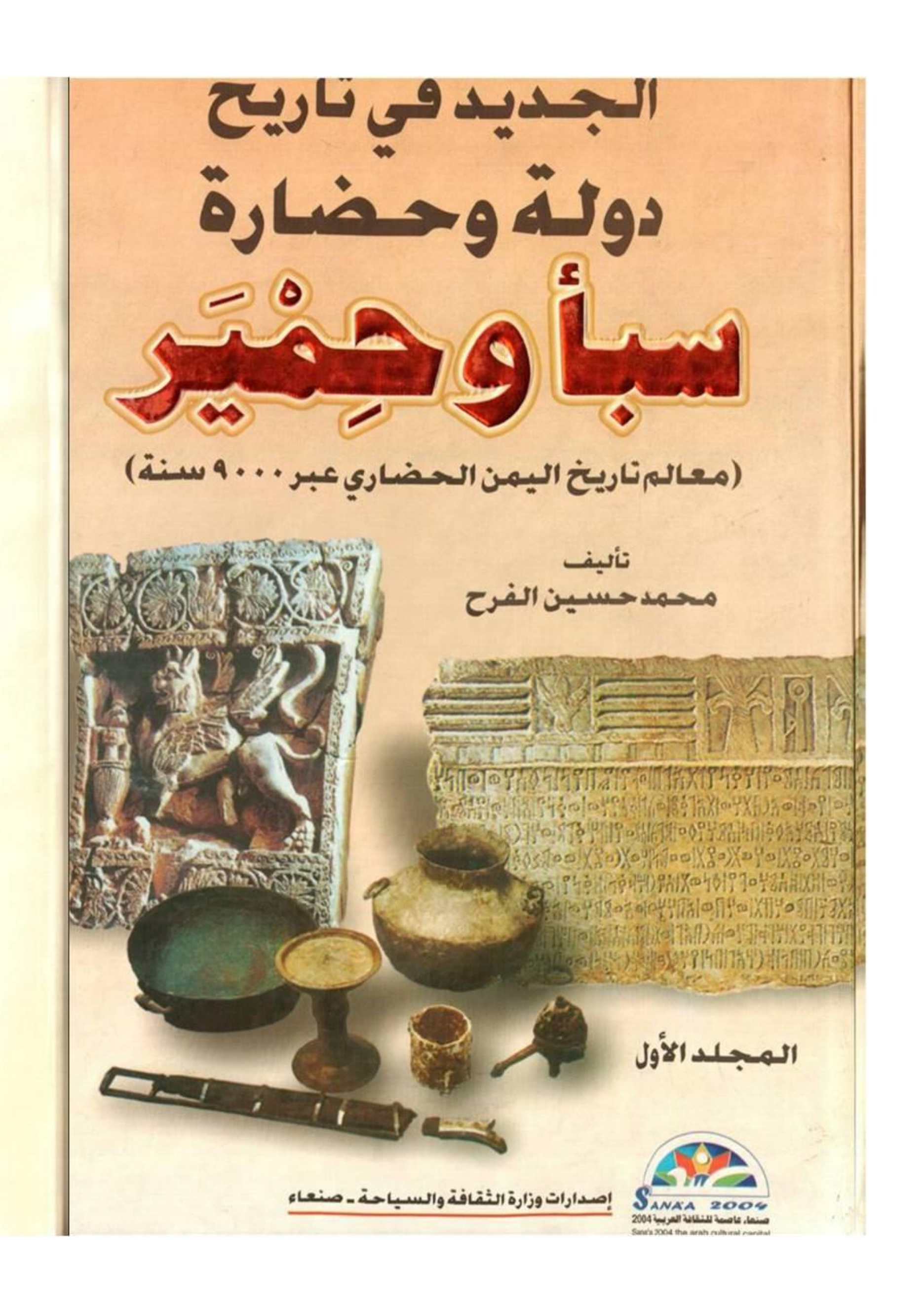


الجديد في تاريخ

دولة وحضارة سبأ وحِمْيَر

(معالم تاريخ اليمن الحضاري عبر ٩٠٠٠ سنة)

تأليف:

محمد حسين الفرح

المجلد الأول

SANA'A 2004

إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء



١٤٢٥هـ - 2004م

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٢٠٠٤/٣٥)

الناشر

الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة

صنعاء الحصبة - ص.ب. (36)-(237)

هاتف: 235114 - فاكس: 235113

بريد الكتروني: moc@y.net.ye

من بهاء صنعاء.. وتجليات عبقها.. في عام تتويجها عاصمةً للثقافة العربية.. يأتي هذا الاحتفاء بمجد الكلمة.. وجلال أنوارها.

في بدء الوعي الإنساني كانت الكلمة..

وعلى رأس فعاليات هذا العام الاستثنائي تأتي هذه الإصدارات.. حدثاً يتوج صنعاء فضاءً شاسعاً للثقافة والتاريخ والجمال والخصوصية.

خالد عبد الله الرويشان

وزير الثقافة والسياحة

مقدمة المؤلف

إن هذا الكتاب الذي سمّيته (الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير) هو أول كتاب يستند إلى البحث والربط بين نتائج التنقيبات الأثرية ومعطيات الآلاف من النقوش اليمنية القديمة والمئات من النصوص البابلية والأشورية والفرعونية والمصادر التاريخية العربية واليونانية والرومانية والأكسومية والآرامية في تقديم البناء اليقين عن «تاريخ اليمن الحضاري التليد عبر ٩٠٠٠ سنة».

فاستناداً إلى التنقيبات والمواقع الأثرية التي تم كشفها في العديد من أرجاء اليمن والتي تعود إلى عصور الباليولتيك الحجرية القديمة يتبين أن الحياة الإنسانية بدأت وتواصلت في اليمن منذ زمن بعي في الماضي يعود إلى منذ أكثر من مائة وعشرين ألف سنة مضت، وأن اليمن هو المركز الحيوي المسكون في غرب آسية والمنطقة كلها في عصر الباليولتيك الأعلى أو المتأخر «The Upper or Later palaottic» الذي يحدده العلماء بالزمن الممتد من (عام ٣٥٠٠٠ ق. م. - ٨٠٠ ق. م.) وقد استقصينا - لتبيين ذلك - نتائج وتقارير تنقيبات البعثة الألمانية - في جهران - والبعثة الأميركية - في مأرب والربع الخالي - والبعثة السوفيتية - في حضرموت ولحج - والبعثة الإيطالية - في خولان وذمار - ويتحقق بكل ذلك اليقين بانتشار الحياة الإنسانية في أرجاء واسعة من اليمن خلال ذلك الزمان، ويتبين من ربط ذلك بالمصادر التاريخية السماوية والعربية إن سكان اليمن آنذاك هم الأمة الأولى من قدماء العرب العاربة الساميين، وقد انتقلوا من حياة القنص والصيد والكهوف إلى الفلاحة والزراعة وتربية الماشية والقرى والتجمعات السكانية لازراعية منذ الألف العاشر قبل الميلاد - وبصفة أساسية منذ عام ٩٠٠٠ ق. م. - فبدأ بذلك تاريخ اليمن الحضاري التليد، وبما أن الزراعة هي عماد الحضارة القديمة، فالعرب اليمانيون القدماء هم مؤسسوا الحضارة الإنسانية في أقدم مراحلها، واليمن هو مهد الحضارة الأقدم في تاريخ الإنسانية. وقد أدلى البروفيسور أدمون بوخنر رئيس معهد الآثار الألماني في برلين بتصريح هام - سنة ١٩٨٦م - قال فيه: «إن اليمن من الأقطار الهامة للأبحاث الأثرية نظراً لوجود أقدم الحضارات فيها، وكان اعتقادنا في الماضي أن أقدم المراكز الحضارية في

العالم هي مصر وبلاد الرافدين، أما الآن فقد اتضح أن اليمن من أقدم المراكز الحضارية في العلم». اهـ.

لقد كانت الزراعة وتربية الماشية وظهور القرى والتجمعات السكانية هي معالم الحضارة الأقدم في اليمن منذ حوالى عام ٩٠٠٠ - ٥٠٠٠ ق. م. وقد استندنا إلى القرائن في المصادر التاريخية السماوية والعربية لتحديد هوية ذلك العصر سكانياً بأنه عصر حضارة عاد الأولى والزمن الذي تكونت وانتشرت فيه قبائل قحطان في أرجاء اليمن - جنوب الجزيرة العربية - وصولاً إلى توحيد قبائل ومناطق اليمن بزعامة يعرب ابن قحطان.

وليس من قبيل المصادفة أن الحضارة اليمنية انتقلت إلى طور جديد. منذ عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد - حيث بدأ العصر الذي سماه البروفيسور اليساندرو ميقريت رئيس البعثة الأثرية الإيطالية باسم «حضارة العصر النحاسي البرونزي في جنوب الجزيرة العربية» - من عام ٥٠٠٠ ق. م. - ٣٠٠٠ ق. م. - وتدل المواقع الأثرية التي تم اكتشافها لذلك العصر باليمن على تأسيس وظهور أوائل المدن ومنها مدينة موقع وادي يناعم في خولان بين صنعاء ومأرب - منذ مطلع الألف الخامس ق. م. - كما تم العثور على أدوات مصنوعة من النحاس والبرونز تدل على أن استخدام النحاس والبرونز والمعادن بدأ في اليمن قبل أي مكان آخر في العالم، منذ الألف الخامس ق. م.، كما تم تشييد أوائل السدود في التاريخ ومنها «سد وادي النجاد» وازدهرت الزراعة وتربية واستخدام الحيوانات، وظهر الإنتاج الجماعي لأدوات تحويل منتجات الحبوب، وتطورت صناعة الأواني الفخارية، وتم استخدامها قطع كبيرة من الحجر وتطورت صناعة الأواني الفخارية، وتم استخدام قطع كبيرة من الحجر في بناء المدن والمعابد، فكل تلك الأشياء تم اختراعها واستخدامها في الحضارة اليمنية قبل أي منطقة وحضارة أخرى. وقد ربطنا لك العصر الحضاري النحاسي البرونزي بقيام أول دولة في التاريخ وهي دولة اليمن اليعربية القحطانية بزعامة (يعرب يمن ابن قحطان) وباسمه سُمّي اليمن يمناً، وقد استمر ذلك العصر اليعربي القحطاني حتى قيام دولة سبأ الأقدم - عام ٣٥٠٠ ق. م - في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد.

إن من معالم (الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير) في هذا الكتاب تبيين التالي:

(أ) - إن دولة سبأ قامت عن توحيد اليمن بزعامة الملك (سبأ بن يشجب) عام ٣٥٠٠ ق. م. حيث قام ببناء مدينة (سبأ) كعاصمة للبلاد وباسمه وباسم

مدينة سبأ سُمّيت الدولة والبلاد باسم سبأ، وقام بتوجيه موجة من القبائل اليمنية السامية والقحطانية إلى بلاد الرافدين والشام ومصر، وبالبحث في دراسات تاريخ تلك البلاد يتبين أنه بالفعل ـ في عام ٣٥٠٠ ق. م. ـ وقعت هجرة الأكاديين والأشوريين وكنعان من جنوب الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين والشام، وهجرة قدماء المصريين الفراعنة من اليمن إلى مصر، وقد استقصينا البناء اليقين عن ذلك والنقوش السومرية والأكادية البابلية عن العلاقة مع دولة سبأ في الألف الثالث قبل الميلاد والنقوض المصرية الفرعونية عن العلاقات والروابط مع اليمن في ذلك العصر الأقدم والأول لدولة وحضارة سبأ، وربطنا ذلك بما ذكره علماء المؤرخين العرب اليمنيين الأوائل عن ملوك ذلك العصر وآثار العصر باليمن إلى أواخر الألف الثالث ق. م.

(ب) ـ في عام ٢١٢٠ ق م. دخلت دولة سبأ الأقدم عصرها الثاني بزعامة الملك سبأ عبد شمس بن وائل، وهو باني سد مأرب العظيم الأقدم، وقد أثبتت تنقيبات بعثة معهد الآثار الألماني ببرلين في موقع ومنشآت سد مأرب «وجود تقنية الريّ منذ الألف الثالث ق. م. وإن زمن أقدم منشآت سد مأرب يعود إلى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد» وذلك يؤكد أن بناء السد العظيم الأقدم بمأرب كان في عهد سبأ عبد شمس بن وائل، وقد استقصينا النقوض والدراسات البابلية والسومرية التي تؤكد مجيء موجة بشرية كبيرة من جنوب الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين والشام بتوجيه الملك سبأ عبد شمس وائل وهم الأموريون الذين امتد سلطانهم في بلاد الرافدين والشام، وكان من ملوك دولة سبأ في ذلك العصر الضحاك السكسك بن وائل وقد ذكرته نصوص بابل بلقب (ملك سبأ أو بابل) وهو الذي قام ببناء بيت غُمدان بصنعاء معبداً لعبادة (عشتار/الزهرة) في القرن الثامن عشر ق. م. وكذلك ذكرت النصوص الملك (الملطاط ـ سين مبلاط ـ ملك سبأ وبابل) وقد حكم إلى عام ١٧٩٢ ق. م. وهو آخر ملوك ذلك العصر الثاني لدولة سبأ الأقدم.

(جـ) ـ ثم دخلت دولة وحضارة سبأ الأقدم عصرها الثالث بزعامة الملك (شمس عاد ملك سبأ) معاصر (حمورابي ملك بابل) وقد ذكرته نصوص بابل وأشور بلفظ (شمس آدد ملك سبأ ـ أرتو ـ ملك جميع البلدان) وقد بدأ عهده عام ١٧٩٢ ق. م. وتدل الدراسات على «أن حمورابي كان ملكاً لبابل في إطار الملوكية العليا لشمس عاد ملك سبأ ـ أرتو ـ» وكذلك ذكرت النصوص البابلية الملك (شداد بن شمس عاد) وهو الذي ذكر المؤرخون العرب

الأوائل أنه غزا إلى العراق وفارس والشام ومصر، وعندئذٍ بدأ حكم (الهكسوس) لمصر، وقام الملك شداد بن شمس عاد ببناء مدينة «إرم ذات العماد» المذكورة في القرآن، وقد استقصينا النبأ اليقين عنها، ثم حكم بعدة «لقمان بن عاد بن الملطاط» ـ كما في الإكليل ـ وهو (لقمان بن شمس عاد) وقد ذكرته نصوص بابل وآشور بلفظ (دقمان بن شمس آدد) وهو صاحب النسور السبعة، وقام ببناء منشآت في سد مأرب العظيم الأقدم، وذكر الهمداني في الإكليل إن الملك لقمان بن عاد لما مات تم دفنه في مغارة بجبل شبام. وقد تم العثور في (ناووس جبل الغراس بشبام) على عدة مومياءات يمنية تم فحص عينات منها في لامختبر الفيزيائي بهولندا ـ بالكربون ١٤ ـ واتضح عودة زمن أقدمها إلى عام (٣٠٢٥ ـ ٢٧٩٥ ق. م.) ـ بالألف الثالث قبل الميلاد وقد انتهى ذلك العصر الثالث لدولة سبأ الأقدم بأوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

ومن أبرز معالم (الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير) في هذا الكتاب تبيين تاريخ (ملوك اليمن التبابعة السبعين في عصور سبأ وحمير) وإنه:

(أ) ـ في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ـ عام ١٤٧٠ ق. م. ـ بدأت عصور ملوك سبأ التبابعة الحميريين بزعامة «الحارث الرائش ملك سبأ» وهو أول الملوك التبابعة الذين شمل حكمهم كل اليمن بما في ذلك حضرموت والمهرة وظفار عُمان، إذْ أنه ـ وكما قال ابن خلدون ـ «التبابعة ملوك اليمن، واحدهم تُبّع. ولم يكونوا يسمّون الملك منهم تُبّعاً حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت..» وجاء في لسان العرب أنه «كان ملك اليمن لا يُسمى تُبعاً حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير» بحيث ـ وكما قال د. محمد بافقيه ـ «.. أما التبابعة فهم على اختلاف التفاسير أولئك الذين حققوا توحيد اليمن» وبالتالي الذين شمل حكمهم كل أرجاء اليمن. وقال نشوان الحميري في شمس العلوم: «.. وهم سبعون تُبعاً.. قال النعمان بن بشير الأنصاري:

لنا من بني قحطان سبعون تُبّعاً ... أطاعت لها بالخرج منها الأعاجم

وقال عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي:

نَعُدُّ تبابعاً سبعين مِنّا ... إذا ما عدّ مكرمةً قَبيلُ»

قال ابن خلدون «وأول التبابعة باتفاق من المؤرخين الحارث الرائش». وقام الرائش بقيادة وتوجيه غزوات خارجية إلى بلاد الرافدين وفارس والشام، وقد استقصينا دراسات ونقوش تلك البلاد في القرن الخامس عشر والرابع عشر

ق. م. حيث تؤكد الدراسات والنقوش وقوع ذلك وجاء اسم الرائش في نصوص أشور وبابل بلفظ (أريشم ملك سبأ ـ أرتو) وكذلك ذكرت نقوش (تحوتمس ملك مصر الفرعونية) العلاقات الوثيقة مع اليمن في عهد الرائش بالقرن الخامس عشر قبل الميلاد، وتم العثور في اليمن على نقش يذكر (تحوتمس ملك مصر) ويؤكد العلاقة الوثيقة بين اليمن ومصر في عهد الحارث الرائش. وقد حكم بَعْده ابنه: (تُبّع شمّر ذو الجناح) وهو الذي بَنَى مدينة ظفار، ثم الملك (الصعب ذو القرنين ملك سبأ) وهو ذو القرنين المذكور في القرآن وقد ذكرنا دلائل ذلك ووقائع عهده التليد بذلك (العصر الأقدم لدولة ملوك سبأ التبابعة) ويبلغ عدد ملوك ذلك العصر (٧) ملوك حكموا من عام ١٤٧٠ ـ ١٢٢١ قبل الميلاد.

(ب) ـ ثم تسنم عرش تبابعة سبأ الملك الرائش الثاني (باران ذو رياش) وهو أعظم الملوك في التاريخ، وقد ذكر الحسن الهمداني في الإكليل أنه «كان الرائش في عصر النبي موسى عليه السلام» وأنه «ذو رياش» وهو تحديد صحيح فقد دلت الدراسات على أنه «كان خروج موسى بقومه من مصر في آخر عهد الملك لافرعون رعمسيس الثاني ـ عام ١٢٢٤ ق. م. ـ وفي السنة الثالثة من عهد ابنه مرنتباح بن رعمسيس ـ عام ١٢٢١ ق. م. ـ» ومكث موسى وقومه في برية سيناء أربعين سنة. وفي ذلك الزمن كان عهد (الرائش باران ذو رياش) وقد حكم أربعين سنة (من عام ١٢٢٠ ـ ١١٨٠ ق. م.) وقام بقيادة وتوجيه غزوات خارجية واسعة لتكوين مستوطنات تجارية لدولة سبأ وحلفائها الأراميين والفينقيين في بلاد الرافدين ومشارقها إلى الهند وفي الشام وآسية الصغرى وقبرص واليونان ومصر، وقد استقصينا وقائع وتاريخ تلك البلدان في ذلك الزمن حيث يتألف اسم «باران ذو رياش ملك سبأ ملك ملوك الأرض» في عشرات النقوش والنصوص والرسائل المعثور عليها في بلاد الرافدين والشام وفي ثيبيس باليونان وفي آثار العمارنة بمصر، كما تم العثور على نقش هيروغليفي باسمه في مأرب، ويبدو أن (معبد بران) في مأرب سُمّي باسم (باران ذي رياش) وإن التقويم السبئي المؤرخة به نقوش العديد من ملوك سبأ التبابعة في العصور اللاحقة يبدأ بالعام الأول من عهد باران ذي رياش ـ عام ١٢٢٠ ق. م. ـ وقد حكم بعدة ثلاثة ملوك تبابعة عظماء وهم ذو المنار بن ذي لارائش، وذو الأذعار بن ذي المنار، وأفريقيس بن ذي المنار بن ذي رياش وهو الذي ساق قبيلة أمازيغ بن كنعان وقبائل حميرية سبئية من اليمن والشام إلى بلاد المغرب العربي فأسكنهم هناك وبنى مدينة إفريقية (في تونس) وذلك في القرن الثاني عشر قبل

الميلاد، وقد استقصينا البناء اليقين عن ذلك، ووقائع ووثائق ملوك ذلك «العصر الأول لدولة وملوك سبأ التبابعة» وهم ذو رياش وذو منار وذو الأذعار وأفريقيس وقد حكموا مائة وعشرين سنة من ١٢٢٠ ـ ١١٠٠ قبل الميلاد.

ومن أبرز وأهم معالم ووقائع (الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير) في هذا الكتاب:

(أ) ـ تبيين وإثبات أن عصريّ لقب «ملك سبأ وذي ريدان» في نقوش المسند اليمنية هما العصر الثاني والعصر الثالث لملوك سبأ التبابعة، وإن زمن العصرين من عام ١٢٠ ـ ٣٨٥ للتقويم يوافق عخام ١١٠٠ ـ ٨٣٥ قبل الميلاد لأن ذلك التقويم إنما هو التقويم السبئي ويوافق العام الأول في ذلك التقويم عام ١٢٢٠ق. م. وهو أول أعوام عهد الرائش باران ذي رياش، وقد كان «ذمر على وتار بن سمعهال» هو «صاحب مقدمة الملك أفريقيس بن ذي منار بن الرائش وقائد بعوثه» ثم أصبح ملكاً بعد إفريقيس وهو صاحب ملكاً إفريقس وهو صاحب أول نقش من محرم بلقيس (معبد أوام) في مأرب، وهو أول من حمل لقب (ملك سبأ وذي ريدان) وأول ملوك العصر الثاني لدولة وملوك سبأ التبابعة، وقد استقصينا أنباء وآثار ونقوش ملوك ذلك العصر وعددهم ١٤ ملكاً حكموا في الفترة من عام ١٢٠ ـ ٣١٠ للتقويم السبائي والزمن الصحيح الموافق لذلك هو من ١١٠٠ ـ ٩١٠ قبل الميلاد.

(ب) ـ وكانت (بلقيس ملكة سبأ) من ملوك ذلك العصر، وقد حكمت ٢٤ سنة من عام ٩٤٦ ـ ٩٢٤ ق. م، وقد استقصينا ما ذكرته المصادر اليمنية والبابلية والأرامية والأكسومية والمصرية الفرعونية والصينية عن عهد بلقيس ملكة سبأ وكان حكمها ونفوذها يشمل اليمن وشمال الجزيرة والحبشة وبابل ويمتد إلى الشام، وهي أعظم وأشهر ملكة في تاريخ الإنسانية لأنها الملكة الوحيدة التي أجمعت على ذكرها الكتب السماوية الثلاثة (القرآن والتوراة والإنجيل). وقد إستوفينا تبيّين تاريخها في مبحث كامل يمتد زهاء ستين صفحه (من ص٢٥٥ ثم من ص٢٦٤ ـ ٣١٤) في الفصل السابع. وقد حكم بعدها ياسر بن عمرو ـ بإجماع العلماء المؤرخين العرب الأوائل ـ، وهو «ياسر يُهصلاق ملك سبأ وذي ريدان» في نقوش المسند، وقد امتد حكمه إلى الحبشة وجنوب مصر، وهو الرابع عشر من ملوك ذلك (العصر الثاني لملوك سبأ التبابعة) وقد حكم إلى عام ٣١٠ للتقويم السبائي.

(جـ) ـ ثم إستقصينا ـ في الفصل الثامن ـ تاريخ ونقوش «العصر الثالث لملوك سبأ التبابعة» وهو ثاني عصور لقب (ملك سبأ وذي ريدان) وقد تم العثور على أكثر من مائة نقش مسند بأسماء ومن عهود ملوك ذلك العصر وعددهم (٢٠) ملكاً، حكموا في الفترة من ٣١٠ ـ ٣٨٥ للتقويم السبائي وتدل عشرات الأدلة التي أوردناها بأن الزمن الصحيح الموافق لذلك هو من عام ٩١٠ ـ ٨٣٥ قبل الميلاد، وقد ذكرنا تاريخ ونقوش عهد كل ملك بالتفصيل في العصرين الثاني والثالث لملوك سبأ التبابعة، ولم يسبق تبيّين تاريخهم ونقوشهم ووقائع وآثار عهودهم بالتفصيل في أي كتاب، وقد كان آخرهم «ياسر يُهنعم ملك سبأ وذي ريدان» من عظماء الملوك التبابعة، وسار بجيش كثيف وقبائل كثيرة من اليمن إلى الحبشة وجنوب مصر والمغرب وأعاد تكوين المستوطنات التجارية والمحطات والطرق التجارية في تلك البلدان، وقد حكم إلى العام المؤرخ به آخر نقوش عهده المعثور عليها في محرم بلقيس (معبد أوام) بمأرب عاصمة سبأ وهو عام ٣٨٥ للتقويم السبائي والزمن الصحيح الموافق لذلك هو عام ٨٣٥ق.م ـ في القرن التاسع قبل الميلاد وهو الزمن الذي حدده أيضاً الهمداني ونشوان الحميري وابن خلدون وسائر علماء المؤرخين العرب الأوائل للملك ياسر يُنعم، ويبلغ عدد الملوك من الرائش باران ذي رياش إلى ياسر يُنعم (٣٨) ملكاً من ملوك وسبأ التبابعة.

ومن «الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير» بهذا الكتاب أيضاً:

(أ) ـ أن عصر لقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت» في نقوش المسند هو «العصر الرابع لملوك سبأ التبابعة» وقد شاع في دراسات وكتب المستشرقين والأكاديميّين إنهم (ملوك الدولة الحميرية التي كانت عاصمتها مدينة ظفار بالقرن الرابع الميلادي) وذلك بخلاف ما تنطق به النقوش وتؤكده الوقائع والآثار بأنهم من ملوك سبأ فألقابهم في النقوش تبدأ بـ(ملك سبأ) وكانت العاصمة في عهودهم مدينة مأرب وتم العثور على نقوشهم في محرم بلقيس بمأرب عاصمة سباء، وهي نقوش سبائية، وتم نشر أغلبها في كتاب مجموعة البرت جام بعنوان: (نقوش سبائية من محرم بلقيس):

Sabaen inscriptions From Mahram Bilqis

وقد أثبتت وكشفت تنقيبات بعثات معهد الآثار الألماني في معبد بران المشهور بعرش بلقيس ومعبد أوام المشهور بمحرم بلقيس عودة زمن وآثار المعبدين إلى الفترة منذ القرن العاشر والقرن التاسع قبل الميلاد إلى القرن السادس ق.م. وذلك هو الزمن الصحيح لنقوش ملوك سباء التبابعة المعثور

عليها في المعبدين ومنها نقوش عصر لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) ونقوشهم مؤرخة بالتقويم السبائي وزمنهم الصحيح هو في القرن التاسع والقرن الثامن قبل الميلاد.

(ب) ـ وقد استقصينا ـ في الفصل التاسع ـ تاريخ ونقوش ملوك ذلك العصر وهم تسعة ملوك أولهم الزعيم العظيم «شمّريُهرعش» الذي شمل حكمه كل اليمن والجزيرة العربية ورفرفت راياته في الشام وبابل وأشور وبلاد فارس وسجلت نقوش المسند ـ التي أوردناها كاملةً ـ فتوحاته للشام ومملكة فارس وبلدان كثيرة بالمشرق لتكوين مستوطنات تجارية وتأمين المصالح التجارية لسبأ وحلفائها الأراميّين الكلدانيّين والفينقيّين في أرجاء واسعة امتدت إلى الهند والتبت شرقاً وإلى سواحل الشام وآسية الصغرى وجزر وسواحل البحر الأبيض المتوسط غرباً، وقد استقصينا وأوردنا النقوش اليمنية والآرامية والدراسات والنصوص التوراتية والآشورية واليونانية التي تؤكد ذلك في المبحث الخاص بعهد ذلك الزعيم العظيم (شمّر يهرعش) في خمسين صفحة (من ص٤٨٣ ـ ٥٣٢) وهو أول توثيق كامل لعهدة الذي دام إلى العام المؤرخ به آخر نقوش عهدة وهو عام ٤٠٩ للتقويم السبائي ويوافق عام ٨١١ق.م.

وقد تتابع على الحكم بعده ثمانية ملوك من ملوك سبأ التبابعة الحميريّين العظماء، وقد استوفينا ذكر تاريخ ونقوش وآثار عهودهم، وآخرهم (كرب إلى وتار يهنعم) وهو (كرب إيل ملك سبأ) في نقوش (سنحريب ملك آشور) وقد حكم إلى عام ٧٠١ق.م في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد.

(جـ) ـ ثم استقصينا ـ في الفصل العاشر ـ تاريخ ملوك وحضارة العصر الخامس لملوك سبأ التبابعة وإنهم الذين يحملون في نقوش المسند لقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويُمانت وإعرابهم طوداً وتهامت» والأصل في ذلك اللقب هو «ملك سبأ» وكان أول ملوك ذلك العصر «أبو كرب أسعد» أعظم ملوك سبأ التبابعة وقد ذكرته نقوش بابل ونينوى بلقب «ملك سبا ـ ارتو ـ ملك أركان الأرض الأربعة» وإنه حكم في القرن السابع قبل الميلاد وقام بقيادة وتوجيه غزوات وفتوحات واسعة إلى أرجاء المشرق والشمال والمغرب لتأمين وتكوين المستوطنات التجارية والطرق التجارية لدولة سبأ وحلفائها في أرجاء العالم القديم، وأبو كرب أسعد هو تُبّع المقصود في قول الله تعالى بالقرآن الكريم: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: ٣٧] وكان

مؤمناً بدين التوحيد الحنيف وقال بعض العلماء إنه كان نبياً وهو أول من كسا الكعبة، وقد استوفينا ذكر نقوش وأنباء عهده في مبحث كامل (من ص٦١٣ ـ ٦٥٢) وهو أول توثيق وتبيّين للنبأ اليقين عن عهد ذلك الزعيم العظيم في القرن السابع قبل الميلاد.

وقد تتابع على الحكم بعده خمسة من ملوك سبأ التبابعة الحميريّين العظماء في ذلك الزمان، وقد استقصينا واستوفينا ذكر تاريخ ونقوش عهودهم، وكان آخرهم (معدي كرب يعفر) وقد تم العثور على نقش مسنده باسمه في محرم بلقيس بمأرب وهو مؤرخ بعام ٦٣١ للتقويم السبائي ويوافق عام ٥٨٩ق.م - في القرن السادس قبل الميلاد ـ وفي عهده تفككت دولة سبأ العظمى ووقع إنهيار سد مأرب العظيم الأقدم وسيل العرم الأول ـ في حوالي عام ٥٢٠ق.م ـ بالنصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد، ويبلغ عدد الملوك منذ الرائش باران ذي رياش إلى معدي كرب يعفر (٥٣) من ملوك سبأ التبابعة وهم غالبية ملوك اليمن التبابعة السبعين، وبانتهاء عهد (معدي كرب يعفر) انتهت دولة تبابعة سبأ العظمى وتفرقت أيادي سبأ.

ومن معالم «الجديد تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير» ـ بعد ذلك ـ تبيّين إن الحضارة اليمنية ما لبث إن استأنفت مسيرتها بعد انتهاء عصور دولة ملوك سباء التبابعة العظمى وانهيار سد مأرب العظيم الأقدم حيث قامت في اليمن خمس دولة وممالك متعاصرة حكم كل منها جزءاً من اليمن، وقد استقصينا تاريخها ونقوشها وآثارها في الفصل الحادي عشر بعنوان «عصور الدولة اليمنية القديمة الوسيطة» وهي دولة معين ودولفة قتبان ودولة أوسان ودولة مكارب سبأ ودولة حضرموت وبني معاهر، فالمعينيون والقتبانيون والأوسانيون هم في الأصل من شعوب سبأ، وكانت المناطق التي قامت فيها ممالك معين وقتبان وأوسان وحضرموت جزءاً من مملكة سبأ العظمى في عصور ملوك سبأ التبابعة، ثم تفككت وتفرقت مملكة وأيادي سبأ إلى خمس دولة وممالك متعاصرة وهي:

(أ) ـ دولة معين: وقد كان أوائل المستشرقين والدراسين يذهبون إلى أن معين أقدم من سبأ، ولكن الدراسات والنقوش أثبتت خطأ ذلك وأن مناطق معين كانت جزءاً من سبأ في عصور ملوك سبأ التبابعة وفي عصر مملكة سبأ الوسيطة بالقرن الخامس ق.م. ثم أسس المعينيون مملكة معين بزعامة (صدق إيل ملك معين) وشمل حكمه (معين وحضرموت).

وقد استوفينا في المبحث الأول من الفصل الحادي عشر (ص٧٠٩ ـ

٧٥٧) تاريخ دولة معين وملوكها ونقوش ملوكها وعهودهم بالتفصيل، وهو أول توثيق تفصيلي لتاريخ وحضارة ودولة معين وملوكها ونقوشها منذ بدايتها ـ عام ٥٢٠ق.م ـ إلى نهايتها في آخر القرن الثاني الميلادي، وليس ملوك معين من التبابعة لأن حكمهم لم يشمل كل اليمن.

(ب) ـ دولة قتبان (من ٥٢٠ق.م ـ ٢٠٠ب.م): وقد كانت مناطق وقبائل قتبان جزءاً من دولة سبأ في عصور ملوك سبأ التبابعة ثم قامت (مكربية قتبان) عام ٥٢٠ق.م. وشملها حكم (مملكة سبأ الوسيطة) في القرن الخامس ق.م. ثم قامت (مملكة قتبان) بزعامة (يدع أب ذبيان ملك قتبان عام ٤٠٠ق.م). وشمل حكمها مناطق ريدان (حمير) إلى البحر الأحمر والبحر العربي، وبلغت شأواً كبيراً في عصر (ملوك قتبان الحميريّين) منذ عهد (شهر يجل يهرجب ملك قنبان) عام ١١٥ق.م. فتاريخ قتبان هو جزء من تاريخ وحضارة سبأ وحمير، وقد استقصينا تاريخ دولة وحضارة قتبان وملوكها في المبحث الثاني من الفصل الحادي عشر (ص٧٥٨ ـ ٧٧٥) وانتهت الحقبة الأخيرة لملوك قتبان عام ٢٠٠ ميلادية.

(جـ) ـ دولة أوسان الحميرية (من ٥٢٠ق.م ـ ١١٥ق.م): وقد كانت مناطق وقبائل أوسان جزءاً من دولة سبأ في عصور ملوك سبأ التبابعة ثم في عصر مملكة سبأ الوسيطة بزعامة (كرب إلى وتار ملك سبأ) في القرن الخامس ق.م. وقد بلغت مملكة أوسان شأواً عظيماً في عصرها الثاني (سنة ٣٥٠ ـ ١١٥ق.م). وتم العثور على نقوش وتماثيل ملوكها وهم حميريون، فتاريخ أوسان هو جزء من تاريخ سبأ وحمير، وقد استقصينا تاريخ وحضارة وملوك أوسان في مبحث كامل وانتهت أوسان عام ١١٥ق.م.

(د) ـ دولة مكارب سبأ (من ٥٢٠ق.م ـ ٢٠٠ب.م): وهي إحدى الدول الخمس التي قامت بعد نهاية عصور ملوك سبأ التبابعة، وقد حمل حكام عصرها الأول لقب (مكرب سبأ) ومنهم (سمهعلي ينوف مكرب سبأ) الذي قام ببناء سد مأرب القديم الثاني في أوائل القرن الخامس ق.م. ثم تحولت (مكربية سبأ) إلى مملكة بزعامة (كرب إلى وتار ملك سبأ) ـ عام ٤٥٠ق.م ـ وهو مؤسس مملكة سبأ الوسيطة وقد شملت كل اليمن وتتابع على حكمها ثلاثة ملوك وهم من الملوك التبابعة السبعين ثم تفككت مملكة سبأ الوسيطة وعادت (مكربية سبأ) كواحدة من الدول اليمنية الخمس حتى نهايتها مع معين وقتبان عام ٢٠٠ ميلادية.

(هـ) ـ مملكة حضرموت ودولة بني معاهر الحميرية: وقد استقصينا تاريخهما ونقوش ملوكهما في المبحث الخامس من الفصل الحادي عشر (ص٨١٦ ـ ٨٥٤) وانتهت مملكة حضرموت بانضواء حضرموت في دولة تبابعة حمير عام ٢٩٠ ميلادية، ويبلغ عدد ملوك تلك الدول اليمنية (معين، وقتبان، وأوسان، ومكارب سبأ، وملوك حضرموت، ودولة بني معاهر) أكثر من مائة ملك، وقد ذكرنا تاريخهم ونقوشهم جميعاً وليسوا من الملوك التبابعة لأن حكمهم لم يشمل كل اليمن.

ومن أهم معالم «الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير» ـ بعد ذلك ـ تبيّن التاريخ الذي كان مجهولاً عن «الدولة الحميرية وملوك حمير التبابعة» منذ أواخر القرن الثالث الميلادي إلى القرن السادس الميلادي، وإنه:

(أ) ـ بزعامة «ملشان أريم ذي يزن» قامت الدولة الحميرية التي وحدت كل أرجاء اليمن الطبيعية في (دولة حميرية اتحادية) وكان (ملشان أريم أول تبابعة الدولة الحميرية) ويُسجل (نقش عبدان الكبير) أن ملشان أريم قاد الحميريّين في حملة اجتياح مملكة حضرموت والقضاء عليها ـ عام ٢٩٠م ـ فانضوت حضرموت وما يليها من المهرة إلى مفاوز عُمان في الدولة الحميرية وإن الحملات بلغت إلى تهامة وساحل البحر الأحمر غرباً وإلى (السراة) في أعالي شمال اليمن وهي عسير وبيشه إلى تخوم نجد والحجاز شمالاً، وبذلك شملت الدولة كل أرجاء اليمن الطبيعية، وجاء في النقش ـ وكما ذكر أيضاً د. محمد بافقيه ـ «إن ملشان أريم تولى كما تولى أبناءوه معه وبعده قيادة حملات واسعة خارج اليمن في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة، خاصة في ما كان يُعرف باليمامة، وأطراف نجد، والبحرين بمدلولها الواسع القديم». ويذكر النقش أن الحملات بلغت «إلى سجا، بين أرض نزار ـ بالحجاز ـ وأرض غسان ـ بالشام ـ» وبذلك شمل حكم ونفوذ الدولة الحميرية كل الجزيرة العربية، وقد ذكر ابن خلدون إنه «دوَّخ تُبّع جزيرة العرب، وكان على مقدمته عبد كلال بن مثوب ذي رُعَيْن» وإنه «لما هَمَّ تُبّع بالإنصراف استعمل على الحجاز وقبائل نزار حُجراً كل المرار بن عمرو الكندي» ويدل الزمن ونقش عبدان الكبير على أن تُبّع المقصود هو «ملشان أريم ذو يزن». وفي عهده أصبحت صنعاء عاصمة للدولة الحميرية وتم تعلية قصر غُمدان بصنعاء، وقد حكم بعده (شرحبيل وخولى/ بني ملشان) ثم حفيده (معدي كرب) الذي قام بتدوين نقش عبدان الكبير في

العام المؤرخ به النقش وهو عام ٤٧٠ للتقويم الحميري ويوافق عام ٣٥٥ ميلادية ـ في أواسط القرن الرابع الميلادي.

(ب) ـ ثم استقصينا وقائع عهد «عبد كلال ذي رُعَيْن» وهو «ملك حمير الذي اعتنق الديانة المسيحية» وكان عبد كلال ذو رعين رابع ملوك العصر الأول لتبابعة الدولة الحميرية، وفيه قال نشوان الحميري:

أمْ أينَ عبدُ كُلالِ الماضي على   دينِ المسيحِ الطاهرِ المساحِ

وقد أتاح لنا الربط بين ما ذكره المؤرخون العرب الأوائل وما ذكرته المصادر الرومانية تبيّن أن الملك عبد كلال هو ملك حمير الذي ذكرت المصادر الرومانية وجاء في كتاب فيلوستروغ عن تاريخ الكنائس إنه: «بعث الملك قسطنسيوس بن قسطنطين الراهب الأنبار (ثيوفيلوس) إلى ملك حمير، وحمل ثيوفيلوس هدايا من الملك قسطنسيوس إلى ملك حمير، ونجح ثيوفيلوس في إقناع ملك حمير باعتناق الديانة المسيحية، وقام ببناء ثلاث كنائس إحداها في مدينة ظفار» ـ وكان ذلك ما بين عام ٣٥٤ وعام ٣٥٧م ـ فذلك الملك الحميري هو عبد كلال، وقد ذكر المؤرخون العرب الأوائل إنه «كان الملك عبد كلال على دين النصرانية الأولى، وكان الذي دعاه إليه رجل من غسان وَفَد عليه من الشام» ـ فيكون هو الراهب (ثيوفيلوس) فاقتنع عبد كُلال ملك حمير بالديانة المسيحية وآمن بها وجعلها عقيدة رئيسية وقام بتشيّيد ثلاث كنائس في ظفار وعبدان وصنعاء، وقد استقصينا «البناء اليقين عن عصر الديانة المسيحية في اليمن» وهو أول توثيق وتبيّين لتاريخ ودلائل الديانة المسيحية التوحيدية في عصور الدولة الحميرية في اليمن، وقد حكم بعد (عبد كلال) في العصر الأول ثلاثة ملوك آخرهم «بريل ذو يزن ويلغب» صاحب النقش رقم (٣٨) من موقع ينبق، وهو سابع ملوك العصر الأول لدولة تبابعة حمير إلى عام ٥٦٠ للتقويم الحميري الموافق عام ٤٤٥ ميلادية.

(جـ) ـ ثم استقصينا ـ في الفصل الثالث عشر ـ تاريخ العصر الثاني لدولة تبابعة حمير، ووقائع ووثائق ونقوش وآثار ملوك حمير التبابعة في ذلك العصر من عام ٥٦٠ ـ ٦٤٠ للتقويم الحميري الموافق عام ٤٤٥ ـ ٥٢٥ ميلادي، وكان أول ملوك ذلك العصر «تُبّع حسان بن ذي غيمان الحميري» ثم يليه «تُبّع أسعد بن حسان» وهو أعظم تبابعة الدولة الحميرية، ويخلط الناس بينه وبين (أبي كرب أسعد ملك سبأ) وقد كان أبو كرب أسعد من ملوك سبأ التبابعة في القرن السابع قبل الميلاد بينما «تُبع أسعد بن حسان» من ملوك الدولة

الحميرية في القرن الخامس الميلادي، وفيه قال حسان بن ثابت الأنصاري:

وأسعد كان الناس تحت سيوفه   حواهم بِمُلك شامخ ليس يُقْهَرُ
تَواضعُ أشرافُ البريّة كلها   إذا ذُكرت أشرافها الصيدُ حِمْيَرُ

وكانت مدينة صنعاء هي عاصمة الدولة الحميرية في عهد تُبّع حسان بن ذي غيمان وعهد تُبّع أسعد الثاني بن حسان بن ذي غيمان الحميري وقد استقصينا وقائع عهده في مبحث كامل يقع في ٤٧ صفحة (من ص٩١٦ - ٩٥٢) وقد حكم أسعد بن حسان عشرين سنة حافلة بالأحداث (من عام ٤٥٧ - ٤٧٧ ميلادية) وفيه قال حذيفة بن غانم القريشي:

وأسعد قاد الناس عشرين حجةً   يؤيدُ في تلك المواطن بالنصر

وامتد حكمه وحكم نائبه (الحارث بن عمرو الكندي) إلى إمارة الحيرة بالعراق في عهد قباذ ملك فارس، وقد تتابع على الحكم بعد أسعد بن حسان أربعة ملوك توجد نقوش بأسمائهم ومن عهودهم، وهم (لحيعة يرخم ذو جدن) ثم (شرحبيل يكمل) وله نقش مؤرخ بعام ٥٩٥ للتقويم الحميري ويوافق عام ٤٨٠م. وهو (شرحبيل ملك حمير في المصادر الأكسومية) ثم حكم بعده (سُميفع أشوع) وقد ذكرته المصادر الرومانية باسم (سميفيوس ملك حمير) وله نقش مؤرخ بعام ٦٢٥ حميري الموافق عام ٥١٠م، ثم حكم بعده (يوسف أسار ذو نواس) من عام ٥١٥ - ٥٢٥م وهو سادس ملوك ذلك العصر، وانتهى عهده بالغزو الأكسومي المدعوم من الرومان لساحل اليمن عام ٥٢٥ ميلادية. وقد استقصينا النبأ اليقين عن عهدة من النقوش اليمنية والمصادر الأكسومية والرومانية والآرامية، ويبلغ عدد ملوك حمير التبابعة من ملشان أريم إلى يوسف ذي نواس ١٣ ملكاً تُبعاً، وهم من ملوك اليمن التبابعة السبعين الذين سلف تبيّين أن أغلبهم كانوا في عصور ملوك سبأ التبابعة.

(د) - ويتبين - في الفصل الرابع عشر - عدم صواب الظن الشائع بأن الدولة الحميرية انتهت بالغزو الأكسومي لساحل اليمن ونهاية ذي نواس عام ٥٢٥م. فقد قضى اليمنيون على ذلك الغزو الأكسومي الأول في نفس العام بزعامة (سُميفع ذو الكلاع) وهو أول ملوك (العصر الثالث لتبابعة الدولة الحميرية) ويذكر نقشه المسند في موقع قلعة ماوية - حصن الغراب - في ميناء قنا - بساحل شبوة - أنه طارد مع أذواء وقبائل حمير بمطاردة الأحباش الذين بأرض حمير وقتلوا ملكهم وقادته الحُمر (الروم) والرهبان (القساوسة) وتعقبوا الأحباش إلى ساحل الحبشة وعادوا إلى اليمن وذلك

في العام المؤرخ به النقش وهو عام ٦٤٠ حميري الموافق ٥٢٥م. وكان سُميفع يدين بالمسيحية وقد ذكر بروكوبيوس إنه: «تولى حكم اليمن ملكُ من نصارى حِمْيَر اسمه إيسمفيوس» وهو سميفع. وفي عام ٥٢٩م «بعث جوستيان ملك الروم وفداً إلى سميفع ملك حمير». فقد حكم الملك سميفع اليمن من ٢٥٢ - ٥٣٣م - وقد استقصينا أنباء ووثائق عهده في مبحث كامل - وانتهى عده بالغزو الحبش الأكسومي الثاني لليمن عام ٥٣٣م.

ثم لم تنته الدولة الحميرية بالغزو والاحتلال الحبشي الأكسومي لبعض مناطق اليمن عام ٥٣٣م فقد تم تمليك معدي كرب يعفر ذي يزن في جنوب وشرق اليمن فاستمرت الدولة الحميرية بزعامته وحارب الأحباش وأبرهة في القسم المحتل من اليمن وجاء ذكر ذلك في نقش مسند يصف معدي كرب بأنه (ملك مشرقن) أي ملك النصف الشرقي من اليمن، وقد استقصينا أنباء (عهد معدي كرب يُعفر ذي يزن وفترة الاحتلال الحبشي الأكسومي لمناطق من اليمن) من عام ٥٣٣ - ٥٧٠م في مبحث كامل حتى وفاة معدي كرب ذي يزن وتمليك ابنه سيف بن ذي يزن في القسم المستقل من الين ثم قاد سيف بن ذي يزن حرب تحرير الفسم المحتل من اليمن وقض على الأحباش عام ٥٧٢م وقد استوفينا تبيّين تاريخ عهد سيف بن ذي يزن في مبحث كامل وكان سيف بن ذي يزن من ملوك اليمن التبابعة وحكم عشرين سنة حتى وفاته عام ٥٩٠م. ولم تنته الدولة الحميرية بوفاته - كما يظن البعض - وإنما حكم بعده ابنه (معدي كرب بن سيف بن ذي يزن أربع سنين) - وله أيضاً مبحث كامل - وانتهى عهده باغتياله عام ٥٩٤م فكان هو آخر الملوك. قال المسعودي في مروج الذهب: «أقام معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن، وكان ملكه أربع سنين، وهو آخر ملوك اليمن من قحطان، وقد ملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وتسعين سنة». - يعني من زمن سبأ بن يشجب - وقد ذكر الحسن الهمداني ملوك اليمن التبابعة منذ عهد الرائش إلى عهد ابن ذي يزن وقال: «يكون جميع ما ملكوا ألفيّ سنة وإحدى وثمانين سنة سوى ما ملكوا قبل الرائش» - وهو تحديد دقيق للمدة منذ بداية عهد الحارث الرائش أول التبابعة السبعين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى نهاية عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن عام ٥٩٤م في أواخر القرن السادس الميلادي، ولم تدم وتتواصل أي دولة وحضارة في تاريخ الإنسانية مثل المدة التي دامت وتواصلت فيها الدولة والحضارات اليمنية منذ زمن عاد والحضارة الزراعية في الألف التاسع قبل الميلاد، ثم منذ زمن سبأ بن يشجب - عام ٣٥٠٠ق.م - إلى نهاية عهد ابن ذي يزن - عام ٥٩٤م -، وكان

للحضارة اليمنية في تلك العصور إسهامها الوافر في تاريخ الإنسانية وكانت هي حضارة اليمن والأمة العربية في العصور التليدة، وكان الكثير من ملوكها التبابعة تاج الأرض.

وقد شاع الظن بأن الدولة الحميرية انتهت بعد ابن ذي يزن وحَكَمَ الفُرسُ اليمن حتى ظهور الإسلام، وليس ذلك صحيحاً وإنما تفككت الدولة الحميرية إلى عدة ممالك حيث ـ كما ذكر ابن منبه ـ «بعد مقتل ابن ذي يزن لم يُملِكَ اليمنيون أحداً على أنفسهم غير أن كل مخلاف مَلّكوا عليهم رجلًا من حِميَر فكانوا مثل ملوك الطوائف حتى أتى الله بالإسلام». فالذي حدث هو أن الدولة الحميرية تفككت ولم يعد لليمن ملك واحد، وإنما أصبح كبار الأقيال ملوكاً على مناطقهم ومخاليفهم وكان منهم الملك زُرعة بن سيف بن ذي يزن، ولم يحكم الفرس إلا صنعاء، ويتضمن المبحث الأخير تاريخ «عهد زُرعة بن سيف بن ذي يزن والأقيال الملوك باليمن حتى ظهور الإسلام» ـ وهم إحدى عشر ملكاً وكانوا يحكمون معظم أرجاء اليمن وآمنوا بالنبي محمد عليه الصلاة السلام حيث كما جاء في السيرة النبوية «قَدِم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير، وبعث إليه زُرعة ذو يزن بإسلامهم». وقال الحافظ بن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة: «زُرعة بن سيف بن ذي يزن من مشاهير الملوك، كاتَبَ النبي ﷺ». ثم كتب النبي ﷺ كتاباً إلى زُرعه بن سيف بن ذي يزن وملوك حمير، وقد أوردنا نص الكتاب النبوي وأن النبي ﷺ بعث معاذ بن جبل الأنصاري أميراً لجميع العمال باليمن، وكان من الملوك الأقيال ذو الكلاع الحميري قائد كتائب حمير في الفتح العربي الإسلامي للشام ومصر وهو آخر الملوك الحميريّين في هذا الكتاب. والله الموفق.

محمد حسين الفرح

مدخل الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير

(عصور الحضارات اليمنية الأقدم ٩٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ق.م.)

منذ بداية دراسات علماء المستشرقين والآثاريين الأوروبيين والأجانب لتاريخ دول وحضارات اليمن القديم شاع وساد تقسيم تاريخ اليمن القديم إلى زمنين رئيسيين، **أولهما**: عصور ممالك معين وسبأ وقتبان وأوسان وحضرموت. **وثانيهما**: عصر الدولة الحميرية. وكان أوائل المستشرقين يحددون القرن الخامس عشر والرابع عشر زمناً لبداية معين ثم دولة مكارب سبأ.. ولكن ذلك التحديد ما لبث أن تلاشى حيث ـ وكما ذكر د. محمد بافقيه ـ «بعد أن كان أوائل العلماء يقدرون بداية معين بأواخر الألف الثاني قبل الميلاد أصبح العلماء المتأخرون يجعلون هذه البداية تتراوح ما بين عام ٥٠٠ وعام ٣٥٠ قبل الميلاد»[(١)]. وبصفة أساسية فقد تبين أن بداية معين كانت حوالي سنة ٥٠٠ق.م. وكذلك بداية دولة مكارب سبأ ودول قتبان وأوسان وحضرموت، بحيث كما قالت جاكلين بيرين: «إن حضارة جنوب الجزيرة العربية ربما لا يرجع تاريخها إلى أبعد من القرن الخامس قبل الميلاد». وقد أصبح ذلك التحديد هو السائد في أغلب الكتب والدراسات بأن بداية تاريخ دولة سبأ والحضارة اليمنية هو سنة ٥٠٠ق.م. وأن تاريخ اليمن الحضاري القديم لا يرجع إلى أبعد من مطلع القرن الخامس ق.م. إلا بأمدٍ يسير، بينما تاريخ اليمن أقدم من ذلك بآلاف السنين.

لقد بذل العلماء المستشرقون والأجانب جهوداً لا شك فيها في دراسة وتقديم تاريخ اليمن القديم ولكنهم وقعوا في أخطاء جسيمة وصلت إلى حد إسقاط آلاف السنين من تاريخ اليمن الحضاري التليد بالرغم من وجود الأدلة والشواهد الآثارية والتاريخية عليها، وقد ثار جدل واسع حول سبأ بسبب بلقيس ملكة سبأ التي عاصرت وزارت النبي سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد، وبعنوان: «هل كانت ملكة سبأ حقيقة في التاريخ؟ دليل جديد يؤكد ذلك».

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٥.

نشرت جريدة نيويورك تايمز الأميركية بحثاً للكاتب الأميركي كولن كامبل استهله قائلاً: «هل كانت ملكة سبأ حقيقة في التاريخ؟ سؤال دار حوله الجدل لسنوات طويلة.. إن العلماء الباحثين والأركيولوجيين والآثاريين يقررون أن أرض سبأ الواردة في التوراة هي جنوب الجزيرة العربية والتي حددها قدماء الإغريق مكاناً للسبئيين وتشهد بعض آثارها العظيمة على أمجاد غابرة لهم، ولهذا فطالما وطن ملكة سبأ ما زال موجوداً فمن المفترض أن ملكة سبأ كانت موجودة. بيد أن ما يخل بتلك الفرضية هو أن سليمان قد حكم في القرن العاشر قبل الميلاد، أي قبل ثلاثة قرون من تاريخ أقدم الآثار المعروفة للحضارة السبئية.. كما أن من العوامل التي ألقت ظلالاً من الشك حول حقيقة واقعة لقاء سليمان بملكة سبأ ما أوردته جاكلين بيرين بأن حضارة جنوب الجزيرة العربية ربما لا يرجع تاريخها إلى أبعد من القرن الخامس ق.م» ـ أما الدليل الجديد فهو كما ذكر كامبل ـ «نتائج تنقيبات أثرية في أرض سبأ قامت بها بعثة آثار أميركية برئاسة عالم الآثار الدكتور جيمس ساور من جامعة بنسلفانيا الذي يبرهن بأن سبأ أقدم مما اعتقده العلماء». فقد عثرت البعثة الأثرية الأميركية على آثار في منطقة مأرب بوادي الجوبة وتم فحصها وتحديد زمنها بالإشعاع الكربوني في أميركا حيث اتضح أنه «يعود زمنها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ومن بينها قطعة خشبية ربما يعود زمنها إلى قبل ذلك بقرن أو أكثر ـ أي إلى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر ق.م. ـ ويقول د. جيمس ساور: إن هذه المكتشفات الأثرية تهدم الفكرة القائلة بأن حضارة جنوب الجزيرة العربية كانت أحدث من أن تُرسل ملكة إلى أورشليم في زمن سليمان.. وتُبرهن بأن سبأ أقدم مما اعتقده العلماء ـ أو بعض العلماء ـ»[(١)] فتلك المكتشفات تبرهن بأن دولة سبأ كانت موجودة في القرن الخامس عشر والرابع عشر ق.م. أي قبل ألف سنة من القرن الخامس ق.م. الذي حدده العلماء المستشرقون والأجانب زمناً لبداية سبأ والحضارة اليمنية. ولكن وجود دولة سبأ في القرن الخامس عشر والرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد لا يعني عدم وجودها قبل ذلك، بل يفتح الباب لإدراك وجود دولة سبأ قبل ذلك ولجمع وتبيين أدلة وشواهد وجود دولة وحضارة سبأ في ربوع اليمن ـ جنوب الجزيرة العربية ـ منذ الألف الرابع قبل الميلاد، أي منذ ما قبل زمن بلقيس ملكة سبأ والنبي سليمان بثلاثة آلاف سنة، فقد أسفرت تنقيبات البعثات الأثرية الألمانية في موقع ومنشآت سد

(١) هل كانت ملكة سبأ حقيقة في التاريخ؟ دليل جديد يؤكد ذلك ـ كولن كامبل ـ نيويورك تايمز ـ عدد ٤/٢/١٩٨٦م.

مأرب العظيم الأقدم عن حقائق ونتائج بالغة الأهمية حيث ـ وكما ذكر د. يوسف محمد عبد اللّه ـ «أن نتائج المسح الأثري الذي قامت به البعثة الألمانية في وادي ذنه حيث يقع سد مأرب قد دلت على وجود حضارة وتقنية الري منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وقال د. برونر عضو البعثة الأثرية الألمانية: إن ترسبات وسائل الريّ تدل على أن تاريخ الري في وادي ذنة يعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد»(١) ثم «كشفت تنقيبات البعثة الألمانية ـ سنة ١٩٨٨م ـ منشأة من منشآت سد مأرب القديم يعود زمنها إلى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد»(١) وتلك المنشأة هي منشأة لتخزين المياه في السد، ويقول الباحث الألماني كلاوس شيبمان ـ «بل إن الدراسات الحديثة من قِبل العالم فاجنر WAGNER أرخَت هذا الخزان المائي بأواسط الألف الثالث قبل الميلاد»(٢) ـ مما يعني أن سد مأرب العظيم كان موجوداً سنة ٢٥٠٠ق.م. وربما منذ مطلع الألف الثالث (٣٠٠٠ق.م.) وقد وصف تقرير البعثة الأثرية الألمانية سد مأرب بأنه: «الصرح العملاق الذي استمر في أداء وظيفته آلاف السنين»(٣). وكذلك أسفرت نتائج فحص المومياءات اليمنية السبئية التي تم العثور عليها في ناووس جبل الغراس وتم فحص عينات منها بأشعة الكربون في المختبر الفيزيائي الهولندي بهولندا عن نتائج وصفها مدير المختبر الفيزيائي الهولندي قائلاً: «إنها نتائج مثيرة تدعو إلى الدهشة وتبوح بمعلومات كثيرة»(٤). من أهمها أن «زمن المومياء الثانية يعود إلى الفترة من ١٢٦٥ق.م. ـ ٩٣٠ق.م ويعود زمن المومياء الأولى والأقدم إلى الفترة من عام ٣٠٢٠ ـ ٢٧٩٥ قبل الميلاد»(٤) ويدل ذلك على وجود ومعرفة التحنيط في دولة وحضارة سبأ منذ الألف الرابع قبل الميلاد وفي الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد، فالمومياءات ونتائج التنقيب الألماني في سدّ مأرب والتنقيبات الأميركية في وادي الجوبة بمأرب وفي موقع (هجر حميد) هي دلائل على أن دولة وحضارة سبأ كانت موجودة منذ الألف الرابع قبل الميلاد وفي الألف الثالث حتى الألف الأول قبل الميلاد، وأن الزمن الصحيح لبداية دولة وحضارة سبأ هو حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد، ولكن بداية وشروق فجر

(١) تقارير معهد الآثار الألماني + مجلة الوطن ـ مكتشفات جديدة ـ د. يوسف محمد عبد اللّه العدد ٥/ السنة ١١/ يونيو ١٩٨٨م.

(٢) تاريخ الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٦ ـ ترجمة م... الدراسات ـ ٢٠٠١م.

(٣) تقرير نشاطات معهد الآثار الألماني ببرلين ـ صحيفة الثورة ـ صنعاء ـ عدد ٥/ ١/ ١٩٨٤م.

(٤) تقرير المختبر الفيزيائي الهولندي ـ مجلة الاتحاد ـ ٢٣/ ١١/ ١٩٨٨م.

الحضارة في اليمن أقدم من ذلك بآلاف السنين، فقد اتخذ تاريخ اليمن التليد المسار التالي:

أولاً

أزمنة الحياة الإنسانية الأقدم في اليمن

إن اليمن من أقدم المناطق التي شهدت بداية واستمرار الحياة الإنسانية في كوكب الأرض بل إن اليمن هو مهد الحياة الإنسانية في الوطن العربي ومنطقة الشرق الأدنى القديم جميعها. فقد أسفرت تنقيبات ومسوحات بعثة الآثار الأميركية في وادي الجوبة بمأرب سنة ١٩٨٥م عن العثور على بقايا إنسانية تم أخذها وفحصها بأشعة الكربون ١٤ في فرجينيا بالولايات المتحدة الأميركية، وقد بعثت البعثة الأثرية الأميركية رسالة عن نتائج الفحص إلى هيئة الآثار بتاريخ ١٤/ ٨/ ١٩٨٥م جاء فيها ما يلي نصه:

«إن زمن البقايا الإنسانية المعثور عليها في وادي الجوبة يعود إلى ما قبل ستمائة ألف سنة. وتكتسب أهمية بالغة لمعرفة تاريخ المنطقة منذ ما قبل خمسمائة ألف سنة وحتى الحاضر»(١).

وكذلك أسفرت تنقيبات قامت بها بعثة أثرية سوفيتية بمنطقة ريبون وعدة مواقع وكهوف بمحافظة حضرموت ومحافظة لحج سنة ١٩٨٣ ـ ١٩٨٥م عن كشف أدوات أثرية استعملها الإنسان اليمني الأقدم في أزمنة الباليولتيك، وجاء في تقرير البعثة السوفيتية عن مكتشفات موقع ريبون بحضرموت ما يلي نصه:

« . . إن وجود هذه الآثار يعطينا اليقين الأساس بأن الناس عاشوا على أرض اليمن منذ مليون سنة وحتى الآن. . كما أن بعض الأدوات التي عثرنا عليها هي أقدم أدوات أزمنة الباليولتيك المعروفة. وتوجد لأول مرة ليس فقط باليمن بل في المنطقة كلها»(٢).

وقد عثرت البعثة السوفيتية في المواقع والكهوف التي قامت بالتنقيب فيها بمحافظات حضرموت ولحج والضالع على (٤٠٠٠) أداة مصنوعة من الحجر والصوان أغلبها (سكاكين ـ سهام ـ مقاشط ـ فؤوس ـ سواطير) حيث ـ كما جاء

(١) رسالة بعثة دراسة الإنسان الأميركية ـ ١٤/ ٨/ ١٩٨٥م.

(٢) تقرير البعثة السوفيتية ـ مجلة الحكمة ـ العدد ١٠٨ ـ سبتمبر ١٩٨٣ + تاريخ الشرق القديم ـ دار التقدم ـ موسكو ـ ١٩٨٨م.

في تقرير البعثة ـ «تعود الأدوات التي تم العثور عليها إلى كافة أزمنة وعصور الباليولتيك وهي العصور الحجرية القديمة (٦٣٠٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ ق.م.) ثم زمن النيولتيك (٨٠٠٠ ـ ١٠٠٠ ق.م.) وهذا يعني أن الناس عاشوا على هذه الأرض بشكل دائم منذ أقدم الأزمنة المعروفة لدى العلماء وحتى الآن»[١].

وكذلك «أسفرت أعمال مسح قامت بها بعثة أثرية فرنسية عن العثور على عدة فؤوس في موقع جبل تلع استعملها الإنسان قبل مئات الآلاف من السنين، كما عثرت البعثة على أدوات ـ في عدة مواقع بشمال اليمن ـ يعود زمنها إلى مائة ألف سنة». وكذلك «دلت الأبحاث الأثرية ـ الألمانية ـ على أن الإنسان قد عاش في منطقة قاع جهران منذ أكثر من مائة وعشرين ألف سنة مضت»[٢]. كما أسفرت تنقيبات وأبحاث بعثات أثرية ألمانية وإيطالية في مناطق من الحدا (ذمار) والمسنة (البيضاء) والأعروش وبين حدين (خولان) عن العثور على أدوات أثرية تعود إلى زمن الباليولتيك الأوسط (١٢٠٠٠٠ ـ ٣٥٠٠٠ ق.م.) وزمن الباليولتيك الحجري الأعلى أو المتأخر (٣٥٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ ق.م.) وتدل على «أن إنسان العصور الحجرية القديمة في اليمن مارس كل النشاطات البشرية الموجودة حينذاك. وبوجود آثار العصور الحجرية ـ الباليولتيك ـ في اليمن تُدحض فلسفة البعض الذين يدلون بأن الحضارة اليمنية مستوردة وليس لها جذور تاريخية، فالمواقع المكتشفة في خولان وذمار والحدا وغيرها تؤكد أن الإنسان اليمني له جذور قديمة بدأت منذ أن دبّت الحياة على سطح كوكب الأرض»[٣].

ويكتسب عصر الباليولتيك الحجري الأعلى أو المتأخر «The Upper or Later Palaoltic» والذي يحدده العلماء بالفترة من (٣٥٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ ق.م.) أهمية أساسية لأنه ـ غالباً ـ عصر ما بعد طوفان نوح، فقد كان اليمن هو المركز الحيوي الذي أشرقت فيه شمس الحياة بعد الطوفان، أو منذ بداية عصر الباليولتيك الأعلى المتأخر، فخلال أزمنة ومراحل ذلك العصر (من عام ٣٥٠٠٠ق.م. ـ ٨٠٠٠ ق.م.) كان من معالم مسيرة الحياة الإنسانية في اليمن (جنوب الجزيرة العربية) ما يلي:

١ ـ نشوء وانتشار عشائر وقبائل الطبقة الأولى من العرب العاربة الساميين في

(١) تقرير البعثة السوفيتية ـ مجلة الحكمة ـ العدد ١٠٨ ـ سبتمبر ١٩٨٣ + تاريخ الشرق القديم ـ دار التقدم ـ موسكو ـ ١٩٨٨م.

(٢) تقرير البعثة الفرنسية + مقال (مسار الحضارة اليمنية ـ عثمان خليفة ـ صحيفة الثورة ـ عدد ١٢/٤/١٩٨٦م.

(٣) مواقع أثرية جديدة ـ أحمد لطف العطاب ـ هيئة الآثار ـ صحيفة الثورة ـ ٨/ ١٩٨٤م.

أرجاء واسعة من اليمن. وقد نقل فرج الله ديب عن المؤرخ العالمي (أرنولد توينبي) قوله: «إن منطقة غرب آسيا ـ ومنها جنوب الجزيرة العربية ـ هي رقعة الثقل السكاني الرئيسية في الجزء المعروف بالأيكومين ـ أي الحيوي المسكون ـ من العالم القديم»[١]. وسكان اليمن في ذلك العصر هم العرب العاربة الساميون وقد سماهم ابن خلدون (الطبقة الأولى من العرب العاربة) وقال: «هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح وأعظمهم قدرة وأشدهم قوة وآثاراً في الأرض، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم يمتنع إطلاعنا عليها لتطاول الأحقاب ودروسها إلا ما يقصه علينا الكتاب أو يُؤثر عن الأنبياء بوحي الله إليهم.. وهؤلاء العرب العاربة ـ أي الطبقة الأولى ـ شعوب كثيرة منهم عاد وثمود وأميم والعمالقة وعبيل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضور والسلفات.. وسُمّي أهل ذلك الجيل العرب العاربة إما بمعنى الرساخة في العروبيّة كما يُقال: ليلٌ أليل، وإما بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها، وقد تُسمى العرب البائدة»[٢]. فأولئك هم سكان اليمن القدماء الأوائل الذين حفظت لنا ذاكرة الأجيال وكتب التاريخ أنهم تناسلوا من ذرية أبناء سام بن نوح، وتدل الأدوات الأثرية لعصر الباليولتيك الأعلى المعثور عليها في المواقع والمناطق سالفة الذكر من اليمن بأن عشائر وقبائل تلك الأمة انتشروا وعاشوا في أرجاء واسعة من بينها مأرب والرّبع الخالي والأحقاف وحضرموت وشبوه والبيضاء ولحج والضالع وذمار والحدا وخولان إلى تهامة ونجران وعسير. وهم قبائل كثيرة منهم في الإكليل وتاريخ ابن خلدون قبائل: عاد، وأشوذ، وعبيل، وعاثر، ومأرب بن فاران، وهران، وقائنة، وكنعان، وأثابر، وعبد ضخم، وجاسم، وثمود، والعمالقة، وددان، وحضور الأولى، والسلفات، وبني مطر.

٢ ـ إن سكان اليمن الأقدمين أولئك في عصر الباليولتيك الأعلى والمتأخر (٣٥٠٠٠ ق.م. ـ ٨٠٠٠ ق.م.) مارسوا كل النشاطات البشرية الموجودة آنذاك حيث: عاشوا حياة القنص والصيد، واتخذوا من المرتفعات والكهوف مساكن لهم، وصنعوا سكاكين وفؤوس وسهام وسواطير ومقاشط من الحجر والصوان، وصنعوا الملابس من جلود الحيوانات، وعرفوا واستخدموا النار.

(١) اليمن هي الأصل ـ فرج الله ديب ـ ص١٤.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٥٤ جـ٢.

وفيما بين سنة (١٨٠٠٠ ـ ١٤٠٠٠ ق.م.) تم إتقان صنع رقائق من حجر الصوان والحصول منها على نصال دقيقة جداً، وفيما بين سنة (١٤٠٠٠ ـ ٩٠٠٠ ق.م.) تم استخدام الرماح في القنص والصيد، وبدأ الانتقال إلى طور الزراعة، فقد دلت الدراسات الجيمورفولوجية والمناخية على أنه ـ وكما يذكر د. أحمد سوسة ـ «كان يسود جنوب الجزيرة العربية مناخ دافىء تكثر فيه الأمطار، وكانت بعض الأودية الحالية كالأنهار الجارية، وكانت الثمار البرية والقمح والشعير ينبتان بشكل طبيعي دون أن يُزرع.. وهناك دلائل على أن الماشية بما فيها الجاموس والمعز والشاة دُجنت واستخدمت اقتصادياً في اليمن قبل أن تُدجن في مصر والعراق.. والأرجح أن سكان الجزيرة العربية انتقلوا من طور القنص والصيد إلى الفلاحة والزراعة على الريّ خلال العشرة آلاف سنة الأخيرة من دورة ورم ـ [منذ ما بين سنة ٢٥٠٠٠ ق.م. وسنة ١٥٠٠٠ ق.م.] ـ وبذا يكون العرب الذين أُطلق عليهم اسم ساميين (خطأً) أولَ من اخترع الزراعة التي تعتمد على الريّ، وأول وأقدم من مارس الفلاحة والزراعة..»(١) وباكتمال انتقال العرب اليمانيين القدماء في جنوب الجزيرة العربية إلى مرحلة الزراعة والتجمعات السكانية في الألف العاشر قبل الميلاد ـ أو عام ٩٠٠٠ ق.م. ـ بدأت عصور الحضارة الأقدم في تاريخ الإنسانية.

ثانياً

عصور الحضارة اليمنية الأقدم

(٩٠٠٠ـ ٣٥٠٠ق.م.)

إن حضارة اليمن لم تبدأ في القرن الخامس ق.م. كما توهم وأشاع بعض المستشرقين والأكاديميين، وإنما بدأت عصور الحضارة في اليمن منذ الألف العاشر قبل الميلاد وفي الألف التاسع قبل الميلاد، وقد دلت نتائج التنقيبات الأثرية على حقيقة هامة أشار إليها البروفيسور أدموند بوخنر رئيس معهد الآثار الألماني في برلين حيث أدلى البروفيسور أدموند بوخنر ـ سنة ١٩٨٦م ـ بتصريح هام قال فيه ما يلي نصه:

«إن اليمن من الأقطار الهامة للأبحاث الأثرية نظراً لوجود أقدم الحضارات

(١) حضارة الرافدين ـ د. أحمد سوسة ـ ص٥٨ ـ دار الحرية ـ بغداد ـ ١٩٨٠م.

فيها، وكان اعتقادنا في الماضي أن أقدم المراكز الحضارية في العالم هي مصر وبلاد الرافدين، أما الآن فقد اتضح أن اليمن من أقدم المراكز الحضارية في العالم»(١).

لقد وضع أدموند بوخنر حضارات مصر وبلاد الرافدين واليمن بأنها أقدم المراكز الحضارية في العالم، مما يعني اتضاح عودة عصر الحضارة في اليمن إلى عام (٥٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ق.م.) باعتبار ذلك هو زمن بداية مسيرة الحضارة في مصر وبلاد الرافدين، ولكن الحضارة في اليمن بدأت قبل ذلك بكثير، وقد أشار أدموند بوخنر إلى ذلك في قوله «إن اليمن من الأقطار الهامة للأبحاث الأثرية نظراً لوجود أقدم الحضارات فيها». وهذا يعني أن الحضارة في اليمن أقدم من مصر وبلاد الرافدين، وأن الحضارة في اليمن هي الأقدم في تاريخ الإنسانية، بل إن الهجرات التي انتقلت من اليمن ـ جنوب الجزيرة العربية ـ إلى بلاد الرافدين ومصر في ذلك الزمن هي التي حملت مشعل الحضارة إلى تلك الآفاق.

إن كون اليمن أقدم المراكز الحضارية يعود إلى سبب وعامل رئيسي هو الإنسان، فقد دلت التنقيبات الآثارية بأن الناس عاشوا في أرجاء اليمن طيلة عصور الباليولتيك وأن مناطق واسعة من اليمن ـ جنوب الجزيرة العربية ـ كانت عامرة بالسكان والقبائل في عصر الباليولتيك الأعلى والمتأخر (في الزمن ٣٥٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ ق.م.) بينما كانت مصر والشام وغيرها نادرة السكان وكان الجليد يغطي أوروبا ومنطقة البحر الأبيض المتوسط في ذلك الزمن من أزمنة دورة ورم Wurm الجليدية بحيث كانت مصر والشام وما على سمتهما من المناطق شديدة البرودة وخالية في معظمها من السكان، فخلال تلك العصور كانت جنوب الجزيرة العربية ـ بمدلولها الواسع القديم ـ هي منطقة الثقل السكاني الحيوي الرئيسي في غرب آسية بسبب مناخها الدافىء واضطراد مسيرة الحياة الإنسانية في ربوعها بحيث أشرق فجر الحضارة في اليمن بالانتقال من حياة الكهوف والقنص والصيد إلى حياة الزراعة والتجمعات والقرى الزراعية السكانية وتربية الماشية منذ الألف العاشر قبل الميلاد أو منذ عام ٩٠٠٠ ق.م. فقد دلت الدراسات الجيمورفولوجية والمناخية على أنه ـ وكما ذكر د. أحمد سوسة ـ «كان يسود جنوب الجزيرة العربية مناخ دافىء تكثر فيه الأمطار.. وكانت الثمار البرية والقمح والشعير ينبتان بشكل طبيعي دون أن يُزرع.. وهناك دلائل على أن

(١) تصريحات أدموند بوخنر ـ صحيفة الثورة ـ عدد ١٢/ ٤/ ١٩٨٦م.

الماشية بما فيها الجاموس والمعز والشاة دُجنت واستخدمت اقتصادياً في اليمن قبل أن تُدجن في مصر والعراق.. والأرجح أن انتقال سكان الجزيرة العربية من طور القنص والصيد إلى الفلاحة والزراعة والري قد تم خلال العشرة آلاف سنة الأخيرة من دورة ورم الجليدية، وبذا يكون العرب الذين أُطلق عليهم اسم ساميين (خطأً) أول من اخترع الزراعة التي تعتمد على الريّ، وأول وأقدم من مارس الفلاحة والزراعة، وأول من أسس الحضارة الإروائية في العالم.. ولما كانت الزراعة والريّ عماد الحضارة القديمة فالعرب إذاً هم مؤسسو الحضارة الإنسانية في أقدم مراحلها.. وهذا يفسر لنا كيف استطاع الذين هاجروا من جزيرة العرب إلى بلاد الهلال الخصيب أن يؤسسوا أقدم الحضارات في مستوطناتهم في وادي الرافدين فقد كانوا مزودين بخبرة فنية في الزراعة التي تعتمد على الريّ ـ اكتسبوها في موطنهم الأول جنوب الجزيرة العربية ـ فنقلوا حضارتهم معهم إلى عالمهم الجديد»(١). وقال المؤرخ أرنولد توينبي: «يمكننا القول بشيء من الثقة أن الزراعة وتربية الماشية وتقنية قلع قطع كبيرة وثقيلة من الحجر ونقلها، هذه الأشياء كلها أُختُرعت لأول مرة في الجزء الحيوي المسكون المعروف بالأيكومين في منطقة غرب آسيا»(٢) وهي منطقة جنوب الجزيرة العربية التي منها انتقلت معرفة تلك الأشياء فيما بعد إلى بلاد الرافدين والهلال الخصيب ومصر. إن عصور الحضارة اليمنية الأقدم تشتمل على عصرين، **أولهما**: عصر فجر الحضارة وهو عصر حضارة عاد وقبائل الأمة الأولى من العرب العاربة الساميين اليمانيين من حوالي ٩٠٠٠ ق.م. إلى ٥٠٠٠ ق.م. **وثانيهما**: العصر الحضاري البرونزي اليعربي القحطاني من ٥٠٠٠ ق.م. إلى ٣٥٠٠ ق.م.

أ ـ معالم عصر فجر الحضارة.. عصر حضارة عاد:

١ ـ إن سكان اليمن في عصر فجر الحضارة هم قبائل عاد وإخوانهم من العرب العاربة الساميين الأوائل، فأولئك هم ـ كما وصفهم ابن خلدون ـ «أقدم الأمم من بعد قوم نوح، وأعظمهم قدرة، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم يمتنع اطلاعنا عليها لتطاول الأحقاب ودروسها..».

وكانت عاد أهم وأكبر قبائل تلك الأمة الأولى من العرب العاربة سكان

(١) حضارة الرافدين ـ أحمد سوسة ـ ص٥٨ ـ ٦٠.
(٢) اليمن هي الأصل ـ فرج الله ديب ـ ص١٤.

اليمن في عصر الباليولنيك الأعلى والمتأخر. قال ابن خلدون: «عاد: هم بنو عاد بن عوص بن إرام بن سام، وكانت مواطنهم بأحقاف الرمل» وقال: «رمال الأحقاف بحضرموت وكانت مواطن عاد.. وكانت حضرموت لعاد مع الشحر وعمان»(*) وقال ابن كثير: «كانت عاد تسكن الأحقاف وهي جبال الرمل باليمن بين عمان وحضرموت في أرض مطلة على البحر يُقال لها الشحر..»(**).

وقد تزعمت عاد كافة قبائل الأمة الأولى من العرب العاربة في أرجاء اليمن إلى مناطق تم استيطانها في مكة ومواقع من الطريق إلى الشام منذ الألف التاسع ق.م.(١) وكانت حضارة عاد هي أقدم وأول حضارة في تاريخ الإنسانية بعد طوفان نوح، ويدل على ذلك قول الله عز وجل في القرآن الكريم مخاطباً قوم عاد: ﴿... وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

٢ ـ كانت الزراعة وتربية واستخدام الماشية وبناء القرى والتجمعات السكنية هي المعالم الرئيسية لعصر فجر الحضارة في اليمن، وهي نفس المعالم التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم عن قوم عاد حيث قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾(**) [الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٤]. وقال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾(**) [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩].

٣ ـ وفي حوالي الألف الثامن ق.م. بعث الله تعالى النبيّ هود عليه السلام إلى قومه عاد. وقد جاء في الإكليل أن هود النبي هو عابر وفي مروج الذهب «هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن مخلد بن عاد». وقد ذكر الله تعالى في آيات كثيرة بالقرآن الكريم نبأ عاد والنبي هود، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]. ـ صدق الله العظيم ـ فلما حقّ عليهم الهلاك فارقهم النبي هود عليه السلام والذين معه، ثم عصفت بديار قبيلة عاد بالأحقاف رياح صرصر عاتية حتى هلكوا، بينما استقر النبي هود في منطقة

(*) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢٢٢ جـ٤.
(**) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٢٠ ـ ١٢٥ جـ٢.
(١) دلت أعمال تنقيب في سوريا أن أقدم استيطان سامي كان في موقع تل المرابيط في الألف التاسع ق.م. وذلك يعني أن هجرة وانتقال العرب الساميين من جنوب الجزيرة إلى الشام بدأت ـ وكما ذكر أحمد سوسة ـ منذ الألف التاسع ق.م.

اليمن في عصر الباليولتيك الأعلى والمتأخر. قال ابن خلدون: «عاد: هم بنو عاد بن عوص بن إرام بن سام، وكانت مواطنهم بأحقاف الرمل» وقال: «رمال الأحقاف بحضرموت وكانت مواطن عاد.. وكانت حضرموت لعاد مع الشحر وعمان»(*) وقال ابن كثير: «كانت عاد تسكن الأحقاف وهي جبال الرمل باليمن بين عمان وحضرموت في أرض مطلة على البحر يُقال لها الشحر..»(**).

وقد تزعمت عاد كافة قبائل الأمة الأولى من العرب العاربة في أرجاء اليمن إلى مناطق تم استيطانها في مكة ومواقع من الطريق إلى الشام منذ الألف التاسع ق.م.[1] وكانت حضارة عاد هي أقدم وأول حضارة في تاريخ الإنسانية بعد طوفان نوح، ويدل على ذلك قول الله عز وجل في القرآن الكريم مخاطباً قوم عاد: ﴿... وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

٢ ـ كانت الزراعة وتربية واستخدام الماشية وبناء القرى والتجمعات السكنية هي المعالم الرئيسية لعصر فجر الحضارة في اليمن، وهي نفس المعالم التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم عن قوم عاد حيث قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾(**) [الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٤]. وقال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾(**) [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩].

٣ ـ وفي حوالي الألف الثامن ق.م. بعث الله تعالى النبيّ هود عليه السلام إلى قومه عاد. وقد جاء في الإكليل أن هود النبي هو عابر وفي مروج الذهب «هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن مخلد بن عاد». وقد ذكر الله تعالى في آيات كثيرة بالقرآن الكريم نبأ عاد والنبي هود، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]. ـ صدق الله العظيم ـ فلما حقّ عليهم الهلاك فارقهم النبي هود عليه السلام والذين معه، ثم عصفت بديار قبيلة عاد بالأحقاف رياح صرصر عاتية حتى هلكوا، بينما استقر النبي هود في منطقة

(*) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢٢٢ جـ٤.

(**) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٢٠ ـ ١٢٥ جـ٢.

(١) دلت أعمال تنقيب في سوريا أن أقدم استيطان سامي كان في موقع تل الحرابيط في الألف التاسع ق.م. وذلك يعني أن هجرة وانتقال العرب الساميين من جنوب ا لجزيرة إلى الشام بدأت ـ وكما ذكر أحمد سوسة ـ منذ الألف التاسع ق.م.

شرق وادي حضرموت هو والذين آمنوا معه وكان فيهم ابنة قحطان بن هود. ومات النبي هود عليه السلام في حضرموت حيث ما زال موضع قبره معروفاً حتى اليوم.

٤ ـ وقد دلّت وقدرت بعض الدراسات أنه: «كان قحطان من رجال الألف السابع أو الألف الثامن قبل الميلاد»[1] وقد جاء ذكر قحطان في كتاب التوراة بلفظ يقطان أو «يقطن بن عابر..». قال ابن خلدون: «قحطان هو معرب يقطن. والعرب تتصرف بالأسماء بتبديل حروفها وتقديم بعضها على بعض» إلى أن قال «إن قحطان هو معرب يقطن وهو الصحيح». بينما الأصوب أن يقطن تعجيم قحطان، والمهم أن يقطن في التوراة هو قحطان، وكذلك جاء في كتاب الأمم السامية أن يقطن في التوراة هو قحطان حيث جاء في (سفر التكوين) بالتوراة أنه: «أنجب يقطن ثلاثة عشر ولداً، وهم: مود، وشالف، وحضرموت، وأوزال، وأوفير، وشيبا، ويارح، وهدورام، ودقلة، وعوبال، وأبيمال، وحويله، ويوباب. جميع هؤلاء بنو يقطن. مساكنهم من ميشا حينما تجيء حتى سفار جبل المشرق»[2]. وجاء في كتاب الأمم السامية تفسيراً لنص التوراة ما يلي نصه: «المراد من ميشا حتى سفار: أي المقاطعات الواقعة في الجنوب الشرقي من جزيرة العرب، وكانت القبائل الثلاث عشرة المنحدرة من قحطان تقيم بتلك المقاطعات، ومنها حضرموت التي سميت بلاد حضرموت بها، وأوفير: وكانت تسكن مرفأ بحرياً اشتهر في التاريخ القديم، وحويله: والمراد بحويلة بلاد الأحقاف والبلاد الرملية وكانت إقليماً يحيط به نهر تسميه التوراة فيشون، وقبيلة شيبا: وهي سبأ التي تنتسب إليها الدولة السبئية»[3].

ولقد تناسلت وانحدرت تلك القبائل الثلاث عشرة من أبناء قحطان خلال أجيال وعصور امتدت حتى الألف الثالث قبل الميلاد، بحيث امتدت مساكن قبائل قحطان من ميشا ـ شمالاً ـ إلى ظفار جبل المشرق في عُمان ـ شرقاً ـ وإلى بلاد أوفير بن قحطان وهي المعافر إلى ساحل البحر الأحمر ـ غرباً ـ ويشمل ذلك كل أرجاء جنوب الجزيرة العربية. وقد جاء ذكر قحطان في حديث نبوي، قال الحافظ ابن كثير ما يلي نصه: «قال البخاري (باب ذكر قحطان) حدثنا

(١) اليمن الإنسان والحضارة ـ عبد الله الشماحي ـ ص٣٥.

(٢) التوراة ـ سفر التكوين ـ الإصحاح العاشر.

(٣) الأمم السامية ـ حامد عبد القادر ـ ص٨٤.

عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي مغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه». وكذا رواه مسلم عن قتيبة عن الدراوردي عن ثور بن زيد به»[1]. قال ابن خلدون: «وليس بين الناس خلاف في أن قحطان أبو اليمن كلهم». ـ وإنما وقع الخلاف في نسب قحطان ـ نال الحسن بن أحمد الهمداني: «قال جُلّ قحطان هو قحطان بن عابر.. ثم افترقوا، فقال أقلّهم: قحطان بن عابر وليس النبي هود المُرسل، وقال أكثرهم: إن عابر هو النبي هود، فقحطان بن عابر هو قحطان بن هود»[2]. وقد تواتر عند أجيال علماء ورجالات الأمة اليعربية القحطانية عبر الأزمنة والعصور أن قحطان هو قحطان ابن النبي هود عليه السلام. قال حسان بن ثابت الأنصاري:

ويعربُ يَنْمِيهِ لقحطان ينتمي ... لِهُودٍ نبيّ الله فوق الحبائك
يمانون عاديّون لم تختلط بنا ... مناسب شابت من أُولي وأولئك[2]

وقال الهمداني في الدامغة:

سِوَانا آل قحطان ابن هودٍ ... لأنا للخلائق قاهرونا

وقال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك اليمن التليد:

أفأينَ هودٌ ذو التُّقى ووَصِيُّه ... نَخطَانُ زرْعُ نُبُوَّةٍ وصَلاحِ

وقال أبو الطيب المتنبي:

إلى الشمرِ الحلوِ الذي طبيءٌ له ... فروعٌ وقحطانُ ابن هودٍ لها أصلُ[3]

وقال الهمداني في الإكليل: «قرأت في السجل الأول: أولد قحطان بن هود أربعة وعشرين رجلاً: يعرب، والسَلف الكبرى، ويشجب، وأزال وهو الذي بنى صنعاء، ويكلى..» وقال « ..وجرهماً.. وحضرموت.. ويامناً.. وهذرماً.. وقال الهيثم بن عدي: ويعفر بن قحطان»[4] وقد ذكر الهمداني أكثر من ثلاثين اسماً، ونرى أن أغلبهم من أحفاد قحطان، وأن أبناء قحطان كانوا ثلاثة عشر كما في التوراة، ومنهم (شالف، وحضرموت، وأوزال، وأوفير، وهدورام) وهم في الإكليل «السلف، وحضرموت، وأزال، ويعفر، وهذرم» وقد

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٥٨ جـ٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٢٤ جـ١.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٠٤ و ١٩٢ جـ١.

انتشرت قبائل قحطان في كل أرجاء اليمن ـ جنوب الجزيرة العربية ـ خلال عصر فجر الحضارة اليمنية، حيث تكونت الأمة الثانية من العرب العاربة وهم بنو قحطان بينما كانت الأمة الأولى من العرب العاربة الساميين ما تزال نعيش أغلبها في اليمن بعد هلاك عاد ومنهم أشوذ ولاوذ وفاران وكنعان والعمالقة وغيرهم من قبائل الأمة الأولى من العرب العاربة، قال ابن خلدون:

«وكان بنو قحطان معاصرين لإخوانهم من العرب العاربة ومظاهرين لهم على أمورهم، ولم يزالوا مجتمعين في مجالات البادية، مُبعدين عن رتبة الملك وترفهه الذي كان لأولئك، فأصبحوا بمنجاة من الهرم الذي يسوق إليه الترف والنظارة، فتشعبت في أرض الفضاء فصائلهم وتعدّد في جو القفر أفخاذهم وعشائرهم ونميَ عددهم، وكثرت إخوانهم من العرب العاربة في آخر ذلك الجيل، فزاحمهم بنو قحطان بمناكبهم واستجذوا خلق الدولة لبني نحطان»[1].

ب ـ عصر الحضارة البرونزية.. العصر اليعربي القحطاني:

في عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد بدأ في اليمن عصر الحضارة البرونزية والذي اقترن بقيام أول دولة في تاريخ اليمن بزعامة يمن يعرب بن قحطان. فقد أسفرت تنقيبات أثرية قامت بها بعثة الآثار الإيطالية عن كشف أطلال مدينة في موقع وادي يناعم بمنطقة الأعروش في خولان بين صنعاء ومأرب يعود زمنها إلى سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد وكذلك فقد كشفت البعثة الإيطالية موقع مدينة أخرى في ذات المنطقة وهو (موقع بين حدين) وموقع ثالث في المسنة ـ بالبيضاء ـ ويعود زمن تلك المدن والمواقع إلى الألف الخامس والألف الرابع قبل الميلاد، وقد كتب البروفيسور أليساندو دي ميغريت رئيس البعثة الأثرية الإيطالية دراسة عن مكتشفات وآثار ذلك العصر بعنوان:

«حضارة العصر البرونزي النحاسي في جنوب الجزيرة العربية»[2].

وذلك لأنه تم العثور على أدوات مصنوعة من البرونز والنحاس والمعادن في تلك المدن والمواقع الأثرية تدل على ابتكار صناعة أدوات من البرونز والنحاس في اليمن منذ الألف الخامس قبل الميلاد وكان ذلك أهم معالم الحضارة اليمنية في ذلك العصر الذي استمر إلى الألف الرابع والألف الثالث قبل الميلاد. ولكن المكتشفات الأثرية والقرائن الزمنية تعطينا الأساس أيضاً لإدراك

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٤٧ جـ٢.
(٣) حضارة العصر البرونزي في جنوب الجزيرة العربية ـ أليساندرو دي ميغريت ـ ١٩٨٤.

أن ذلك العصر الذي بدأ سنة ٥٠٠٠ ق.م. هو الذي قال عنه ابن خلدون أن بني قحطان « . .تعدّدت أفخاذهم وعشائرهم ونمى عددهم، وكثرت إخوانهم من العرب العاربة في آخر ذلك الجيل فزاحمهم بنو قحطان بمناكبهم واستجدّوا خلق الدولة لبني قحطان»(١). فذلك هو الحدث التاريخي الأكبر الذي نرى اعتباره أحد وأهم عشرة معالم لحضارة اليمن في ذلك العصر التليد وهي:

- قيام دولة اليمن اليعربية القحطانية.
- وقوع الهجرات السامية الأولى من اليمن.
- صناعة واستخدام البرونز والنحاس والمعادن.
- الزراعة.. وإنتاج المحاصيل الزراعية.
- تشييد أقدم السدود في التاريخ.
- تربية واستخدام الحيوانات.
- الإنتاج الجماعي لأدوات تحويل منتجات الحبوب.
- صناعة الأواني الفخارية وتطويرها.
- تشييد أوائل المدن في التاريخ.
- بناء المعابد.. والعقيدة الدينية.

ونذكر تلك المعالم فيما يلي:

١ ــ قيام دولة اليمن اليعربية القحطانية:

في حوالي عام ٥٠٠٠ ق.م. قامت في جنوب الجزيرة العربية أول دولة في التاريخ بزعامة يعرب بن قحطان. قال ابن خلدون: «قال ابن هشام: إن يعرب بن قحطان كان يُسمَّى يمناً وبه سُمّيت اليمن»(٢) ويتبين من المصادر التاريخية والقرائن الزمنية:

ـ أن يعرب بن قحطان ليس ابناً مباشراً لقحطان، إذ أنه: «كان قحطان من رجال الألف السابع أو الألف الثامن ق.م. وتدل طبيعة النمو أن بين يعرب وقحطان عشرات القرون فيها تكاثر أبناء قحطان وتناسلت قبائلهم وما زال جمعهم يشتد وينمو إلى عصر يعرب.. أما جعله ابن قحطان فهو من قبيل اتصال

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٤٧ جـ٢.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٢٨.

نسبه بقحطان، لا أنه ابنه بلا فاصل»(١). وكذلك يُقال (سيف بن ذي يزن) وبينهما أجيال كثيرة، فيعرب بن قحطان بمعنى يعرب سليل قحطان. وقد سلف ذكر نص (سِفْر التكوين) بالتوراة بأنه أنجب قحطان ١٣ ولداً، وليس بينهم يعرب، وإنما أبناء قحطان هُم: «مود (ثمود)، وشالف (السلف)، وحضرموت، وأوزال (= آزال)، وأوفير (= يعفر والد المعافر)، وشيبا (= سبأ)، ويارح، وهدورام، ودقله، وعوبال (= عبيل)، وأبيمال، وحويلة، ويوباب. وانحدرت منهم ١٣ قبيلة، وانتشرت مساكنهم من ميشا (المخا/ المعافر) حتى سفار (ظفار) جبل المشرق». وكذلك: كثرت إخوانهم من قبائل العرب العاربة الساميين في آخر ذلك العصر فزاحمهم بنو قحطان بمناكبهم، واستجدّوا خلق الدولة لبني قحطان بزعامة يعرب في أوائل الألف الخامس ق.م.

ـ وكان اسم يعرب بن قحطان يمن. أي أن اسمه «يمن يعرب» ـ اسم ونعت ـ مثل اسم (ياسر ينعم) و (شمر يُرعش) وكثير من ملوك اليمن القديم، فكذلك كان اسم يعرب: «يمن يعرب»، وقد وقع الظن بأنهما شخصان يعرب ويمن، فجاء في الإكليل: إن من أبناء قحطان «ايامن بن قحطان، وبه سُمّي اليمن»(٢) وقال صاحب قرة العيون: «قال جمهور العلماء: اليمن اسم لولد قحطان، سُمّوا بأبيهم يمن وبهم سميت الناحية التي سكنوها»(٣). والأصوب كما ذكر ابن خلدون وابن هشام: «أن يعرب بن قحطان كان يُسمى يمناً وبه سُمّيت اليمن». وقد رجحنا ذلك وصوبناه لأن هذا البلد لم يكن له اسم جامع وإنما كل منطقة تُسمى باسم القبيلة التي تسكنها فلما توحدت البلاد والقبائل بزعامة يمن يعرب بن قحطان سُمّي البلد باسمه (يمن) وسُميت الدولة دولة (يمن يعرب) فأصبح (يمن) هو الاسم الجامع لهذا البلد الممتد من ساحل المخا والمعافر بالبحر الأحمر غرباً إلى ظفار عُمان شرقاً وإلى مكة شمالاً. وقد قيل أيضاً أن اليمن سُمّي يمناً لأنه يقع يمين الكعبة، وذلك لأن اليمن يمتد إلى يمين الكعبة، أما السبب الأساسي للاسم فهو قيام أول وأقدم دولة في التاريخ بزعامة الملك يمن يعرب بن قحطان فسُميت الدولة باسمه دولة يمن يعرب وسُمّي البلد باسمه يمن. وهو أول وأقدم اسم جامع لهذا البلد (جنوب الجزيرة العربية) لأنه اسم أول وأقدم دولة في التاريخ وهي دولة اليمن اليعربية القحطانية.

(١) اليمن الإنسان والحضارة ـ عبد الله الشماحي ـ ص٣٧.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩٢ جـ١.
(٣) قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ـ ابن الديبع ـ ص٣١.

ـ وقد شمل حكم الملك يعرب بن قحطان الأمتين: أُمة العرب العاربة القحطانية، وأمة العرب العاربة الساميين الذين كانت منهم عاد والعمالقة وكنعان وآشوذ وغيرهم من قبائل الأمة الأولى. وكانت جنوب الجزيرة العربية قد ازدحمت بسكانها من الأمتين بحيث كما ذكر ابن خلدون: إن قبائل قحطان «كثرت إخوانهم من العرب العاربة في آخر ذلك العصر، فزاحمهم بنو قحطان بمناكبهم، واستجدوا خلق الدولة لبني قحطان. فكان يعرب بن قحطان من أعاظم ملوك العرب، وهو الذي مَلَكَ بلاد اليمن وغَلَبَ عليها قوم عاد [أي الأمة الأولى من العرب العاربة] وغَلَب العمالقة على الحجاز، وولى إخوته على جميع أعمالهم، فولّى جرهم بن قحطان على الحجاز، وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر وحضرموت، وعُمان بن قحطان على بلاد عُمان». [ص٤٧/٢] وقال نشوان الحميري: «يعرب بن قحطان هو أول من أُلهم العربية المحضة، وأُشتق اسم (العربية) من اسمه. ويعرب هو أول من عظمه أهل بيته (بنو قحطان) وحيّي بتحية الملك: (أبَيْتَ اللعن) و (أنعم صباحاً)، وكان ملِكاً عظيماً لم يغز، ولم يكن بنو سام تصدر إلّا عن رأيه»[١]. أي أن حكمه شمل الأمة الأولى من العرب العاربة الساميين (بنو سام) الذين كانوا باليمن وكذلك الذين كان بعضهم في الحجاز.

٢ ـ وقوع الهجرات السامية الأولى من جنوب الجزيرة العربية:

لقد كان الازدحام السكاني من العوامل الرئيسية لقيام دولة اليمن اليعربية القحطانية حيث كما أشار ابن خلدون: «أن قبائل قحطان تشعبت فصائلهم ونَمَى عددهم، وكثرت إخوانهم من العرب العاربة، فزاحمهم بنو قحطان بمناكبهم، واستجدوا خلق الدولة بزعامة يعرب بن قحطان، وهو الذي مَلَكَ بلاد اليمن وغَلَب عليها قوم عاد ـ أي العرب العاربة الساميين ـ وغَلَب العمالقة على الحجاز».

وقد ترتب على ذلك وقوع أول موجة هجرة كبيرة من جنوب الجزيرة العربية إلى الحجاز والشام وإلى شرق الجزيرة والعراق، حيث يمكن إدراك أن ذلك كان بتوجيه الملك يعرب بن قحطان لحلّ مشكلة الازدحام السكاني في جنوب الجزيرة العربية. وقد دلت التنقيبات الأثرية والدراسات عن الهجرات السّامية على أنه ـ وكما ذكر د. أحمد سوسة ـ في مطلع الألف الخامس ق.م. «هاجرت من جنوب الجزيرة العربية عن طريق الخليج قبائل استقرت في جنوب العراق حيث السهل الرسوبي الخصب والمياه الغرينية الدائمة والأراضي

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص٨.

الخصبة.. وقد تم اكتشاف مواقع وأطلال القرى والتجمعات السكانية التي أسسوها، **وأولها**: موقع (تل العُبيد) بالقرب من (أور) وقد عيّن بعض العلماء زمن بدء توطن وعصر حضارة موقع العُبيد بمطلع الألف الخامس قبل الميلاد، في حدود عام ٥٠٠٠ ق.م. بينما عيّنه بعضهم بأواسط الألف الخامس ق.م. **وثانيها**: موقع (تل حسونة) وقد عُثر فيه على أطلال قرية يُقدر تاريخها بعام ٤٨٠٠ ق.م. **وثالثها**: موقع بسامراء تم العثور فيه على أدوات فخارية من الألف الخامس ق.م. ثم موقع الوركاء..»[١].

وكذلك انتقلت وهاجرت من اليمن والحجاز قبائل من العمالقة وكنعان استقرت بمناطق من الشام في أوائل الألف الخامس ق.م. وقد تم اكتشاف مواقع وأطلال قرى وتجمعات سكانية أسسوها بالشام، منها: موقع (تل باغوز) في منطقة دير الزور بسوريا ويعود إلى الفترة من ٥٠٠٠ ـ ٤٨٠٠ ق.م. وقد اقترنت تلك الموجة من الهجرة والتوطن في الشام بظهور نوع من الأواني الفخارية اشتهر باسم (فخار تل خلف) ـ نسبة إلى موقع تل خلف ـ وانتشر ذلك النوع من الفخار في الفترة (من ٥٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م.) حيث تم العثور على ذلك النوع من الأواني الفخارية في عدة مواقع منها: أوغاريت (رأس شمره) قرب اللاذقية، وموقع الخابور، وموقع (تبة كورا) قرب الموصل، وعدة مواقع ـ منها الكرمل وأريحا ـ بفلسطين[١].

وأما القبائل التي استقرت بمناطق من الحجاز، فقد ذكر ابن خلدون: «أن يعرب بن قحطان ولّى جرهم بن قحطان على الحجاز». بما يعني أنه أوطن قبيلة جرهم في مكة وما جاورها من الحجاز، ومعها قبيلة قطورا الكنعانية. وكذلك سكنت قبيلة عبد ضخم بالطائف، وسكنت قبيلة عُبيل [وهم عوبال في سفر التكوين] بالجحفة بين مكة والمدينة ومنهم (يثرب بن بائلة بن مهلائل بن عبيل) الذي اختط يثرب، وسكنت قبيلة فاران بمناطق من مكة، وقبيلة ددان بأعالي الحجاز، كما سكنت عشائر من قبيلة ثمود في وادي القرى بأعالي الحجاز.

وقد بقيت في اليمن قبائل كثيرة من أُمة العرب العاربة الساميين الأوائل مثل قبائل أشوذ وأكاد وآرام وكنعان، فعاشوا مع قبائل قحطان إلى أن وقع الازدحام السكاني الثاني في نهاية العصر البرونزي اليعربي القحطاني ـ عام ٣٥٠٠ ق.م. ـ فوقعت موجة الانتقال والهجرة العربية السامية الثانية الكبرى إلى بلاد الرافدين

(١) حضارة الرافدين ـ أحمد سوسة ـ ص٨٣ ـ ٨٩.

والشام ومصر والتي كان منها الأكاديون والآشوريون وقبائل من كنعان والعمالقة والفراعنة كما سيأتي التبيين، وكان الذين انتقلوا وهاجروا في الموجتين: «مزودين بحضارة زراعية اكتسبوها في موطنهم الأول جنوبي الجزيرة العربية فنقلوا حضارتهم إلى عالمهم الجديد»[١].

٣ ـ ابتكار واستخدام البرونز والنحاس والمعادن في اليمن:

لقد كان من أبرز معالم حضارة اليمن منذ أوائل الألف الخامس ق.م. ابتكار صناعة واستخدام البرونز والنحاس وغيرهما من المعادن. فقد كانت دراسات تاريخ العصور القديمة تعتبر أن اكتشاف واستخدام البرونز والنحاس بدأ في مصر وبلاد الرافدين سنة ٣٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م. ولكن التنقيبات والمكتشفات الأثرية في اليمن ـ وأهمها تنقيبات البعثة الأثرية الإيطالية في مواقع مدينة وادي يناعم وبين حدين والمسنة ـ تدل على أن استخدام البرونز والنحاس في اليمن بدأ منذ أوائل الألف الخامس ق.م. واستمر في الألف الرابع ق.م. وما بعد ذلك من العصور، وقد ذكر البروفيسور أليساندو دي ميقريت رئيس البعثة الأثرية الإيطالية في تقريره ودراسته عن «حضارة العصر البرونزي والنحاسي في جنوب الجزيرة العربية» أن من الأدوات التي تم العثور عليها:

ـ «منقاش من البرونز له مقدمة عريضة ومقبض مربع القطاع. من موقع النجد الأبيض.

ـ وأداة برونزية وهي عبارة عن محرز من البرونز ذي رأسين أحدهما حاد والآخر مسطح. من موقع بين حدين.

ـ قطعة من حلية متدلية من المرمر تشير آثارها إلى استعمال أدوات معدنية. من موقع وادي يناعم.

ـ جزء من أداة برونزية. من مواقع وادي حورة.

ـ خرازات عقود من العقيق. من موقع المسنة».

وتدل تلك المكتشفات على أن ابتكار صناعة واستخدام البرونز والنحاس ومعرفة المعادن تم في اليمن منذ الألف الخامس قبل الميلاد، وذلك قبل بلاد الرافدين ومصر بألف سنة، ويتوفر الدليل المادي أيضاً على أن الذين هاجروا إلى مصر وبلاد الرافدين عام ٣٥٠٠ ق.م. ـ وكما ذكر د. سليم حسن ـ «أدخلوا

(١) حضارة الرافدين ـ أحمد سوسة ـ ص٨٣ ـ ٨٩.

إلى مصر معرفة المعادن وخاصة النحاس»[١] فاليمن هو مهد ابتكار واستخدام صناعة البرونز والنحاس ومعرفة المعادن.

٤ ـ الزراعة.. وإنتاج المحاصيل الزراعية:

كانت الدراسات المناخية والجيمورفولوجية قد دلت ـ وكما ذكر د. أحمد سوسة ـ على أنه: «كان يسود جنوب الجزيرة العربية مناخ دافىء تكثر فيه الأمطار، وكانت الثمار البرية والقمح والشعير ينبتان بشكل طبيعي.. وأن انتقال سكان الجزيرة العربية من طور القنص والصيد إلى الفلاحة والزراعة على الريّ قد تم خلال العشرة آلاف سنة الأخيرة من دورة ورم.. وبذا يكون العرب أول من اخترع الزراعة التي تعتمد على الريّ، وأول وأقدم من مارس الفلاحة والزراعة..» وكان المؤرخ العالمي (أرنولد توينبي) قد أشار إلى ذلك حيث قال: «يمكننا القول بشيء من الثقة أن الزراعة وتربية الماشية وتقنية قلع قطع كبيرة وثقيلة من الحجر ونقلها، هذه الأشياء كلها اخترعت لأول مرة في الجزء الحيوي المسكون من منطقة غرب آسيا..» [اهـ].

وقد توفرت الأدلة المادية على صحة أن أرض اليمن هي مهد ابتكار وممارسة الزراعة والفلاحة، حيث دلّت دراسة المواقع والأدوات المكتشفة في وادي يناعم وبين حدين والمسنة ـ والتي تعود إلى الألف الخامس ق.م. ـ على أنه وكما ذكر أليساندو دي ميقريت ـ «أن انطباعات الحبوب على الأدوات الفخارية تدل على زراعة الذرة والشعير والقمح والشوفان والسرغوم [نوع من الذرة] والدُخن». [اهـ].

٥ ـ تشييد أوائل السدود في التاريخ:

وكذلك دلت التنقيبات على استخدام الريّ وبناء السدود في اليمن منذ الألف الخامس ق.م. حيث كشفت البعثة الإيطالية بقايا سد في موقع النجاد يعود إلى ذلك الزمن وجاء في تقرير البعثة: «أن سد موقع النجاد تم تشييده واستعماله لمنع الآثار السلبية للفيضانات ولمنع الرسوبيات الخصبة من أن تُجرف عبر الوادي». [اهـ] ـ ويدل ذلك على بناء السدود منذ الألف الخامس ق.م. كما «أن نتائج المسح الأثري الذي قامت به البعثة الأثرية الألمانية في وادي ذنة حيث يقع سد مأرب قد دلت على وجود حضارة وتقنية الري في الألف الثالث

(١) مصر القديمة ـ سليم حسن ـ ص١٤١.

قبل الميلاد». وكان ذلك مقدمة لتشييد سد مأرب العظيم الذي أثبتت تنقيبات ومكتشفات البعثة الأثرية الألمانية عودة زمن بعض منشآته إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد كما سلف التبيين.

٦ ـ تربية واستخدام الحيوانات:

وقد دلت مكتشفات ودراسة البعثة الأثرية الإيطالية في مواقع وادي يناعم والمسنّة على: «تربية الثيران والأغنام والضأن ومواشٍ أخرى». وبذلك أيضاً فقد توفر الدليل المادي على أن جنوب الجزيرة العربية هي مهد «تربية الماشية» وأن «الماشية بما فيها الجاموس والمعز والشاة دُجنت واستخدمت اقتصادياً في اليمن قبل بلاد الرافدين ومصر».

٧ ـ الإنتاج الجماعي لأدوات تحويل منتجات الحبوب:

وقد تم العثور في مواقع وادي يناعم وبين حدين والمسنّة وغيرها من مواقع ذلك العصر البرونزي النحاسي في اليمن على كميات كبيرة من أدوات طحن وتحويل منتجات الحبوب، وتدل الدراسة ـ كما جاء في تقرير البعثة الأثرية الإيطالية ـ على «وجود نوع من الإنتاج العام للأدوات المصنعة ومناطق عمل جماعية مشتركة وورش ومصانع لإنتاجها». وقال أليساندو دي ميقريت: «إن معظم الأدوات المكتشفة هي جزء من أدوات خاصة بعمليات حصاد الحبوب وبتحويل منتجات الحبوب. وهذا صحيح بكل تأكيد بالنسبة لأحجار الرحى الضخمة ذات السطح المُقعر والقدرة العالية على الكشط والحك وهي مصنوعة من صخر التراكيت.. وهناك أنواع أخرى أكثر تندماً وتطوراً وتتمثل في أحجار الرحى الصغيرة ذات الشكل البيضاوي والمصنوعة من حجر الغرانيت الناعم والحجر الرملي، بالإضافة إلى الهاونات المتطورة المصنوعة من نفس المادة والمستخدمة مع المدقات المصنوعة من حجر البازلت الأسود.. كما أن بعض الأدوات ذات صناعة مُحكمة ومُتقنة إلى حد كبير».

٨ ـ صناعة الأواني الفخارية.. وتطويرها:

تم العثور في موقع مدينة وادي يناعم وموقع بين حدين على كميات من الأواني الفخارية تعود إلى الألف الخامس والألف الرابع قبل الميلاد. ومنها ـ كما في دراسة أليساندو دي ميقريت ـ:

أ ـ «أواني فخارية معمولة بالعجلة اليدوية (التي تدار باليد) وهي متنوعة، منها أواني مزخرفة بحزوز جميلة على أشكال مثلثات عند الفوهة ومنها أواني

عليها حزوز مستقيمة عند الفوهة ذات حواف مختلفة: منها المائج إلى الخارج الثخين ومنها الرقيق ذو الحافة المستقيمة، وهي ذات لون أحمر رقيق». [اهـ].

وتُماثل تلك الأواني الفخارية مثيلاتها من الأواني المعثور عليها بالشام في مواقع تل خلف وأوغاريت والخابور وتبة كورا قرب الموصل والتي اشتهرت باسم (فخار تل خلف) وكذلك المعثور عليها في موقع سامراء وموقع الوركاء وموقع تل العبيد بجنوب الرافدين (العراق)، وهي جميعاً معمولة بالعجلة البدوية التي استمر استخدامها هناك إلى عام ٣٥٠٠ ق.م. حين بدأ استخدام العجلة السريعة في صناعة الأواني الفخارية بمنطقة الهلال الخصيب (بلاد الرافدين والشام) لأول مرة في التاريخ كما كان يعتقد الدارسون.

ب ـ إن استخدام العجلة السريعة في صناعة الأواني الفخارية بدأ في اليمن قبل منطقة الهلال الخصيب، فالأواني المعثور عليها في موقع وادي يناعم وبين حدين تشمل ـ كما ذكر أليساندو دي ميقريت ـ «أواني فخارية متنوعة مصنوعة بالعجلة السريعة منها الأواني ذات الشكل اللّبني الثخين، ومنها الأحمر الرقيق المعمول بالعجلة السريعة، ومنها الفخار اللّبني الرقيق والفخار المحروق الخشن... كما تم العثور على بقايا آنية صغيرة من الألبستر ذات شكل جميل وعليها أشكال هندسية فنية جميلة».

٩ ـ تشييد أوائل المدن في تاريخ الإنسانية باليمن:

ولقد كان من أبرز معالم حضارة العصر البرونزي النحاسي باليمن تشييد أوائل المدن في تاريخ الإنسانية منذ مطلع الألف الخامس قبل الميلاد ومنها مدينة وادي يناعم ـ بين صنعاء ومأرب ـ والتي تعود إلى زمن يعرب بن قحطان، وقد حددت البعثة الأثرية الإيطالية زمن مدينة موقع وادي يناعم بأوائل الألف الخامس ق.م. واستمرت طيلة ذلك العصر وهي ـ كما قال البروفيسور أليساندو دي ميقريت ـ: «تُمثل بداية المجتمعات المعقدة التي تُمثل مرحلة الانتقال من مجرد مجتمع القرية الزراعي إلى مجتمع مَرْكزٍ متعدد الوظائف والنشاطات».

وتوجد بمدينة موقع وادي يناعم «مباني كثيرة مشيدة من كتل حجرية ضخمة، ويشير بعضها إلى الطبيعة الجماعية لبعض نشاطات ذلك العصر، كما يوجد مبنى كبير مخصص للطقوس الدينية لكافة أفراد المدينة» ـ ويؤكد ذلك أن تقنية قلع قطع كبيرة وثقيلة من الحجر ونقلها تم لأول مرة في اليمن.

أما بيوت السكان بالمدينة «فيتكون كل بيت من غرفتين متجاورتين تطلان

على ساحة تابعة للبيت، وقد شيدت البيوت على قواعد من كتل غرانيتية، وبُنيت الجدران والعتبات من الأحجار وكذلك الفواصل ومحيط مخزن الحبوب.. ويتنوع حجم وشكل البيوت، فمنها بيوت كبيرة لها عمودان في الوسط يحملان السقف وهي بيوت مستطيلة الشكل وبعضها بيضاوي الشكل.. وقد تكون لكبار القوم.. أما البيوت العادية فليس لها أعمدة، وبعضها دائري الشكل وبعضها بيضاوي الشكل». [اهـ].

إن اكتشاف موقع مدينة وادي يناعم وعودتها إلى ذلك الزمن التليد هو قرينة هامة على تشييد العديد من المدن في ذلك العصر وبصفة خاصة مدينة صنعاء التي قال ابن خلدون: «صنعاء أول مدينة اختطت باليمن، وكانت تُسمى أزال من الأولية بلغتهم»[1] وقال الهمداني في الصفة: «صنعاء أقدم مدن الأرض لأن سام بن نوح الذي أسسها»[2] إلا أنه قال الهمداني في الإكليل أن: «من أبناء قحطان أزال بن قحطان، وبه سميت أزال»[3]. فقد يكون أقدم استيطان بشري لصنعاء منذ زمن سام في منطقة جبل نقم، أما تشييد مدينة صنعاء فكان في العصر اليعربي القحطاني حين استقرت بصنعاء قبيلة أزال بن قحطان وبهم سُميت صنعاء أزال، وكان ذلك في زمن تشييد مدينة وادي يناعم بين صنعاء ومأرب حوالي عام ٥٠٠٠ ق.م. - لأن صنعاء - أزال - كما ذكر ابن خلدون وعلماء اليمن الأوائل هي أقدم مدينة اختطت باليمن.

١٠ ـ المعابد.. والعقيدة الدينية.. ونهاية ذلك العصر:

لقد كان في مدينة موقع وادي يناعم «مبنى كبير لممارسة الطقوس الدينية لكافة أفراد المدينة». ويدل ذلك على أن كل مدينة كان فيها معبد ديني لكافة أفراد المدينة في ذلك العصر البرونزي النحاسي للحضارة اليمنية (٥٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م.).

وقد كان دين التوحيد الحنيف هو العقيدة الدينية في ذلك العصر منذ زمن النبي هود عليه السلام وابنه قحطان بن هود إلى زمن يعرب بن قحطان والعصر البرونزي النحاسي. قال نشوان الحميري:

أفأينَ هودٌ ذو التُّقىٰ ووصيُّهُ ... قحطانُ زرعَ نُهىً وصلاح

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٦٥٣.
(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٨٢.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٠٤ جـ١.

وقال حسان بن ثابت:

ويعرب ينميه لقحطانَ ينتمي ... لهودٍ نبيّ اللّه فوق الحبائك

وكان يعرب بن قحطان مؤمناً ومن أعاظم الملوك حتى وفاته، ولم يزل ذكره خالداً في ذاكرة أجيال أمته عبر الأزمنة والعصور. قال الحسن بن أحمد الهمداني في القصيدة التاريخية الدامغة:

فَرَوّىٰ عَظْمَ يَعْرُبَ في ثراهُ ... مِنَ الفَرْعَيْنِ واكِفةَ هُتُونا
أبُ الفرعين: كهلانُ أبينا ... وحِمْيَرُ عَمُّنا وأخي أبينا
كما نَجَلَ المُلُوكَ وكل ليثٍ ... شديد البأس ما سكن العرينا

ولكن ذاكرة الأجيال لم تحفظ لنا أسماء وأخبار الملوك الذين تعاقبوا بعده لتقادم ذلك الزمن، بل اختزلتهم جميعاً في شخص واحد هو «يشجب بن يعرب بن قحطان» إلا أنه ذكر نشوان الحميري عن عبيد بن شرية الجرهمي أن «أولاد قحطان وهم: يعرب، وخبار، وأنمار، والمعتّم، والمناحي، ولأي، وماعز، وغاضب، ومنيع، وجُرهم، والمتلمس، والقطامي، وظالم، وغشيم، والمغتفر، وباقر، ستة عشر رجلا، وكلهم قد مَلَك غير ظالم فلم يُملّك، وقد كان يسير في الجيوش». [ص ٧] - ونرى من ذلك أن أولئك تعاقبوا على الحكم بعد يعرب بن قحطان وليسوا إخوته وإنما تم اختزال ذكرهم بأنهم أبناء قحطان لأنهم من سلالته، فقد تعاقب على الحكم بعد الملك يعرب ١٤ ملكاً هم خيار، ثم أنمار، ثم المعتم، ثم المناحي، ثم لأي، ثم ماعز، ثم غاضب، ثم منيع، ثم جرهم بن منيع، ثم المتلمس، ثم القطامي، ثم باقر، ثم غشيم، ثم المغتفر أو «المتغشمر». وكان أولئك الملوك خلال نحو ألف سنة بعد يعرب بن قحطان. ثم تولى الحكم الملك يشجب سليل يعرب بن قحطان، وفيه قال نشوان الحميري:

أم أين يَشْجُبُ خانه مِنْ دَهره ... شَجَبٌ وحاهُ له بقدرٍ واحي

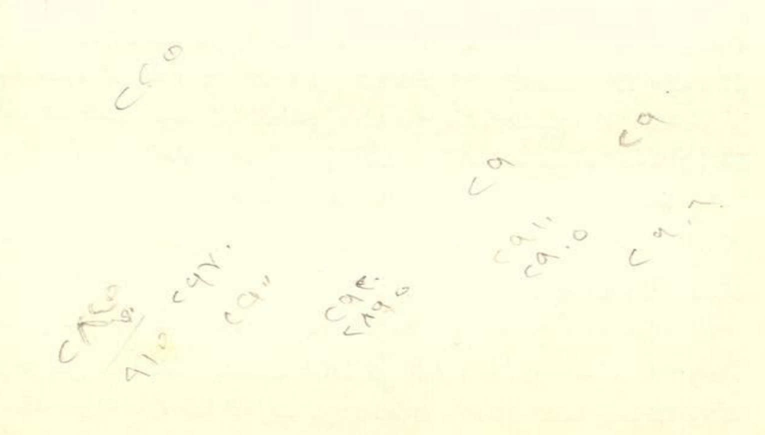
ثم قال: «وحاه: أي قدره. واحي. أي مقدر. والشجب الهلاك. فساد الملك يشجب بني سام ومَلَكَ أمرهم ونهيهم عُمرَه، وحاز اليمن والحجاز»[1].

ويمكن افتراض أن الملك يشجب حكم في الفترة ما بين عام ٣٨٠٠ وعام ٣٧٠٠ ق.م. وقد تم اعتباره ابناً ليعرب بن قحطان لاتصال نسبه بيعرب ولأنه أشهر من حكم بعده من سلالته وإلا فإن بينهما أجيال وقرون. وقد جاء في

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٠.

تاريخ ابن خلدون أنه: «مَلَكَ بعد يعرب بن قحطان ابنه يشجب، واستبدّ أعمامه بما في أيديهم من الممالك»(١). وقال نشوان: «لما مات يشجب ادّعى كل واحد من أبناء يعرب المُلك، ففتر الأمر»(٢).

وذلك لأن أمراء من سلالة يعرب بن قحطان وعمومة يشجب كانوا يحكمون مناطق ومخاليف اليمن الثلاثة عشر التي منها ظفار عُمان والشحر وحضرموت وحويليه وسبأ (شيبا) وأزال (أوزال)، والمعافر (أوفير)، ودثلة، وأبيمال، ويوباب، ويارح، فلما مات يشجب استقل واستبدّ كل واحد من الأمراء بحكم المنطقة التي تحت يده وصار ملكها، فانفرط عقد الدولة اليعربية القحطانية، وتواصلت حضارة ذلك العصر البرونزي النحاسي في مناطق وأقاليم اليمن الثلاثة عشر إلى أن قام الملك سبأ الأكبر سليل يشجب بن يعرب بن قحطان فتوحدت تلك المناطق والأقاليم بزعامته ـ عام ٣٥٠٠ ق.م. ـ وبدأت بذلك عصور دولة وحضارة سبأ التليدة.



(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٤٨ جـ٢.

(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٠.

معالم تاريخ العصر الأقدم الأول لدولة وحضارة سبأ

(من ٣٥٠٠ ق.م. ـ ٢١٢٠ ق.م.)

تتويجاً لحضارة العصر البرونزي في اليمن قامت ـ في عام ٣٥٠٠ ق.م. ـ دولة سبأ التي شملت كل أرجاء اليمن بزعامة الملك سبأ بن يشجب مؤسس مملكة سبأ وأول ملوك عصرها الأقدم الذي استمر من عام ٣٥٠٠ ـ ١٥٠٠ ق.م. استناداً إلى المكتشفات الأثرية داخل اليمن وخارجها والوقائع التاريخية والقرائن الزمنية التي يتبين منها أن من معالم شواهد ذلك العصر الأقدم لدولة سبأ ما يلي:

١ ـ تشييد ووجود سد مأرب العظيم الأقدم حيث أثبتت تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية وجود السد وعودة زمن بعض منشآته إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. ويؤيد ذلك ما ذكره المؤرخون العرب الأوائل بأن السد من بناء سبأ بن يشجب وسبأ عبد شمس في ذلك الزمن كما سيأتي.

٢ ـ المومياءات اليمنية السبئية المعثور عليها في ناووس جبل الغراس ـ بين صنعاء ومأرب ـ حيث أسفر فحص عينات منها في المختبر الفيزيائي بهولندا عن تحديد عودة زمن المومياءات الأقدم إلى الفترة (من ٣٠٢٠ ـ ٢٧٩٥ ق.م.) ويدل ذلك على معرفة فن التحنيط باليمن في الألف الرابع والألف الثالث قبل الميلاد.

٣ ـ موجة الانتقال والهجرة من جنوب الجزيرة العربية عام ٣٥٠٠ ق.م. إلى بلاد الرافدين والشام ومصر فقد ذكر المؤرخون العرب الأوائل أن الملك سبأ بن يشجب سار إلى بابل والجزيرة الفراتية والشام ومصر وأوطن في كل منها قبائل ممن كانوا معه. وتدل دراسات تاريخ العصور القديمة على وقوع موجة هجرة كبيرة بالفعل عام ٣٥٠٠ ق.م. إلى بلاد الرافدين والشام ومصر وكان لها ـ كما سيأتي ـ نتائج حضارية هامة.

٤ ـ تدل النصوص المسمارية المعثور عليها في بلاد الرافدين على أنه ـ وكما قال العالم هومل ـ «أن سبأ عاصرت سومر» وذلك يعني وجود سبأ في الألف

الثالث قبل الميلاد. وكذلك وكما ذكر هومل: «جاء ذكر سبأ في نص مسماري للملك أرونانز ملك لجش عام ٢٥٠٠ ق.م.» وأشار د. جواد علي إلى أنه «جاء ذكر سبأ في نص للملك أردنانر معاصر آخر ملوك أور ببلاد الرافدين» وذلك حوالي ٢١٠٠ ق.م. كما جاء ذكر سبأ في نصوص بابل وآشور في الألف الثاني قبل الميلاد.

٥ ـ النقوش المصرية الفرعونية عن العلاقات مع اليمن وجلب البخور والمنتجات من اليمن إلى مصر منذ عام ٢٦٠٠ ق.م. إلى بعثة حتشبسوت إلى اليمن لجلب البخور المقدس عام ١٤٩٠ ق.م.

٦ ـ نصوص المصادر التاريخية العربية وما ذكره علماء المؤرخين العرب الأوائل عن ملوك ذلك العصر الأقدم وأنباء عهودهم، حيث حفظ لنا المؤرخون الأوائل عن مصادرهم الأقدم أسماء وأنباء نحو (٢٤) ملكاً من ملوك العصر الأقدم الأول لدولة سبأ (٣٥٠٠ ـ ٢١٢٠ ق.م.) أولهم الملك سبأ الأكبر بن يشجب وآخرهم الملك وائل بن الغوث. وأسماء وأنباء (١٢) ملكاً من ملوك العصر الأقدم الثاني لدولة سبأ (٢١٢٠ ـ ١٥٠٠ ق.م.) أولهم سبأ الأوسط عبد شمس بن وائل سليل سبأ الأكبر بن يشجب مؤسس دولة سبأ والذي بمعالم عهده نبدأ.

المبحث الأول

عهد سَبَا بن يَشْجُب مؤسس دولة سبأ

(٣٥٠٠ـ٣٤١٦ق.م.)

سبأ بن يَشْجُب هو الملك سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان ـ أي سليل يعرب سليل قحطان ـ فبين كل واحد منهم عدة أجيال وقرون، وكذلك يُقال (سيف بن ذي يزن) وبينهما عدة أجيال وقرون. قال الهمداني في الإكليل: «ومن شرائط النسب أن لا يذكر من أولاد الرجل إلا النبيه الأشهر، ولولا ذاك لم يسع أنساب الناس كتاب ولم يضبطها كاتب»[١]. وذكر الهمداني سبأ بن يشْجُب فقال: «أولد يشجبُ: سبأ الأكبر، وهو عبد شمس، وقال ابن الكلبي: هو عامر. وعبد شمس أشهر عند حِمير. وهو أول من استعمل (العمال) لتدبير

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص٣٨٦ جـ٢.

الحكم في مُلكه، وأول من نَصَبَ وليّ العهد في حياته وأول من سَبَا السَّبْيَ ممن خَتَرَ به وحاربه وناصبه»[١]. فكان من معالم عهده:

أولًا

توحيد اليمن بزعامة سبأ بن يشجب

كانت الدولة اليعربية القحطانية التي قامت باليمن في العصر البرونزي النحاسي قد تفككت في أواخر العصر السابق، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك قائلًا: «استبدّ أعمام يشجب بما في أيديهم من الممالك»[٢] وقال نشوان الحميري: «لما مات يشجب ادعى كل واحد من أولاد يعرب المُلك، ففتر الأمر»[٣] ـ والمقصود أن أقيال مخاليف وأقاليم اليمن كانوا من سلالة قحطان ويعرب بن قحطان، فاستقل واستبد كل واحد منهم بحكم الإقليم الذي تحت يده وصار ملكاً عليه وذلك في الأقاليم الثلاثة عشر التي كانت تسكنها قبائل قحطان في أرجاء جنوب الجزيرة العربية والتي جاء في سِفْر التكوين أنها «١ ـ مود (ثمود)، ٢ ـ شالف (السَّلف بمنطقة الشحر) ٣ ـ حضرموت (في حضرموت) ٤ ـ أوزال (أزال في صنعاء) ٥ ـ أوفير (المعافير) ٦ ـ شبا. ٧ ـ يارح. ٨ ـ هدورا (حضورا بمنطقة الرّس بين نجران واليمامة) ٩ ـ دقلة. ١٠ ـ عوبال (عبيل) ١١ ـ أبيمال ١٢ ـ حويله (بمنطقة الربع الخالي) ١٣ ـ يوباب». قال د. حامد عبد القادر: «وكانت القبائل الثلاث عشرة المنحدرة من قحطان تقيم بتلك المقاطعات»[٤] وكذلك كانت ما تزال باليمن قبائل كثيرة من العرب العاربة الساميين الأوائل مثل أشوذ، وأكاد، وكنعان، والعماليق، وفاران، وغيرهم، وازدحمت المناطق الرئيسية باليمن بسكانها من الأمتين القحطانية والسامية في آخر ذلك العصر مما أدى إلى نوع من الازدحام أو الأزمة الاقتصادية، وقد كان مما أدى إلى انفراط الدولة اليعربية السابقة عدم وجود عاصمة مركزية لها وعدم وجود عمال وولاة تابعين للملك فيها، فاستقل واستبدّ كل واحد من الأقيال بحكم الإقليم الذي تحت يده، ولما نشأ سبأ بن يشجب أصبح واحداً من الأقيال، فدعا سائر الأقيال الملوك وقبائلهم إلى الوحدة وإلى

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص١٩٨ جـ١.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٤٨ جـ٢.

(٣) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١١.

(٤) الأمم السامية ـ حامد عبد القادر ـ ص٨٤.

دولة قوية ذات نظام وعاصمة مركزية وتقوم بحلّ مشكلة الازدحام السكاني والأزمة الاقتصادية، فاستجاب الأقيال وقبائل قحطان إلى ذلك، وقد أشار نشوان إلى ذلك بقوله: «قام سبأ بن يشجب فجمع بني قحطان وبني هود»(١) فانضوت سائر قبائل قحطان وإخوانهم من العرب العاربة الساميين تحت لواء سبأ بن يشجب وشملت دولته كل أرجاء اليمن بحيث قال المسعودي في مروج الذهب:

«أولُ مَنْ يُعدّ مِنْ ملوك اليمن سبأ بن يشْجُب»(٢).

ثانياً

بناء مدينة سبأ وتسمية الدولة باسم سبأ

لما توحدت بلاد وقبائل اليمن بزعامة الملك سبأ بن يشجب - (عام ٣٥٠٠ ق.م.) - قام بتشييد مدينة سبأ، كعاصمة مركزية للدولة واللاد وتولية العُمال على أقاليم البلاد من جانبه، فكان سبأ بن يشجب - كماذكر الهمداني في الإكليل - «أول من استعمل (العمال) لتدبير الحكم في مُلكه» وقال المؤرخ ابن خلدون: «مَلَكَ بعد يشجب ابنه عبد شمس، وقيل اسمه عام، وسُمّي سبأ لأنه - فيما قيل - أول من سَبى. وبَنَى مدينة سبأ وسد مأرب»(٣) وقال الهمداني: «مدينة سبأ بمأرب من أرض اليمن»(٣).

وقد قام الملك سبأ بن يشجب ببناء مدينة سبأ التليدة فيمكان ما من أرض مأرب الشاسعة، فكانت مدينة سبأ تلك عاصمة للدولة والبلاد زمناً طويلاً قبل مأرب، وقد جاء ذكرها بلفظ «مدينة سبارا» في نصوص قديمة ببابل وسومر عن العلاقات مع سبأ في الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد

وباسم مدينة سبأ وباسم الملك المؤسس سبأ بن يشجب سُميت الدولة والبلاد (سبأ) خلال العصور التالية، وأصبح اسم (سبأ) (سبئيين) مرادفاً لاسم (اليمن) و (اليمانيين) في أغلب عصور تاريخ اليمن الحضاري التليد - على امتداد أكثر من ثلاثة آلاف سنة - وقد ذكر ابن خلدون اليمانيين في تلك العصور بما يدل على ذلك حيث قال: «ويُعرف ذلك الجيل باليمانية والسبئية»(٣).

(١) السيرة الجامعة - قصيدة نشوان الحميري - ص١١.

(٢) مروج الذهب - المسعودي - ص٧٤ جـ٢.

(٣) تاريخ ابن خلدون - ص٤٨ جـ٢ - وصفة جزيرة العرب - الهمداني ص١ ١.

أصل اسم سبأ:

وقد ذكر المؤرخون العرب الأوائل أن سبأ بن يشجب كان اسمه عامر، أو كان اسمه عبد شمس، وأنه «أول من سَبَا» ولذلك سُمّي سبأ. وقد شاع القول بأنه«أول من سَبَا» بمعنى: أول من سَبَا السَّبي في الغزوات والحروب عندما غزا إلى بلاد بابل وآشور والشام ومصر وأوطن بتلك البلاد قبائل من بني قحطان وسام الذين كانوا معه، وفي ذلك قال نشوان الحميري:

«سَبَأ بنُ يَشْجُبَ وهو أوّل من سَبَا   في الغَزْوِ قِدْماً كلَّ ذاتِ وِشاح»

ثم قال: «سبأ بن يشجب، كان ملكاً عظيماً.. وغزا بابل فافتتحها.. ولم يزل حتى عبر إلى الشام وإلى مصر.. واستخلف على كل أُمة قوماً ممّن معه.. وكان كلما قاتل أمة سبا ذراريهم، فسُمي بذلك سبأ، ولم يُعرف قبله السَّبي، وإنّما أحل اللّه له ذلك لأنهم نكثوا وغدروا..»(١).

والأصوب أن سبأ بن يشجب هو «أول من سبا» بمعنى «أول من غزا» وأن اسم سبأ مأخوذ من كلمة (سبأتن) ومعناها (الغزو). وفي هذا الصدد قال د. يوسف محمد عبد اللّه ما يلي نصه:

«الاسم سبأ ليس من السبي كما يذكر الإخباريون حيث قيل أن عبد شمس وُلّي أمر بني قحطان وسار إلى أرض بابل وأرمينية وأرض الشام والفرات ومصر ورجع إلى اليمن وقد سبا خلقاً كثيراً فسُمّي سبأ. بل إن الاسم - سبأ - من الغزو كما هو بيّنٌ من مصدر اللفظ في النقوش اليمنية القديمة: سبأ أي غزا، و (سبأتن) أي الغزوة، ونون الآخر هي أداة تعريف، ورسم المسند - للكلمة - يثبت أن الاسم مهموز الآخر، وهو كثير في النقوش»(٢).

وبالتالي يمكن إدراك أن سبأ بن يشجب هو أول من سَبَا بمعنى أول من غزا إلى بلاد بابل والشام ومصر في الزمن القديم، وأن اسم سبأ مأخوذ من كلمة (سبأتن) أي (الغزو). وقد كان اسم (سبأ بن يشجب) هو (سبأ) منذ البداية وقد يكون (سبأ عامر) أو (عامر سبأ) - اسم ونعت - لأن أسماء أغلب ملوك اليمن القدماء تتكون من كلمتين، فكان سبأ هو الاسم الشخصي للملك سبأ بن يشجب، وباسمه سميت مدينة سبأ ودولة سبأ وقبائل وشعوب سبأ، ومما يُعزز ذلك ما ذكره الهمداني في الإكليل من أنه عندما نزل قول اللّه تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ

(١) قصيدة نشوان - ص١١.

(٢) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره - د. يوسف محمد عبد اللّه - ص٢٤/٢.

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥] قال ناس من حول رسول الله ﷺ «يا رسول الله ما سبأ أرض أم امرأة؟ فقال: «لا أرض ولا امرأة ولكنه رجل من العرب أولد عشرة أبطن فتيامنت ستة وتشآمت أربعة..»(١) وقد ذكر ابن كثير طرق وسند هذا الحديث في البداية والنهاية وفي تفسير ابن كثير للقرآن الكريم، ويدل ذلك على أن سبأ بن يشجب كان اسمه سبأ وباسمه سُميت الدولة والبلاد سبأ.

ثالثاً

موجات الهجرة الانتقالية في عهد سبأ إلى شمال الجزيرة وبلاد الرافدين والشام ومصر

حين توحدت بلاد اليمن ـ جنوب الجزيرة العربية ـ بزعامة سبأ بن يشجب (عام ٣٥٠٠ ق.م.) قام الملك سبأ بن يشجب بتوجيه وقيادة قبائل من بني قحطان وإخوانهم من العرب العاربة الأوائل الساميين إلى شمال الجزيرة وبلاد الرافدين والشام ومصر، وذلك لازدحام بلاد اليمن ـ جنوب الجزيرة العربية ـ بالسكان كما حدث في زمن يعرب بن قحطان حيث كما ذكر ابن خلدون: «تزاحم بنو قحطان وإخوانهم من العرب العاربة بمناكبهم» وكذلك حدث في عهد سبأ بن يشجب حيث اقترن الازدحام السكاني بعدم كفاية الموارد الاقتصادية ووقوع جفاف في بعض المناطق، فقام الملك سبأ بن يشجب بحل مشكلة الازدحام السكاني من خلال انتقال قسم من سكان اليمن إلى البلدان غير المسكونة وقليلة السكان في شمال الجزيرة وبلاد الرافدين والشام ومصر، وقد حدث ذلك مراراً في تاريخ اليمن القديم حيث كما قال الهمداني صاحب الإكليل في قصيدته الدامغة عن تاريخ اليمن القديم:

وكُنَّا إذْ تزاحم في سواه ... من العافِ الخرابِ له سكونا
فأصبح مَنْ به مِن غير قومي ... بهم حيث انتووا متخفرينا

فقد وقعت أول موجة هجرة انتقالية في زمن يعرب بن قحطان ـ سنة ٥٠٠٠ ق.م. ـ ثم وقعت موجة هجرة انتقالية كبيرة إلى الحجاز وبلاد الرافدين والشام ومصر في عهد سبأ بن يشجب ـ سنة ٣٥٠٠ ق.م. ـ ثم وقعت موجة هجرة كنعانية وأمورية إلى الشام وبلاد الرافدين في عهد سبأ عبد شمس بن وائل

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨١ جـ١ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦١ جـ٢.

ـ سنة ٢١٠٠ ق.م. ـ ثم موجة الهجرة الانتقالية الآرامية في عهد الحارث الرائش ـ بالقرن الخامس عشر ق.م. ـ ثم هجرة بعض قبائل سبأ في القرن الخامس ق.م. ويقول الأستاذ فيليب حتي: «بمقارنة تاريخ الهجرات ودراستها بدت لبعض علماء السامية الفكرة في أن شبه الجزيرة العربية كانت في حقب متعاقبة تبلغ الواحدة منها الألف سنة تقريباً تزدحم بالسكان كخزان هائل ضاق فلم يجد محيصاً عن إفاضة ما يزيد عن اتساعه»(١).

وكان ذلك هو ما حدث سنة ٣٥٠٠ ق.م. حيث قام الملك سبأ بن يشجب بتوجيه وقيادة ثلاث موجات من قبائل وسكان جنوب الجزيرة العربية إلى شمال الجزيرة وبلاد الرافدين والشام ومصر:

١ ـ موجة عهد سبأ بن يشجب إلى شمال الجزيرة:

قال الهمداني في الإكليل: «إن سبأ بن يشجب سيّر قبيلة جرهم ـ بن قحطان ـ إلى جبال الحرم والحجاز ولاة على العماليق وعبد ضخم وتلك الأمم يقبضون أتاواتهم، فكانوا بنجد والطائف وأجْبُلِ الحرم»(٢).

قال ابن خلدون: «وقيل إنما نزلت جرهم الحجاز ثم بنو قطور بن كركر بن عملاق لقحط أصاب اليمن»(٣).

وقد كانت بعض عشائر جرهم انتقلت من اليمن إلى الحجاز في زمن يعرب بن قحطان ثم انتقلت قبيلة جرهم جميعها من اليمن في عهد وبتوجيه سبأ بن يشجب فانتشروا بمناطق نجد والطائف وجبال الحرم والحجاز، فأصبحت لهم السيادة على من كان هناك من قبائل العمالقة وعبد ضخم وفاران وغيرهم من قبائل الأمة الأولى من العرب العاربة الساميين. وكذلك انتقلت عشائر من قبيلة ثمود القحطانية بمنطقة حضرموت وسكنوا في وادي القرى بأعالي الحجاز.

٢ ـ هجرة الأكاديين والآشوريين إلى بلاد الرافدين في عهد سبأ بن يشجب ودلالتها:

تتفق سائر كتب ودراسات تاريخ العصور القديمة والأمم السامية وبلاد الرافدين على أنه «في عام ٣٥٠٠ ق.م. هاجر الأكاديون والآشوريون الساميون إلى بلاد الرافدين» وقد استقر الأكاديون في جنوب الرافدين (بلاد بابل) واستقر

(١) تاريخ العرب المطول ـ فيليب حتي ـ ص١٣ ـ دار الكشاف ـ بيروت ـ ١٩٥٨م.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٧٥ جـ١.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٢٠.

الآشوريون في أرض الجزيرة الفراتية شمال الرافدين (بلاد آشور) وقد أثبتت الدراسات أنهم جاءوا من جنوب الجزيرة العربية . وكان من أوائل الذين أثبتوا ذلك العالم الإنكليزي سايس SAYCE في كتابه عن الآشوريين الذين صدر عام ١٨٦٢م حيث قال : «إن جميع التقاليد السامية تدل على أن الجزيرة العربية هي موطن الساميين الأول»[(١)] وكذلك العالم الألماني شريدر Schrader في القرن التاسع عشر ق.م . حيث قال : «إن جزيرة العرب مهد جميع الأمم السامية قبل تفرقها» كما تؤكد ذلك «العلائق الدينية والجغرافية واللغوية التي كانت تربط الأمم السامية بعضها ببعض»[(١)] .

إن ثبوت هجرة واستقرار الأكاديين والآشوريين ببلاد الرافدين عام ٣٥٠٠ ق.م . يعطينا الأساس لصحة ما ذكره المؤرخون العرب الأوائل من أنه «كان الأعاجم قد تغلبوا على بلاد بابل وما والاها ، فقام سبأ بن يشجب فجمع بني قحطان وبني سام ثم زحف إلى أرض بابل فافتتحها ، وقتل من وجد فيها من الأعاجم وسار خلفهم يقاتل إلى أن بلغ ناحية الديلم وأرمينية ، حتى بلغ إلى أرض الجزيرة (الفراتية) فبنى فيها قنطرة صنجة . . وكان يستخلف على كل أمة قوماً من الذين معه»[(٢)] . فيكون هو الذي استخلف وأوطن الأكاديين في بلاد بابل وجنوب الرافدين والآشوريين في أرض الجزيرة الفراتية بشمال الرافدين ، وكانوا ـ كما ذكر د. أحمد سوسة ـ «كانوا مزودين بحضارة زراعية إروائية اكتسبوها في موطنهم الأصلي جنوب الجزيرة العربية فنقلوا حضارتهم إلى عالمهم الجديد وتمكنوا من تأسيس ممالك عظيمة في بلاد الرافدين»[(٣)] .

٣ ـ استقرار قبائل كنعانية بالشام عام ٣٥٠٠ ق.م . :

قال نشوان الحميري « . .بلغ سبأ بن يشجب أرض الجزيرة (وهي بلاد آشور إلى جنوب سوريا) ثم لم يزل حتى عبر إلى الشام يقتل من لقي من بني عوجان بن يافث حتى أبعدهم إلى خلف عمورية ، ثم رجع إلى الشام ـ واستخلف ـ بالشام ـ قوماً من الذين معه . . »[(٢)] .

وقد دلت الدراسات على أن قبائل سامية من كنعان والعملة جاءت من الجزيرة العربية واستقرت في مناطق من الشام عام ٣٥٠٠ ق.م . وقال . أسد أشقر : «ليس

(١) الأمم السامية ـ حامد عبد القادر ـ ص٥٩ ـ وحضارة الرافدين ـ أحمد سوسة ـ ص٢٦٠.
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١١.
(٣) حضارة الرافدين ـ د. أحمد سوسة ـ ص١٦٦ ـ دار الحرية ـ بغداد ١٩٨١م.

من قبيل المصادفة أن تقع ـ عام ٣٥٠٠ ق.م . ـ موجة هجرة من الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين وموجة هجرة إلى سورية ومصر في وقت واحد»[(١)] .

وقد كان الذين هاجروا ـ أي انتقلوا واستقروا ـ بمناطق من الشام في تلك الموجة ـ عام ٣٥٠٠ ق.م . ـ قبائل من كنعان والعماليق العرب الساميين الذين كانوا باليمن إلى الحجاز ، وقد زعم أحبار اليهود في التوراة أن كنعان من قبائل حام ، الحاميين (أي من الجنس الحامي الأسود) والصحيح أنهم من الساميين وقد ذكر الهمداني في الإكليل أن كنعان هم بنو «كنعان بن عويلم بن سام» . حيث قال : «أولد عويلم بن سام : شعبر بن عويلم ، وكربل بن عويلم ، وممري بن عويلم ، وكنعان الشام»[(٢)] . وجاء في تاريخ ابن خلدون أن «من بني عملاق بن لاوذ بن سام قبائل كنعان الجبابرة»[(٣)] . وقد دلت الدراسات على أنه ـ وكما قال د. صليبي ـ «أن غرب الجزيرة العربية ومنها عسير كانت الموطن الأول لقبائل كنعان»[(٤)] .

وقد انتقلت كنعان من اليمن وغرب الجزيرة إلى الشام في عدة موجات ، منها موجة عام ٣٥٠٠ ق.م . ـ في عهد سبأ بن يشجب ـ وموجة ثانية كبيرة عام ٢٥٠٠ ق.م . فانتشرت كنعان في أرجاء الشام وسميت باسمهم (أرض كنعان) وكان منهم (بنو خوي بن كنعان : بأعالي الحجاز إلى الكرك والشوبك بفلسطين ، وبنو يبوس بن كنعان : بالقدس وما جاورها من فلسطين ، وبنو عرفان بن كنعان : بنابلس . وبنو حبيب بن كنعان بالخليل ، وبنو سنا بن كنعان : بطرابلس ، وبنو حماه بن كنعان : بمنطقة حماة في سوريا ، وبنو جرجيش بن كنعان : بمنطقة كركميش بأعالي سوريا إلى جهة عمورية التي قال نشوان الحميري أن سبأ بن يشجب بلغ إليها ، وقد أسست قبائل كنعان فيما بعد مملكة إبلا الكنعانية بالشام ـ في الألف الثالث ق.م . ـ وشملت كل أرجاء الشام .

٤ ـ هجرة وانتقال قدماء الفراعنة من اليمن إلى مصر القديمة عام ٣٥٠٠ ق.م . في عهد سبأ بن يشجب وتأسيس الحضارة المصرية الفرعونية :

قال نشوان الحميري : «ثم سار سبأ بن يشجب من الشام يقاتل بني حام ، ومنهم من هرب إلى براري مصر ذات الجنوب ، وأذعنوا بالطاعة فأسكنهم على

(١) تاريخ سوريا ـ د . أسد أشقر ـ وعنه كتاب العلاقات الحضارية ـ د. سليمان السعدون وعز الدين إسماعيل ـ ص١٧٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص١٤٥ جـ١.
(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص٤٧ جـ٢.
(٤) التوراة جاءت من جزيرة العرب ـ كمال صليبي ـ ص٢٩.

شاطىء النيل، ثم بنى مدينة مصر وسماها بابليون لأنه خلف ابنه بابليون بن سبأ والياً على مصر، على أولاد حام وبني سام.. ثم رجع سبأ إلى اليمن»[1].

وقد دلت دراسات تاريخ مصر القديمة على وقوع موجة هجرة من جنوب الجزيرة العربية إلى مصر سنة ٣٥٠٠ ق.م. وبذلك بدأ تاريخ قدماء المصريين الفراعنة. وفي هذا الصدد يتبين من الدراسات ما يلي:

ـ تذكر دراسة (انتاديوب) و(أوبنجا): «أن سكان مصر في عصر ما قبل الأسرات الفرعونية كانوا زنوجاً فقط»[2] ويرى عدد من الدارسين «أن من المستحيل إقرار الرأي القائل بأن سكان مصر في العصر الحجري الحديث كانوا جميعاً من السود.. ويؤكدون أن جماعات من الساميين دخلت وادي النيل منذ عصور ما قبل التاريخ»[2]. أي منذ الألف الخامس قبل الميلاد. وقال عالم الآثار شوينفرت: «أن الشعير والذرة الرفيعة والقمح وتأنيس الماشية والماعز والضأن، وإن ظهرت كلها في مصر وبلاد ما بين النهرين من أقدم العهود فإنها لم توجد في حالتها البرية الطبيعية في مصر بل في بلاد غرب آسيا وبخاصة في اليمن بلاد العرب القديمة، ويدل هذا على أن الحضارة قد ظهرت في العصور القديمة غير المدونة في جزيرة العرب ثم انتشرت منها في صورة مثلث إلى ما بين النهرين ومصر»[3].

ـ وقد دلت الدراسات على وقوع موجة هجرة انتقالية كبيرة إلى بلاد الرافدين وإلى الشام ومصر عام ٣٥٠٠ ق.م. وجاء في كتاب (العلاقات الحضارية) أن: «التحركات البشرية سلكت الطريق البري القديم من وادي بيحان ومأرب فوادي نجران وقلب الجزيرة ثم الحجاز حتى العقبة لتستقر في بلاد الشام بينما تحركت بعض قبائلها إلى مصر عبر سيناء»[4] وقال الأستاذ فيليب حتي ـ استناداً إلى العديد من الدراسات ـ «اتجهت التحركات البشرية من قلب الجزيرة العربية عبر الساحل الغربي من الجزيرة نحو الشمال حيث يتفرع عند شبه جزيرة سيناء طريق إلى وادي النيل الخصيب، وقد سلك ذلك الطريق ـ أو طريق البحر الأحمر فالساحل الإفريقي ـ مهاجرون ساميون استقروا في مصر مع سكانها الحاميين واختلطوا بهم. وكان من نتيجة ذلك أن ظهر المصريون القدماء»[5].

(١) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١١.
(٢) البربر عرب قدامى ـ محمد العرباوي ـ ص١٣٧.
(٣) قصة الحضارة ـ ديورانت ـ ترجمة محمد بدران ـ ص٤٣ جـ٢.
(٤) العلاقات الحضارية ـ د. سليمان السعدون وعز الدين إسماعيل ـ ص١٧٤ ـ الكويت ١٩٨٣م.
(٥) تاريخ العرب المطول ـ فيليب حتي ـ ص١٣ جـ١.

وقال العالم المصري د أحمد فخري: «هناك حقيقة مهمة وهي أنه في الألف الرابع قبل الميلاد ـ (٣٥٠٠ ق.م.) ـ وصلت هجرات من جنوب جزيرة العرب إلى مصر، وكان هؤلاء المهاجرون على قدر غير قليل من الثقافة»[1].

وقال العالم المصري سليم حسن في كتاب مصر القديمة: «..لقد جاءوا إلى مصر من شبه جزيرة العرب، إما عن طريق البحر الأحمر أو عن طريق الشام ثم سيناء فشرقي الدلتا ثم غربي الدلتا ثم الوجه القبلي الجنوبي، واندمجوا في السكان الأصليين الذين كانوا من الجنس الحامي الذي نشأ في البلاد، وكان دخول تلك القبائل السامية تدريجياً من غير عنف إلى أن توصلوا إلى الاستيلاء على مقاليد البلاد شيئاً فشيئاً.. وقد أدخلت تلك القبائل إلى مصر معرفة المعادن خاصة النحاس، وبناء المدن، والعبادة والديانة، والكتابة والفنون، والنظم الاجتماعية والسياسية»[2]. وقال جان فركونز «..وبفضل تلك العناصر انطلقت الحضارة المصرية والعصور التاريخية الفرعونية»[3]. وننتهي من مجمل ما سلف إلى:

أ ـ أن سكان مصر عند وقوع تلك الموجة البشرية من جنوب الجزيرة العربية إلى مصر كانوا «من الجنس الحامي الأسود». ويطابق ذلك ما ذكره نشوان الحميري وابن شرية من أن الملك سبأ بن يشجب سار من الشام إلى مصر يقاتل بني حام، ومنهم من هرب إلى براري مصر ذات الجنوب ـ أي بلاد النوبة ـ وأذعنوا له بالطاعة، فأسكنهم على شاطىء النيل». فذلك يعني أن سكان مصر كانوا من الجنس الحامي وهو ما دلت عليه الدراسات.

ب ـ أن قبائل سامية من جنوب الجزيرة العربية استقرت بمصر في تلك الموجة ـ عام ٣٥٠٠ ق.م. ـ ويُمثل ذلك أصل ما ذكره نشوان من أن سبأ بن يشجب استخلف ابنه بابليون بن سبأ والياً بمصر على أولاد حام وبني سام. وقد جاء في الإكليل: «أن من بني فهلوج بن إمراز بن أشوذ بن سام: ودان بن فهلوج، ومن ولد ودان الفراعنة بمصر.. ومن بني عملاق بن لاوذ بن سام: الفراعنة بمصر» [ص١٤٦/ ٢] ـ مما يشير إلى أن الذين أوطنهم سبأ بن يشجب بمصر كانوا قبائل من بني ودان ومن العمالقة ومن قحطان بزعامة بابليون بن

(١) دراسات في تاريخ الشرق القديم ـ د. أحمد فخري ـ ص١٢٤ ـ مكتبة الأنجلو مصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٣.
(٢) مصر القديمة ـ سليم حسن ـ ص١٤١.
(٣) البربر عرب قدامى ـ محمد المختار العرباوي ـ ص١٤١.

سبأ، وأولئك هم الطبقة الأولى من قدماء المصريين الفراعنة الذين أدخلوا المعارف الحضارية سالفة الذكر إلى مصر. وقد ذكر سليم حسن أن تلك القبائل «. . استقرت في شرقي الدلتا ـ بمصر ـ ثم غربي الدلتا ثم الوجه القبلي الجنوبي ثم اندمجت مع السكان الأصليين الذين كانوا من الجنس الحامي. وكان دخول تلك القبائل تدريجياً من غير عنف إلى أن توصلوا إلى الاستيلاء على مقاليد البلاد شيئاً فشيئاً. .» بينما ينقل محمد العرباوي عن الأستاذ أولدف أرمان قوله: «إن الغزاة الساميين أخضعوا السكان الحاميين الأصليين في مصر»[١] فيكون الأصوب أنهم أخضعوا الحاميين أولاً ثم اندمجوا وعاشوا معهم، ثم تدريجياً شمل حكمهم بدون عنف كل أرجاء مصر شمالها وجنوبها ـ بزعامة الملك مينا ـ حيث بدأ حكم الأسرة المصرية الفرعونية الأولى في حدود عام ٣٢٠٠ ق.م. ويؤكد العالم غوستاف جيكي «إن قدماء المصريين جاءوا من جزيرة العرب، وأن ملوك الأسرة الفرعونية الأولى هم من أولئك القادمين»[١].

جـ ـ وقد ذكرت النقوش المصرية الفرعونية القديمة بلاد اليمن باسم «بلاد بونت تانتر إيس ـ أي الأرض المقدسة ـ» ويؤكد العالم المصري د. أبو العيون بركات: «إن المصري القديم كان يقصد ببلاد بونت جنوب الجزيرة العربية فقط». وقد وصف قدماء المصريين بلاد بونت بأنها (تانتر إيس) ـ أي أرض الآلهة أو الأرض المقدسة ـ وذلك كما قال د. أبو العيون بركات: «يفيد أن اليمن كان له قدسية خاصة عند قدماء المصريين.. وربما كان سبب ذلك أن المواد التي كانت تستعمل في المعابد المصرية كانت تستورد من اليمن..»[٢].
ونرى أن السبب قد يكون أيضاً لأن اليمن أرض الأجداد بالنسبة لقدماء المصريين الفراعنة لذلك وصفوا اليمن بأنها أرض الآلهة والأرض المقدسة وقد جاء ذكر العلاقات مع اليمن في النقوش المصرية الفرعونية منذ أواسط الألف الثالث ق.م. إلى أواخر الألف الثاني ق.م. وقد استقصى د. أبو العيون بركات تلك النقوش وسيأتي ذكرها لدلالتها على العلاقات الوثيقة بين اليمن ومصر في عصور دولة وحضارة سبأ الأقدم.

(١) البربر عرب قدامى ـ محمد المختار العرباوي ـ ص١٣٧.
(٢) بونت بين المصادر المصرية واليمنية القديمة ـ د. أبو العيون بركات ـ مجلة اليمن الجديد ـ العدد ٢ ـ السنة ١٥ ـ فبراير ١٩٨٦م.

رابعاً

بناء سد مأرب في عهد سبأ بن يشجب وعهد سبأ عبد شمس

قال نشوان الحميري: «. .استخلف سبأ بن يشجب ابنه بابليون على مصر. . ثم رجع سبأ إلى اليمن، فبنى السد الذي ذكره الله تعالى في كتابه، واسمه العَرِم، وهو سدٌ يُقبل إليه سبعون وادياً بالسيول، ولما أسس قواعد السد بناه ولم يتممه»[١].

وقال ابن خلدون: «. .وكان بمأرب السد.. وهو الذي يُسمى العرم وهو جمع لا واحد له من لفظه، قال الجعدي:

مِـنْ سـبـأ الـحـاضـريـن مـأربَ إذْ   يـبـنـون مـن دون سيـلـه الـعـرمـا

أي السد، ويقال إن الذي بنى السد هو حمير ـ بن سبأ ـ أبو القبائل اليمنية.. وقيل: بناه لقمان بن عاد، كما قاله المسعودي، وقال جعله فرسخاً في فرسخ وجعل له ثلاثين نُقباً. وقيل وهو الأليق والأصوب أنه من بناء سبأ بن يشجب وأنه ساق إليه ـ سيول ـ سبعين وادياً ومات قبل إتمامه، فأتمَّه ملوك حمير بعده، وإنما رجحناه لأن المباني العظيمة والهياكل الشامخة لا يستقل بها الواحد»[٢].

وقد دمجت أغلب الروايات بين الملك سبأ الأكبر بن يشجب والملك سبأ عبد شمس وهو سبأ الأوسط في أنباء تشييد سد مأرب، بحيث يمكن القول أن البناء الأقدم لسد مأرب كان في عهد سبأ بن يشجب وأنه مات قبل إتمامه، فأتمّه ابنه الملك حمير بن سبأ بن يشجب، فيكون زمن ذلك البناء الأقدم للسد في الفترة ما بين عام (٣٤٥٠ ـ ٣٣٥٠ ق.م.) ولكن البناء الشامل لسد مأرب العظيم الأقدم وقنواته ومصارفه كان في عهد الملك سبأ عبد شمس بن وائل (٢١٢٠ ـ ٢٠٣٥ ق.م.) ومن سلالته كان الملك لقمان بن عاد ابن الملطاط ابن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس الذي قال المسعودي أنه قام ببناء السد لأنه قام بتجديده.

وتدل نتائج تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية في موقع ومنشآت سد مأرب على صحة وجود سد مأرب منذ تلك الأزمنة والعصور حيث ـ وكما ذكر د.

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٢.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٤٤.

يوسف محمد عبد الله ـ «أن نتائج المسح الأثري الذي قامت به البعثة الألمانية في وادي ذنة حيث يقع سد مأرب قد دلّت على وجود حضارة وتقنية الري منذ الألف الثالث ق.م. وقال د. برونر عضو البعثة الألمانية: إن ترسبات وسائل الريّ تدل على أن تاريخ الريّ في وادي ذنة يعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد»(١) ثم في عام ١٩٨٨م: «كشفت تنقيبات البعثة الألمانية إحدى منشآت سد مأرب يعود زمنها إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد»(١) ـ وتلك المنشأة هي منشأة لتخزين المياه في السد، ويقول الباحث الألماني كلاوس شيبمان «أن الدراسات الحديثة من قِبل العالم فاجنر W. WAGNER أرخّت هذا الخزان المائي بأواسط الألف الثالث ق.م. أو على الأقل بالنصف الثاني منه»(٢). وقد وصف تقرير للبعثة الأثرية الألمانية سد مأرب بأنه «الصرح العملاق الذي استمر في أداء وظيفته آلاف السنين»(٣).

ويتبين من ذلك:

أ ـ أن سد مأرب الأقدم كان موجوداً في أواسط الألف الثالث ق.م. وفي النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد (٢٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ ق.م.). ومؤدى ذلك أنه كان موجوداً في العصر الأقدم الأول لدولة سبأ والذي كان أول ملوكه سبأ بن يشجب، وكان ذلك العصر من (٣٥٠٠ ـ ٢١٢٠ ق.م.) ويعطينا ذلك أساساً مادياً لما ذكره المؤرخون العرب الأوائل بأن السد من بناء الملك سبأ بن يشجب ومات قبل أن يتمّه فأتمّه ابنه الملك حمير بن سبأ، ولذلك كان السد الأقدم موجوداً في أواسط الألف الثالث ق.م. وفي النصف الثاني من الألف الثالث ق.م.

ب ـ أن بعض منشآت السد الأقدم يعود زمنها إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد (٢٠٠٠ ق.م.) وأن سد مأرب كان صرحاً عملاقاً استمر في أداء وظيفته في الألف الثاني ق.م. (٢٠٠٠ ـ ١٠٠٠ ق.م.) ومؤدى ذلك وجود وعظمة السد في العصر الأقدم الثاني لدولة سبأ منذ عهد سبأ الأوسط عبد شمس بن وائل (٢١٢٠ ـ ٢٠٣٥ ق.م.) وهو الذي قام بالبناء الأعظم لسد مأرب وقنواته

(١) تقارير البعثة الألمانية + مكتشفات أثرية جديدة ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ مجلة الوطن ـ العدد ٥/ السنة ١١/ يونيو ١٩٨٨م.

(٢) تاريخ الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٦ ـ ترجمة مركز الدراسات ـ ٢٠٠١م.

(٣) تقرير نشاطات معهد الآثار الألماني ـ صحيفة الثورة ـ صنعاء ـ عدد ٥/ ١/ ١٩٨٤م.

ومصارفه، ثم الملك لقمان بن عاد بن المبلاط (١٧٥٠ ق.م.) ولم يزل السد صرحاً عملاقاً في ذلك العصر الأقدم ثم في عصور ملوك سبأ التبابعة حتى الألف الأول قبل الميلاد كما تؤكد ذلك الآثار والنقوش السبئية عن سد مأرب العظيم التي سيأتي ذكرها في تاريخ عصور ملوك سبأ التبابعة.

خامساً

نهاية عهد سبأ بن يشجب

وقد انتهى عهد سبأ بن يشجب بوفاته في مدينة سبأ التليدة، وكان عمره ـ لما مات ـ مائة سنة وسبعة أعوام، أو «١٠٩ عاماً». وقد تصحف ذلك في بعض الروايات إلى (خمسمائة سنة وسبعين عاماً) والصواب (١٠٧ عاماً) وقد ذكر المسعودي أن سبأ بن يشجب مَلَكَ ٨٤ سنة(١) فتكون مدة حكمه من ٣٥٠٠ ـ ٣٤١٦ ق.م. وانتهى عهده بوفاته في مدينة سبأ قبل أن يُتِمَّ بناء سد مأرب الأقدم.

المبحث الثاني

عهود حِمْيَر بن سبأ
وكَهْلان بن سبأ وبني كهلان بن سبأ
(٣٤١٦ ـ ٢٧٥٠ ق.م.)

أولاً

الملك حِمْيَر بن سبأ الأكبر

قال المسعودي في مروج الذهب: «أولُ من يُعَدّ من ملوك اليمن سبأ بن يَشْجُب.. ثم مَلَكَ بعده ولده حمير بن سبأ بن يشجب، وكان أشْجَعَ الناس في وقته، وأفرسهم، وأكثرهم جمالاً، وكان مُلكه خمسين سنة، وقيل: أكثر من ذلك، وقيل: أقل من ذلك. وكان يُعرف بالمتوّج، وكان أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن»(٢).

قال ابن خلدون: «وكان لسبأ من الولد كثير، وأشهرهم حمير وكهلان

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٥ جـ٢. (٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٧٤ جـ٢.

اللذان منهما الأُمتان العظيمتان من اليمنية أهل الكثرة والمُلك والعزّ »[١] قال الهمداني : «أولد سبأ بن يشجب: العرنجج وهو حمير ، وكهلان ابني سبأ. قال ابن الكلبي : ونصراً ، وأفلح، وبشراً، وزيدان، ونعمان، وأهود ، ويشجب وهو شجبان، ورهماً ، وشداداً، وربيعة بنو سبأ، وقال غير ابن الكلبي: رأيا مالك عميكرب بن سبأ، وأهون بن سبأ. .»[٢] .

فيكون أبناء سبأ بذلك أكثر من عشرة، والصواب أنهم كانوا عشراً ، فبعض هؤلاء ومنهم (زيدان بن سبأ) إنما هم من أبناء سبأ الأوسط عبد شمس بن وائل، أما أبناء سبأ بن يشجب فكانوا عشرة.

وقد ذكر نشوان الحميري عن أصحاب التاريخ القديم : «أن سبأ بن يشجب جَمَع أهل مملكته ـ من الأقيال والقادة ووجوه الناس ـ وأجلس ولده حمير عن يمينه وولده كهلان عن يساره، وقال للناس: أعطوا حِميراً ما يصلح لليمين، وأعطوا كهلان ما يصلح للشمال، وإنّي جعلت حميراً عن يميني لأنه أكبر من كهلان وجعلت له ما يصلح لليمين، وجعلت كهلان عن شمالي لأنه أصغر من حمير، فجعلت له ما يصلح للشمال. فقالوا جميعاً : يصلح لليمين السيف والقلم والسوط، وحكموا للشمال بالعِنان والترس والقوس، وقالوا: إن صاحب السيف يصلح للثبات والوقوف في موضعه، وصاحب القلم لا يكون إلا مدبراً ناطقاً راتقاً آمراً ناهياً، وصاحب السوط لا يكون إلا رائضاً سائساً، وحكموا أن صاحب الوقوف والثبات والتدبير يكون الملك الأعظم الراتب في دار المملكة وهو حمير، وحكموا أن العنان مصرف لهوادي الخيل للذبّ عن الملك ولنكاية الأعداء حيث كانوا، وأن الترس يُردُّ به البأس عند اللقاء، وأن القوس يُنال به المناوىء والمعادي على البُعد منها، وحكموا أن ذلك يصلح لحائط الدولة والذابّ عنها وعن بيضتها والقائم بحروبها وإصلاح ثغورها وهو كهلان. فتقلد حمير المُلك الراتب في دار المملكة، وتقلّد كهلان الأطراف والثغور والحروب ومناوأة الأعداء واستخراج الأتاوات»[٣] .

لقد تم في ذلك الاجتماع الشوري الذي انعقد في أواخر عهد سبأ بن يشجب ـ بحضور أقيال وقادة البلاد ووجوه الناس ـ تحديد وإقرار قواعد نظام الحكم الرئيسية في قمّة الدولة بأن يكون على رأس الدولة ملكٌ وقائد ، وحدد

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٣٤.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩٩ جـ١.
(٣) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٢ ـ ١٥.

شروط واختصاصات الملك بأن يكون صاحب سيف وقلم ورأي وتدبير. . وأن يكون القائد صاحب عنان وترس وقوس ويتولى قيادة الجيش وأعمال الثغور والجباية ويكون رديفاً للملك . وكانت شروط الملك متوفرة في حمير بن سبأ وشروط القائد متوفرة في كهلان ، فقرروا أن يكون حمير الملك ويكون الملوك من سلالته ما توفرت فيهم تلك الشروط، وأن يكون كهلان قائداً ومتولياً للأطراف والثغور والجباية ورديفاً للملك ويكون القادة من سلالته. وتعاهدوا على الالتزام بذلك النظام عبر الأجيال ، فكان ذلك أول تنظيم لقواعد الحكم في تاريخ الإنسانية، وقد تناقلت الأجيال ذلك النبأ لأن ذلك النظام استمر زمناً طويلاً عبر عصور دولة سبأ الأقدم وحضارتها التليدة.

قال نشوان الحميري : «ثم إن حمير أقام بمملكة أبيه سبأ ـ بعد وفاة سبأ ـ وزاد فيها تعظيماً، وكهلان ردفه على ذلك، فلم يزل حمير ملكاً حتى مات . .»[١] .

وقد اختزل أغلب الإخباريين العهود من زمن حمير بن سبأ بن يشجب إلى زمن الملك الهميسع بن حمير، وذلك لتقادم تلك العهود والأزمنة وعدم معرفة أسماء الملوك الذين حكموا خلالها، وقد كان الزمن منذ عهد سبأ بن يشجب وحمير بن سبأ إلى عهد الهميسع زهاء سبعمائة سنة، فتمّ إطالة مدة حكم سبأ بن يشجب وحمير بن سبأ بحيث نقل المسعودي عن ابن شرية : «أن سبأ بن يشجب مَلَكَ مائة سنة وأربعاً وثمانين سنة». قال نشوان «وقالوا: مَلَكَ حمير بن سبأ زيادة عن خمسمائة سنة»[١] . وقال الهمداني في الإكليل «بلغ حمير بن سبأ في العمر والملك بعد أبيه أربعمائة سنة وخمساً وأربعين سنة»[٢] .

وقد تم إطالة مدة حكم سبأ بن يشجب وحمير بن سبأ لعدم شهرة الملوك الذين حكموا إلى عهد الملك الهميسع سليل حمير بن سبأ. فالأصوب أن سبأ بن يشجب حكم ٨٤ سنة (من ٣٥٠٠ ـ ٣٤١٦ ق.م.) ثم حكم حمير بن سبأ زهاء خمسين سنة كما ذكر المسعودي فيكون ذلك (من ٣٤١٦ ـ ٣٣٦٦ ق . م.) ثم تعاقب على الحكم بعد حمير بن سبأ وقبل الهميسع زهاء عشرة ملوك لأن زمن الهميسع كان حوالي عام ٢٧٥٠ ق.م. كما سيأتي.

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٢ ـ ١٥.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٧٩ جـ٨.

ثانياً

الملك كهلان بن سبأ.. والأسرة الملكية الكهلانية القديمة

قال المسعودي: «مَلَكَ بعد حمير بن سبأ أخوه كهلان، فطال عمره، وكبر سنه، واستقامت له الأمور، وكان مُلك كهلان ثلاثمائة سنة»[1].

ونرى أن مدة حكم كهلان المذكور أنها (ثلاثمائة سنة) تشمل مدة حكم كهلان وعدة ملوك من أبنائه وأحفاده، وهم (الأسرة الكهلانية الملكية الأولى). وقد جاء في الإكليل أنه: «أولد كهلان بن سبأ: زيداً، فأولد زيد: عَرِيباً، ومالكاً، وغالباً. فأولد عَرِيب بن زيد بن كهلان: عَمْراً، فأولد عمرو: زيداً وهميسع. وأولد غالب بن زيد بن كهلان: جنادة الملك. وأولد مالك بن زيد بن كهلان: نبتاً والخيار..»[2].

فمدة حكم كهلان المذكور أنها ثلاثمائة سنة هي مدة حكم تلك الأسرة الملكية الكهلانية الأولى وهم:

كهلان بن سبأ

زيد بن كهلان

عريب — غالب بن زيد بن كهلان — مالك

عمرو — جبار — جنادة الملك — نَبْت — الخيار

وكان كهلان بن سبأ قائداً في عهد أخيه الملك حمير بن سبأ (٣٤١٦ - ٣٣٦٦ ق.م.) ثم أصبح كهلان ملكاً بعد حمير بن سبأ، فطال عمره، وكبر سنه، واستقامت له الأمور، ليس أكثر من خمسين سنة (حوالي ٣٣٦٥ - ٣٣١٥ ق.م.)، وفي عهد أخيه حمير ثم في عهده - وكما ذكر نشوان - «نَدَب كهلان بن سبأ إلى أرض الحجاز - بقية - جرهم بن قحطان، وكتب إلى ساكني

(١) مروج الذهب - المسعودي - ص٧٤ جـ٢.
(٢) الإكليل - الحسن الهمداني - ص٣٠ جـ١٠.

الحجاز من العمالقة بالسمع والطاعة لجرهم.. وجهز كهلان إلى أرض نجد مما تياسر من الطائف إلى حضر فحدود اليمامة الهميم بن عاصم بن جُلهمة فيمن تخلف من جَدِيس باليمن ومن لحقهم من الأتباع، فسار الهميم حتى توسط بلاد نجد ما بين الطائف واليمامة فامتلكها.. ثم إن كهلان بن سبأ دعا عمرو بن جحدر وهو أحد من تخلف باليمن من ثمود ليتجهز إلى تيماء فالوادي - وادي القرى - فتلك النهوج إلى ما قارب إيله، وعقد له الولاية على ساكني تلك البلاد من ثمود وبني عمليق، فتجهز عمرو بن جحدر في أهل بيته وعشائره من بني سام وسار حتى قَطَنَ بتيماء».

ويبدو أنه بعد وفاة كهلان بن سبأ تولى الحكم (عميكرب بن عسكر بن سبأ) ثم تولى الحكم بنو كهلان بن سبأ فقد ذكر المسعودي أنه «كان مُلك كهلان ثلاثمائة سنة» وقال «..ثم ملك أبو مالك عمرو بن عسكر بن سبأ، واتصل مُلكه، وغمر الناس عدله، وشملهم إحسانه، وكان مُلكه ثلاثمائة سنة» [ص ٧٤/٢] - وهو في الإكليل «أبو مالك عميكرب بن سبأ» [ص١٩٩/١].

ويبدو لنا ترتيب ملوك ذلك العصر بعد حمير بن سبأ وقبل الهميسع كما يلي:

١ - الملك كهلان بن سبأ، وقد حكم زهاء خمسين سنة (من حوالي ٣٣٦٥ - ٣٣١٥ ق.م.).
٢ - الملك أبو مالك عميكرب بن عسكر بن سبأ (من حوالي ٣٣١٥ - ٣٢٤٥ ق.م.).
٣ - زيد بن كهلان بن سبأ حوالي ثلاثين سنة (٣٢٤٥ - ٣٢١٠ ق.م.).
٤ - عَرِيب بن زيد بن كهلان حوالي أربعين سنة (٣٢١٠ - ٣١٧٠ ق.م.).
٥ - مالك بن زيد بن كهلان حوالي خمسين سنة (٣١٧٠ - ٣١٢٠ ق.م.).
٦ - غالب بن زيد بن كهلان حوالي ستين سنة (٣١٢٠ - ٣٠٦٠ ق.م.).
٧ - جنادة بن غالب وقد ذكره الهمداني بلفظ (جنادة الملك).
٨ - جبار بن غالب. قال المسعودي: «ثم ملك جبار بن غالب بن زيد بن كهلان مائة وعشرين سنة».

ونرى أنها مدة حكم جنادة بن غالب وجبار بن غالب معاً. (وذلك من حوالي ٣٠٦٠ - ٢٩٤٠ ق.م.).

٩ - الحارث بن مالك. قال المسعودي: «ثم مَلَكَ بعد جبار بن غالب الحارث بن مالك.. وكان مُلكه مائة سنة ونحو أربعين سنة». قال الهمداني

في الإكليل هو «الحارث بن مالك بن صيفي بن شجبان بن سبأ، وفيه يغلط الناس ويظنونه الحارث الرائش بن إل شدد» [ص١/٢٠٠] ـ وقد حكم الحارث بن مالك فيما ذكر المسعودي «مائة سنة ونحو أربعين سنة». وذلك كثير، ونرى أن تلك المدة تشمل عهده وعهد بعض أولاده، فحكم وأولاده ١٤٠ سنة، فيكون ذلك من حوالي ٢٩٤٠ ـ ٢٨٠٠ ق.م..

١٠ ـ الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. وقد يكون الخيار بن الحارث بن مالك، وقد حكم زهاء خمسين سنة، فيكون ذلك من حوالي ٢٨٠٠ ـ ٢٧٥٠ ق.م. وهو آخر ملوك الأسرة الكهلانية السبئية القديمة، بحيث بدأ ـ في عام ٢٧٥٠ ق.م. ـ عهد الهميسع والملوك من آل الهميسع.

المبحث الثالث

عهود الهميسع بن حمير وملوك سبأ من آل الهميسع

(٢٧٥٠ ق.م. ـ ٢١٢٠ ق.م.)

تتميز الفترة من (٢٧٥٠ ـ ٢١٢٠ ق.م.) من العصر الأقدم الأول لدولة وحضارة سبأ بوفرة الدلائل والشواهد الآثارية وما حفظه لنا المؤرخون الأوائل عن دولة وحضارة سبأ وملوكها ومعالم تاريخ تلك العهود التليدة في الألف الثالث قبل الميلاد.

فقد أسفر الفحص الفيزيائي للمومياءات اليمنية السبئية المعثور عليها في جبل الغراس عن نتائج قال مدير المختبر الفيزيائي الهولندي: «أنها نتائج تدعو إلى الدهشة وتبوح بمعلومات كثيرة»(١) ومن بينها: «أن زمن المومياء الأقدم يعود إلى الفترة من عام ٣٠٢٠ ـ ٢٧٩٥ ق.م. ويعود زمن المومياء التالية إلى الفترة من عام ١٢٦٥ ـ ٩٨٠ ق.م.»(١) ويدل ذلك على أن التحنيط كان موجوداً ومعروفاً في اليمن كما في مصر الفرعونية في الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد.

وقد دلت دراسة النقوش المصرية الفرعونية على مجيء ذكر العلاقات مع اليمن وجلب البخور والمحاصيل والمنتجات من اليمن إلى مصر في نقوش ملوك الأسرة الفرعونية الرابعة (٢٦٢٠ ـ ٢٤٨٠ ق.م.) وفي نقش من عهد ساحورع ثاني ملوك الأسرة الفرعونية الخامسة (٢٤٨٠ ـ ٢٣٤٠ ق.م.) يذكر د. أبو

(١) تقرير المختبر الفيزيائي الهولندي وجامعة أوترخت بهولندا ـ مجلة الاتحاد.

العيون بركات أنه «أقدم نقش فرعوني يسجل جلب بخور للمعابد ومنتجات من اليمن»(١) ثم تتواصل نقوش ملوك مصر الفرعونية في العصر الأقدم عن جلب منتجات من اليمن إلى عهد الملك منتحوتبة سمنخ (٢١٠٠ ـ ٢٠٥٠ ق.م.) وسيأتي ذكر تلك النقوش والتي تدل على علاقات واسعة مع اليمن في تلك العهود بالألف الثالث ق.م.

وتبرهن المكتشفات الأثرية في اليمن وسومر وبابل على أن دولة اليمن في ذلك العصر هي دولة سبأ، فقد أثبتت تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية وجود منشآت سد مأرب الأقدم ووسائل الري في وادي ذنة حيث يقع سد مأرب «في أواسط الألف الثالث ق.م. وفي النصف الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد» ـ أي الفترة من ٢٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ ق.م. ـ وجاء ذكر العلاقة مع سبأ في النصوص السومرية والكلشية ببلاد الرافدين حيث قال العالم هومل «أن سبأ عاصرت سومر، وجاء ذكر سبأ في نقش للملك أرونانز ملك لجش عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد»(٢) وكذلك جاء ذكر «ينطم ملك سبأرا» في نص مسماري من لجش يعود إلى عام ٢٤٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م. وكذلك «جاء ذكر سبأ في نص مسماري للملك أردنانر معاصر آخر ملوك أور» في الفترة إلى حوالي ٢٠٢٠ قبل الميلاد كما أشار إلى ذلك د. جواد علي في كتابه المفصل.

وقد حفظ لنا علماء المؤرخين العرب اليمنيين الأوائل عن مصادرهم الأقدم التي لم تصل إلينا، أسماء وأنباء ملوك تلك العهود بشكل يتمتع بقدر كبير من الدقّة، وعددهم ١٢ ملكاً حكموا نحو ستمائة وثلاثين سنة منذ الملك هميسع بن حمير بن سبأ إلى الملك وائل بن الغوث بن جيدان بن قَطَن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، وقد ذكر نشوان الحميري والهمداني «أن النبي إبراهيم عاصر الملك وائل بن الغوث..» ـ كما سيأتي ـ ويدل ذلك على أن عهود أولئك الملوك من الهميسع إلى وائل بن الغوث هي من عام (٢٧٥٠ ـ ٢١٢٠ ق.م.) وهي تلك الفترة التي تؤكدها الآثار والدلائل سالفة الذكر في اليمن ومصر وسومر وبلاد بابل. وفيما يلي معالم عهود ملوك ذلك العصر.

(١) بونت بين المصادر اليمنية والمصرية القديمة ـ د. أبو العيون بركات ـ مجلة اليمن الجديد.
(٢) اليمن الإنسان والحضارة ـ عبد الله الشماحي ـ ص٣٧.

أولًا

عهد الهُمَيْسَع بن حِمْيَر بن سبأ

هو الملك الهميسع سليل حمير بن سبأ بن يشجب، وليس الهميسع ابناً مباشراً لحمير بن سبأ، فبينهما أجيال وقرون حكم خلالها عشرة ملوك أسلفنا ذكرهم من بني سبأ وبني كهلان بن سبأ، ثم حكم الهميسع سليل حمير بن سبأ فتم اعتباره ابن حمير بن سبأ لأنه من سلالته، ونظراً لتقادم ذلك الزمن تم اعتباره ابن حمير بن سبأ مباشرة وأنه حكم بعده، والصواب أنه سليل حمير بن سبأ.

وكان الهميسع من عظماء الملوك، حكم زهاء خمسين سنة (٢٧٥٠ - ٢٧٠٠ ق.م.) وفيه قال نشوان:

أيـن الـهُـمَـيْـسَـعُ ثـم أيْـمَـن بـعـدَه   وزُهَـيْـرُ مَـلْكٍ زاهـرٍ وضّاحِ

وقال «أجرى الهميسع بن حمير الناس على ما كان أجراهم عليه حمير بن سبأ، فاشتدت أطناب المملكة للهميسع، واستحصدت مدايرها.. ولما توفي كهلان، قام زيد بن كهلان للهميسع قيام أبيه، وتقلّد ما كان كهلان يتقلد من الأعمال والأطراف والثغور»(١) وقد وقع هاهنا التباس فزيد بن كهلان الذي تقلد القيادة وأعمال الأطراف والثغور في عهد الهميسع لا بد أنه «زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ» المذكور في الأنساب بالإكليل(٢) وإنما يقال (زيد بن كهلان) للاختصار أو الالتباس. قال نشوان: «ثم إن زيد بن كهلان جرَّد ابنه عمراً إلى مَذْيَنَ وما حولها، وأمرهم بالسمع والطاعة له ودفع الإتاوة. فأطاعوا.. ثم مات الهميسع بن حمير» (ص٢٣).

وجاء في هامش الإكليل: «الهميسَع - بالفتح - ومعناه الرجل القوي». قال الهمداني: «قال أهل السجل: أولد الهميسع بن حمير: يامناً، وأيمن، ومهيسعاً، والهاسع، والمختسع، ومتبعاً، وأقرع.. وفي بعض زبر همدان القديمة أن الهميسع أولد مع من سمَّينا زهيراً فدرج، والغوث. فولد الغوث بن الهميسع ثعلبان بطن.. وقال أبو نصر اليهري: أولد الهميسع بن حمير: يامن بفتح الميم، وأيمن، ومهيسعاً، والهاسع، ولحجاً، ومتبعاً، والمختسع، وأقرع.. بني الهميسع الملك. وفيه يقول الحارثي:

---

(١) السيرة الجامعة - قصيدة نشوان - ص٢٢.
(٢) الإكليل - الحسن الهمداني - ص٣٠ جـ١٠.

هو المُقعص النعمان قسراً وقبله   أبـا كـرب والأيـهـمـيـن وتُـبَّـعـا
وزيد بن كهلان، وعمرو بن عامر،   وحَلْوَان أودى عنوة وهميسعا»(١)

ومات الملك هميسع بن حمير حوالي عام ٢٧٠٠ ق.م.

ثانياً

عهد أيمن بن الهميسع معاصر الأسرة الفرعونية الثالثة

لما توفي الهميسع تولى عرش سبأ أيمن بن الهميسع، وطال عمره وعهده زهاء سبعين سنة، وكان إخوته من الأقيال الأمراء في عهده وهم (يامن، ومهيسع، وهاسع، ومختسع، ولحج، ومتبع، وأقرع).

قال نشوان الحميري: «تولى أيمن بن الهميسع بعد أبيه، فأجال بالشرف والسؤدد، وسار بما انتهى إليه من وصايا أبيه وأسلافه لصيانة الدولة وسياسة المُلك، فحُمِدَت أيامه، وشاع عدله ورغب الناس فيه. ونصَّب معه زيد بن كهلان ابنه مالك بن زيد بن كهلان - على أعمال الثغور والأطراف -» [ص٢٤] وربما كان مالك بن زيد معاصر أيمن بن الهميسع هو نفسه «أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ» في الإكليل.

وقد حكم أيمن بن الهميسع زهاء سبعين سنة ما بين (٢٧٠٠ - ٢٦٣٠ ق.م.) وكان إخوة أيمن من أقيال عهده ومنهم لحج وباسمه سمِّيت منطقة لحج، ومهيسع، وهاسع، ومختسع، ومتبع، وأقرع(١) ومن الملفت للانتباه أن أسماءهم قريبة من ملوك مصر الفرعونية في ذلك الزمن وهم ملوك الأسرة الفرعونية الثالثة (٢٧٢٠ - ٢٦٢٠ ق.م.) بنكرع، ونفركرع. ثم ملوك الأسرة الرابعة (٢٦٢٠ - ٢٤٨٠ ق.م.) ومنهم (سوفسرع ومنقرع)(٢) ويدل تشابه الأسماء على الثقافة والجذور المشتركة في ذلك الزمان.

وقد انتهى عهد الملك أيمن بن الهميسع بوفاته (حوالي عام ٢٦٣٠ ق.م.) وجاء في الإكليل أنه «أولد أيمن: زهيراً، والغوث، فولد الغوث: جرهم الآخر» [ص٣/ ٢] ويبدو أن اسم الغوث هو في الأصل (غوثُ = غوثو) ومن المحتمل أنه حكم بعد أبيه زهاء ثلاثين سنة.

---

(١) الإكليل - الحسن الهمداني - ص٣ جـ٢.
(٢) مصر الفراعنة - ألن جاردنر - ص٤٧٣.

ثالثاً

عهد زُهير بن أيمن بن الهميسع
معاصر النبي صالح عليه السلام وهلاك ثمود

ثم تولى عرش سبأ الأقدم الملك زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ. قال المؤرخ العلامة نشوان بن سعيد الحميري في قصيدته عن تاريخ ملوك اليمن القدماء:

أين الـهُـمَـيْـسَـعُ ثم أيـمَـن بـعـدَه ... وزُهَـيـرُ مَـلْـكٍ زاهـرٍ وضّـاحِ
في عـصـرهِ هَـلـكـتْ ثـمـودُ بـنـاقـةٍ ... لَقِـيـت بـهـا تـرحـاً مـن الأتـراحِ

وكان من معالم عهده:

ـ أن الملك زُهير بن أيمن بن الهُميسَع حكم زهاء خمس وستين سنة (من حوالي ٢٦٠٠ ـ ٢٥٣٥ ق.م.) وأنه «سار بالعدل في الرعيّة، والتجاوز عن المسيء، والكفّ عن أذى العشيرة، والتحفظ بها، والتحبُّب إليها». قال نشوان: «وتقلّد الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان أعمال الأطراف والثغور في طاعة الملك زهير بن أيمن بن الهميسع، وكتب إلى العمال، فسمعوا له وأطاعوا.. ووجّه الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك وعقد له الولاية على ساكني مأرب وجميع أهل أعمال مأرب من حضرموت ومرخة وشبوة وبيحان»[1]. ويتبين من ذلك أن الأزد بن الغوث كان من أمراء ذلك العهد التليد وكان والياً عاملًا على شرق اليمن من مأرب وبيحان والبيضاء إلى حضرموت[2].

ـ وكانت قبيلة ثمود قد انتقلت معظمها من منطقة ثمود في حضرموت إلى منطقة الحجر وهي وادي القُرى بأعالي الحجاز وانتشروا إلى أداني فلسطين والشام. وقد ذكر نشوان في أنباء عهد الملك حمير بن سبأ، وكهلان بن سبأ، أنه «دعا عمرو بن جحدر وهو أحد من تخلّف باليمن من قبيلة ثمود بن عاثر، ووجهه إلى تيماء فالوادي ـ وادي القرى ـ وتلك النهوج إلى ما قارب إيلة، وعقد له الولاية على ساكني تلك البلاد من ثمود وزهرة بن عمليق، فترجه عمرو بن

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص٢٨.
(٢) وهو كما في الإكليل: (الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ). وكان من رجالات ذلك الزمن أيضاً: «مذحج بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ) جد قبيلة مذحج، وجلهمة بن أدد بن زيد: جد قبيلة طيء. وكانوا يسكنون منطقة الجوف.

جحدر والياً على ساكني تلك المواضع في أهل بيته وعشائره (الذين هم من ثمود) بالإبل والعدد حتى سكن بتيماء» (ص١٨) فانتشرت قبيلة ثمود في تلك المنطقة بالحجر وهو وادي القرى وتيماء إلى أيلة (وهي العقبة حالياً) وكانوا بذلك في الطريق بين اليمن والشام ومصر ينقلون المنتجات التجارية أو يتوسطون في نقلها ويحملونها براً على ظهور الإبل والحمير ما بين اليمن والشام ومصر، وأعطاهم الله فضلًا في القوة والأبدان، وسعة في الرزق، ولم يزالوا كذلك إلى أن بعث الله تعالى إليهم النبي صالح عليه السلام. قال ابن شرية: «وهو صالح بن عمرو بن وهبة بن كاشح بن أحقب بن ألوذ بن ثمود» فدعاهم النبي صالح إلى دين التوحيد الحنيف إلى أن أظهر لهم معجزة الناقة «فلما رأى ذلك رئيسهم جُنْدَع بن عمرو خرّ لله ساجداً، وسجد معه بشرٌ كثير وآمنوا.. وقال لهم صالح: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣] وقال: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]. فمكثوا على إيمانهم فترة من ذلك العهد، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨]. فاجتمع التسعة على عقر الناقة وكان منهم قُدار بن سالف، فأكبّ قُدار وأصحابه على الناقة فذبحوها وأكلوا لحمها وأظهرت ثمود الكفر، فقال لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]، ثم أهلكهم الله بالصيحة كما هو مذكور في القرآن، ونجّى الله النبي صالح والذين معه من المؤمنين.

وجاء النبي صالح إلى مكة حيث أول بيت وُضع للناس، ويدل على ذلك قول النبي محمد ﷺ: «لقد مرَّ بهذا الوادي نوح وهود وصالح وإبراهيم يحجون البيت العتيق، أُزُرُهم العباء وأرديتهم النمار»[1].

وأتى النبي صالح عليه السلام إلى اليمن وإلى منطقة حضرموت التي هي الموطن الأول لقبيلة ثمود في اليمن، وكان الملك زهير بن أيمن بن الهميسع مؤمناً بدين التوحيد الحنيف الذي دعا إليه النبي صالح عليه السلام، وكذلك آمن بدين التوحيد فريق من اليمنيين، وقد ذكر عبيد بن شرية الجُرهمي في أخبار الملوك الماضيين ونشوان الحميري في قصيدته التاريخية أنه: «لما أَسَنَّ الملك زهير أوصى ابنه عَريب بن زهير فقال: (يا بُني، أوصيك بتقوى اللّه، فآثِرْهُ على من سواه، وأعِظك مع الجميع بمصارع ثمود نصب أعينكم، وسماع آذانكم فما أُجيب لها

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١١٥ جـ٢.

نداء، بل أصبح بينهم ما أوعدوا به.. فلم ينفعهم عدد منهم ولا جَلد) [ص٢٦].

وتدل معاصرة النبي صالح للملك زهير بن أيمن بن الهميسع على أن زمن النبي صالح وهلاك ثمود كان في حوالي عام (٢٥٥٠قبل الميلاد) وذلك قبل النبي إبراهيم بنحو أربعمائة سنة، وكان إبراهيم في عصر الملك وائل والملك عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قَطَن بن عَريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع كما هو مذكور في الإكليل[1].

وكان النبي صالح ثاني الأنبياء العرب اليمانيين المعروفين وهُم النبيّ هود العاديّ والد قحطان بن هود عليه السلام والنبي صالح عليه السلام. وقد ذكر الحافظ ابن كثير عن صحيح ابن حبان أن أبا ذر الغفاري سأل النبي محمد ﷺ عن الأنبياء العرب فقال: «منهم أربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر»[2] وجاء في الإكليل أنه: «قال النعمان بن بشير الأنصاري الأزدي:

فمنّا سَراة الناس هودٌ وصالحٌ ... وذو الكفل منّا والملوك الأعاظم

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

فنحن بنو قحطان والمُلك والعلى ... ومنّا نبيّ الله هود الأخاير
وصالح والمرحوم يونس بعدما ... ألاتَ به حوتٌ بأخلبَ زاخرِ
شعيب وإلياس وذو الكفل كلهم ... يمانون قد فازوا بطيب السرائر»[1]

وقد تُوفيَ النبي صالح باليمن حيث ما يزال قبره معروفاً في قرية (أصحاف) غرب سيئون بمسافة خمسين كيلومتر في محافظة حضرموت. وتوفي الملك زهير بن أيمن بن الهميسع بمدينة سبأ التليدة وذلك حوالي عام ٢٥٣٥ ق.م. في القرن السادس والعشرين قبل الميلاد.

رابعاً

عهد الملك عَريب بن زهير والملك أبين مؤسس أبين

ثم تولى عرش سبأ الأقدم الملك عَريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع. قال الهمداني: «وعريب مشتق من يعرب والعربية. ويقال ما في الدار من عريب: أي مُخبر، ولا عامر: أي ساكن. قال ابن ذي جدن:

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٧٠ ـ ١٧١ جـ١.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٢٢ جـ١.

تعوي الثعالب في قراها ... ما في مساكنها عريب»[1]

واسم الملك عريب بن زهير قريب أيضاً من اسم ملك مصر الفرعونية في نفس ذلك العهد وهو الملك (سريب ـ خع فرع) من ملوك الأسرة الرابعة ثم يليه الملك منقرع إلى حـ/ عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد[2] فبينما كان يحكم اليمن الملك عريب كان يحكم مصر الملك سريب وهو تقارب هام في الأسماء.

وقد ذكر نشوان الحميري عن مصادره الأقدم أنه: «لما توفي الملك زهير قام بعده ابنه عريب أحسن قيام حُمِد فيه ولم يُذم، وعدل ولم يجُر، وولّى معه الغوث بن نبت ـ أعمال الأطراف والثغور ـ صدراً من ولايته، ثم أسند العمل إلى ابنه الأزد بن الغوث، ولم يزل يكلأ الملك، وسنّ في أعمال الأطراف أنه كلما مات عامل طرفٍ قلّد عمله الأرشد من ولده أو إخوته أو من بني عمه لا يخرج إلى غيرهم». [ص٣٦].

وجاء في الإكليل عن أهل السجل القديم أنه: «أولد عريب بن زهير: قَطَناً، وعَدارساً ـ ويُخفف فيقال عداس كأنّ الراء فيه زائدة ـ ومُثَوَّباً، وجيدان.. فأولد مثوب بن عريب: نخلان، والأشروع، وعرنة، وعنة، والثجة، خمسة بنو مُثَوَّب بن عريب قبائلها كلها»، وباسم نخلان سمّي وادي نخلان الواقع جنوب مدينة إب، وباسم الأشروع سُمّي وادي الأشروع في مخلاف الكلاع وباسم (عنّه) سُمي وادي عنّه في العدين بمخلاف الكلاع غرب مدينة إب، وباسم (ثجّة) سُميت بلدة ثجّة الواقعة شرق جبل التعكر فوق نقيل نخلان، ويُقال أن الثجة الاسم الأقدم لمدينة إب، ويبدو أن الملك عريب ولّى ابنه مُثوب بن عريب تلك المناطق في محافظة إب حالياً ـ فاستقر بها أولاده وسلالته منذ ذلك الزمن البعيد. وقد حكم الملك عريب بن زهير نحو خمس وعشرين سنة.

قال ابن خلدون: «ومَلَكَ من أبناء الهميسع: أبين بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع، وإليه يُنسب عرب أبين من بلاد اليمن»[3].

وقال الهمداني: «قال أبو نصر: أولد ذو يقدم ذا أبين وبه سُميت أبين عدن ـ قال الهمداني ـ وليس يمكن إلا أن يضاف إلى اسم قد سُمي قبله وإلا كانت تُضاف إليه فيقال ذات أبين، وإنما سُميت أبين بأبين بن الهميسع.. وأصحاب

(١) قال القاضي محمد الأكوع في هامش الإكليل: «لا يزال مواطن وجيل من الناس يُسمي عريباً، ومنه ذو عريب وجرن عريب بلدتان في الكلاع».
(٢) مصر الفراعنة ـ آلن جاردنر ـ ص٤٧٤.
(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص٤٨ جـ٢.

ابن الكلبي يقولون: هو أبين بن زهير أخو عريب بن زهير»[١] ويستفاد من ذلك أن الملك أبين هو مؤسس أول مدينة بمنطقة أبين التي تمتد إلى ساحل البحر العربي وربما أنشأ ميناء هناك. وقد حكم الملك أبين نحو عشر سنين إما في عهد أخيه الملك عريب وإما بعده، وكان عهدهما معاً إلى حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م. وما تزال منطقة أبين تحمل اسم الملك أبين إلى اليوم.

خامساً

عهد الملك قَطَن الأول معاصر ساحورع

ملك مصر وأرونانز ملك بابل ومؤسس أقدم علاقات خارجية رسمية مع الملوك في التاريخ

هو قَطَن بن عَريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع ملك دولة سبأ، وكل بلاد اليمن ـ جنوب الجزيرة العربية ـ بعد الملك عريب وأخيه أبين. قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك اليمن القدماء:

وعَريبُ أو قَطَنٌ وجَيْدانٌ معاً   أضحوا كأنهم نَوَىً وضَّاحُ

ثم قال: «وُلِّي المَلك قطن بن عريب، بعد أبيه عريب بن زهير، وسار في الناس سيرة ـ حسنة ـ.. أظهر العدل، وأظهر النعمة في أهل بيته، وأشعر رعيته الأمن والعدل، وأمَّن السبيل، وواصَلَ ملوك الأعاجم، فاعتقدوا خلّته، وجعله كل واحد منهم معقلاً وراء ظهره»[٢].

وبما أن تسلسل الزمن والملوك يدل على أن عهد الملك قَطَن كان زهاء ستين سنة في الفترة من حوالي عام ٢٥٠٠ ـ ٢٤٤٠ ق.م. فقد بحثنا في دراسات وآثار بلاد الرافدين ومصر عن دلالات ومعالم مواصلة الملك قَطَن (ملك دولة سبأ وكل جنوب الجزيرة العربية) لملوك تلك البلاد حيث كان «أرونانز ملك لجش» أشهر ملوك بلاد بابل. وكان «ساحورع ملك مصر» أشهر ملوك الأسرة الفرعونية الخامسة التي حكمت مصر في ذلك العهد. ويتبين من الدراسات والآثار المعثور عليها هناك:

١ ـ أن قدماء المصريين الفراعنة كانوا يسمون جنوب الجزيرة العربية بلاد بونت

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٧ جـ٢.
(٢) قصيدة نشوان الحميري ـ ص.

الأرض المقدسة، حيث كما أكد العالم المصري د. أبو العيون بركات: «أن المصري القديم كان يقصد ببلد بونت جنوب الجزيرة العربية، وكان يذكر مرادفاً لها دائماً كلمة (تانترايس) أي أرض الإله أو الأرض المقدسة مما يفيد أن هذا البلد كان له قدسية خاصة عند المصريين القدماء.. وربما جاء هذا التقديس من أن المواد التي كانت تستعمل في الطقوس الدينية في المعابد كانت تستورد من هذا البلد، أو ربما لأن هذه الأرض كانت تتمتع بنوع من التقديس لأنهم يحصلون منها على البخور الذي كان له عند جمع محصوله طقوس خاصة مقدسة.. ففي عصر الدولة القديمة في عهد الملك ساحورع من الأسرة الخامسة (٢٤٨٠ ـ ٢٤٤٠ ق.م.) نجد أنه أرسل بعثة تجارية إلى بلاد بونت (جنوب الجزيرة العربية) ـ لجلب البخور والمواد ـ صُورت على جدران معبده»[١] ويتبين من الرسم في جدار معبد ساحورع في أبي صير وصول سفينة مبعوثة من بلاد بونت إلى ملك مصر وهي كما تذكر الدراسات «محملة بالرسل والخيرات والهدايا.. ويظهر في الرسم استقبال ساحورع للقادمين في السفينة وبينهما شخص يقف كالمترجم [ربما هو المُعرَّف بين ساحورع والوفد].. وكان ساحورع مسروراً بوصولهم واستقبلهم بابتهاج» [اهـ]. ونرى أن ذلك هو الوفد الذي بعثه ملك ـ الأرض المقدسة ـ الملك قطن إلى ملك مصر ـ ساحورع ـ وأن ذلك يؤكد أنه أول من واصَلَ الملوك بالرسل والهدايا، وأول من أسس العلاقات الخارجية في التاريخ، وقد أرسل ساحورع بعثة تجارية إلى اليمن ـ الأرض المقدسة ـ جلبت البخور وبعض المواد إلى مصر، وكان ذلك بداية علاقات وبعثات كثيرة ذكرتها رسوم ونقوش ملوك الدولة الفرعونية القديمة في مصر حيث ـ كما ذكر د. أبو العيون بركات ـ «في عهد الأسرة السادسة (٢٤٢٠ ـ ٢٢٣٠ ق.م.) نجد حاكم أسوان يذكر أنه تردد بمركبه إلى بلاد بونت الأرض المقدسة إحدى عشرة مرة». وقد جاء ذلك في نقش هيروغليفي في مقبرة الأميرخوي في قبة الهواء بأسوان يذكر «أن خنوم ختب أبحر بمركبه إحدى عشرة مرة إلى بلاد بونت الأرض المقدسة لجلب البخور للمعابد بصحبة الأميرخوي ـ حامل أختام الملك ـ كما أبحرا مرة واحدة إلى بلاد كوش». وهذا يؤكد أن بلاد بونت هي جنوب الجزيرة العربية فقط لأن بلاد كوش هي الحبشة وساحل

(١) بونت بين المصادر اليمنية والمصرية القديمة ـ د. أبو العيون بركات ـ مجلة اليمن الجديد العدد ٢/ السنة ١٥/ فبراير ١٩٨٦م.

الصومال. ويذكر نقش في مقبرة الفنتين «أن صاحب القبر وهو (حرقوف) سار على رأس قافلة من الحمير ـ براً ـ لجلب البخور والحنكو وبعض المواد فأحضرها بعد رحلة شاقة بقافلته استغرقت ثمانية أشهر صعبة»، ـ لأنه سار بقافلته من الحمير من وسط مصر إلى سيناء ثم الحجاز ثم إلى مناطق إنتاج البخور المقدس في اليمن ومكث فترة ثم عاد من ذلك الطريق إلى وسط مصر ـ وكان ذلك في عهد الملك بي (بيوبي/ مريرع) ويقدر جاردنر زمنه بالفترة (٢٣١٠ ـ ٢٢٥٧ ق.م.).

ويذكر د. أبو العيون بركات أنه «في عهد الأسرة الحادية عشرة (٢١٣٤ ـ ١٩٩١ ق.م.) أرسل الملك منتوحتبه مدير خانته فذهب عن طريق وادي الحمامات والبحر الأحمر إلى بلاد بونت ـ اليمن ـ لإحضار البخور الطازج». وقد تواصلت العلاقات ونقوشها ـ كما سيأتي ـ في عصور الألف الثاني قبل الميلاد.

٢ ـ وفي دراسات النصوص المسمارية ببلاد بابل يذكر العالم هومل «أن اسم سبأ جاء في نص للملك أرونانز ملك لجش عام ٢٥٠٠ ق.م. وأن سبأ عاصرت سومر»(١) وهذا يدل على اتصالات وعلاقة رسمية بين أرونانز ملك لجش ودولة سبأ في ذلك الزمن (ما بين عام ٢٥٠٠ ـ ٢٤٤٠ ق.م.) بدليل ذكر الاسم الرسمي لدولة بلاد اليمن وهو (سبأ) في ذلك النص المسماري، وبالتالي فإن ذلك يؤكد أن ملك سبأ في ذلك العهد ـ الملك قَطَن ـ واصل أرونانز ملك لجش وحكام سومر ـ وربما غيرهم أيضاً ببلاد الرافدين ـ وبدأت بذلك علاقات مع تلك البلاد ومنها سومر تواصلت في ذلك العصر الأقدم مئات السنين بحيث جزم هومل بأن سبأ عاصرت سومر التي استمرت حتى الألف الثاني ق.م. وقد أشار د. جواد علي إلى وجود نص مسماري من عهد أردنانر معاصر آخر ملوك أور، جاء فيه ذكر سبأ ولكنه لم يذكر تفصيل ذلك لشيوع الظن بأن دولة سبأ لم تكن موجودة في ذلك الزمن، ولكن الحقيقة ـ وكما قال البروفيسور جيمس ساور ـ «أن سبأ أقدم مما يعتقده العلماء» وقد أشار جواد عليّ إلى زمن ذلك النص المسماري بأنه يعاصر آخر ملوك أور. وجاء في كتاب العلاقات أن آخر ملوك أور (ايبي سن) كان في الفترة من ٢٠٢٧ ـ ٢٠٠٣ ق.م. في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد(٢).

(١) اليمن الإنسان والحضارة ـ عبد الله الشماحي ـ ص٣٧.
(٢) العلاقات الحضارية ـ د. سليمان سعدون وعز الدين إسماعيل ـ طبعة الكويت ـ ١٩٨٣م.

وكان من العوامل الهامة في العلاقات مع بلاد الرافدين والنشاط التجاري إليها ما ذكره نشوان الحميري من أنه «وجّه الملك قَطَن بن عريب القائد نصر إلى الشّحر وعُمان في الخيل والرجال والعدد، وأمره أن يتوطن تلك البلاد» [اهـ] فذلك الحدث يشير إلى تكوين مستوطنة رئيسية بجهة عُمان والخليج العربي في ذلك العهد وأن الذين توطنوا هناك صاروا همزة وصل للنشاط التجاري بين اليمن وبلاد الرافدين، ويمكن القول أن تلك المستوطنة الرئيسية هي (دلمون) وقد ذكرت نصوص الرافدين علاقات واسعة مع دلمون وفسرها البعض بالبحرين ولكن الدراسات للنصوص أقنعت فريقاً من العلماء الدارسين «أن أرض دلمون كانت تشمل البحرين ومنطقة الخليج والأحساء والجبل الأخضر في عُمان»(١) مما يعني أن مستوطنة دلمون توسعت لتشمل تلك المنطقة، والأهم من ذلك أن نصاً مسمارياً من بابل وسومر قد ذكر «أن الدلمونيين من سبأ ـ را»(١) والمعنى الصحيح لذلك أن الدلمونيين هم من أرض سِبأ ورعايا دولة سبأ، فكان نشاطهم همزة وصل لنشاط بلادهم اليمن ودولة سبأ منذ زمن الملك قطن فقد جاء في نص مسماري للملك أرونانز ملك لجش «أن سفينة من دلمون وصلت إلى ساحل لجش ـ بلاد بابل ـ»(٢) وذلك يضاهي السفينة التي وجهها الملك قطن إلى ساحورع ملك مصر. وكان الدلمونيون ينقلون المنتجات التجارية من اليمن إلى بلاد الرافدين ومنها البخور المقدس والنحاس ويقدمون العشور إلى معبد (أور) حيث «يذكر النص رقم ٥ ليوناردو رالي جلب عشرة مانا من النحاس وسبائك نحاس وإبريق كبير وخمس عشرة سيلا من دلمون. ويذكر النص رقم ٢٢ جلب ١٥ مانا من النحاس»(٢) وكان ذلك في فترة ما بعد عام ٢٤٠٠ ق.م. من العصر الأقدم ثم تواصلت النصوص عبر ما تلا ذلك من الأزمنة والعهود.

وقد ذكرت الدراسات وقوع موجة هجرة كنعانية سامية من الجزيرة العربية إلى الشام عام ٢٥٠٠ ق.م.(٣) وربما كان ذلك أيضاً في عهد وبتوجيه الملك قطن. وقد انتهى عهده بوفاته حوالي عام ٢٤٤٠ ق.م.

(١) منطقة الخليج في الألف الثاني قبل الميلاد ـ د. سليمان السعدون ـ ص٤٣.
(٢) العلاقات الحضارية ـ د. سليمان سعدون وعز الدين إسماعيل ـ طبعة الكويت ـ ١٩٨٣م.
(٣) أطلس التاريخ ـ شوقي شفيق ـ ثم تأسست مملكة إبلا الكنعانية في سوريا عام ٢٤٠٠ق.م.

سادساً

عهد الملك جَيْدان والملك قَطَن الثاني والملك الغوث

ثم تولى الحكم الملك جَيْدانُ بن قَطَن، وانتهج سياسة أبيه في مواصلة الملوك والعلاقات الخارجية، وقد ذكر ابن شرية الجرهمي ونشوان الحميري ذلك على شكل وصية من الملك قطن لابنه الملك جيدان قال فيها: «وواصل من يحاذيك من الملوك وانشر ذكرك في رعاياهم، واعمر بلادهم بمن يدخلها من أهل بلدك إليهم في طلب المنافع ـ أي التجارة ـ ليروا صورة عدلك بيّنة، فإن عدل عليهم سلطانهم كنت شريكاً له في شكره، وإن جَار عليهم كانوا إلى اجتذاب سلطانك أسرع، ولك من رعيتك أطوع» [ص٤٠].

وبصرف النظر عما إذا كان الملك قطن أوصى جيدان بذلك، فقد انتهج الملك جيدان ذلك النهج في مواصلة ملوك بلاد الرافدين والشام ومصر بالرسل والبعثات، وتوسيع النشاط التجاري وإبقاء مندوبين ووكلاء للنشاط التجاري هناك، قال نشوان: «وحسنت سيرة جيدان بن قطن، وحُمدت أفعاله واستُحسنت» [ص٤٠].

وجاء في الأنساب بالإكليل عن أهل السجل الأول أنه: «أولد قطن بن عريب: جيدان بن قطن، فأولد جيدان: الغوث، وعريباً، وكثير من النسابين يرون أنه كركر بن جيدان. فأولد عريب بن جيدان: بكيل الأكبر، ويكالم، وريناع، وبهيلا، وزُنجع». [ص١١/٢]. فكان أولئك من أقيال عهد الملك جيدان وتولوا مخاليف بمناطق من اليمن واستقرت سلالتهم فيها، فكان منهم قبائل ريناع وبهيل وزُنجع بمخاليف الكلاع (القريبة من إب) وبنو كركر بن جيدان وغيرهم. وكان من رجالات كهلان في عهده الحارث الأعلى بن الخيار بن (أي حفيد) مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. كان من كبار القادة الأقيال.

وقد يقال أن جيدان بن قطن حكم زمناً طويلاً، والظاهر وجود ملكين بنفس الاسم، وأن الملك جيدان بن قطن حكم بعده الملك قطن الثاني بن جيدان بن قطن وكان يقال له ذو التاج. قال علقمة:

(وأبينا عبد شمس وابنه   أيمن القيل وذو التاج قَطَن)

ولعله (ينطم ملك سبأ ـ را) المذكور في نص مسماري من نصوص لجش بلاد بابل بعد عهد (أكور ـ جال ـ بن أرونانز) في الفترة ما بين عام ٢٤٠٠ ـ

٢٣٥٠ قبل الميلاد[1] وفي عهده تأسست الدولة الآكادية السامية ببلاد الرافدين بزعامة الملك سرجون الأكادي (٢٣٧٠ ـ ٢٣٤٠ ق.م.) وهو في الجذور من جنوب الجزيرة العربية. ومات قطن الثاني بن جيدان حوالي عام ٢٣٥٠ ق.م. وتولى الحكم الملك الغوث، غوث المرملين، قال نشوان الحميري في قصيدته عن الملوك القدماء:

والغَوثُ غَوثُ المُرْمِلينَ ووائلٌ   أو عبدُ شمس ذو الندىٰ الفيّاحِ

وذكر نشوان وكذلك الهمداني في الإكليل أنه الملك الغوث بن جيدان بن قطن. بينما قال الوشّاء في كتاب الوصايا أنه الملك الغوث بن قطن. وهذا يشير إلى أنه الغوث بن قطن بن جيدان بن قطن، بل قد يكون الغوث بن جيدان بن قطن بن جيدان بن قطن وأن تكرار الأسماء أدّى إلى الالتباس والاختزال إلى (الغوث بن جيدان بن قطن). قال نشوان: «قال بعض العلماء: خلع جيدان الملك باليمن إلى ابنه قطن ـ في حياته ـ وذكروا: أن الغوث بن جيدان ولّي الملك في حياة أبيه وبعد وفاته دهراً طويلاً، وكان من أحسن الملوك سيرة، ثم أنه خطب إلى ذي القرنين ابنته فزوجه بها، فلم يلبث معها إلا يسيراً حتى توفي وهي حامل بوائل»[2]. ونرى أن مدة حكم الملك الغوث لا تزيد عن نحو ستين سنة فتكون وفاته حوالي عام ٢٢٩١ ق.م..

سابعاً

عهد ذي القرنين الأقدم ووائل بن الغوث معاصريّ النبي إبراهيم عليه السلام

قال نشوان الحميري: «وخلف الغوث في المُلك ذا القرنين، وتوافقت على مقامه حمير وكهلان»[2] وجاء في الإكليل أنه «ذو القرنين الهميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، بقول أهل السجل. ـ وأنه ـ ذو القرنين بن مالك بن الحارث الأعلى بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. بقول همدان والأزد وأنمار بن أراشة»[3]. ويجمع القولين أنه من سلالة زيد بن كهلان بن سبأ. وقد وقع التباس في ترتيب النسب والأجداد لأن زمنه

(١) الموجز في تاريخ الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٣٧٠.
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص٤٢ و ٤٥.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٣ جـ١.

قديم، وكان يُكنّى أبو مالك، وكان يتولى القيادة وأعمال الثغور والأطراف في أواخر عهد الملك الغوث وتزوج الغوث ابنته فلم يلبث معها إلا يسيراً حتى توفي وهي حامل بوائل، فاتفق أقيال بني حمير بن سبأ وبني كهلان بن سبأ على تمليكه. وقد اشتهر بلقب ذي القرنين لأنه اتخذ غطاء رأس يتدلى منهما قرنان، وليس هو ذو القرنين المذكور في القرآن وإنما هو ذو القرنين الأقدم الذي عاصره النبي إبراهيم عليه السلام. قال نشوان: «عاش النبي إبراهيم عليه السلام مدى عمر هؤلاء الثلاثة: ذو القرنين ووائل بن الغوث وعبد شمس بن وائل»(١) وقال الهمداني في الإكليل: «كان النبي إبراهيم في عهد عبد شمس بن وائل بن الغوث.. وكان بين مولد النبي إبراهيم وبناء سليمان مسجد بيت المقدس ألفاً ومائة سنة وإحدى وأربعين سنة وذلك في عصر بلقيس»(٢). ويتبين من ذلك النص أن النبي إبراهيم والملك عبد شمس بن وائل كانا قبل زمن النبي سليمان والملكة بلقيس بألفٍ ومائة وأربعين سنة فيكون ذلك في القرن الثاني والعشرين إلى أواسط القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد لأن سليمان كان في القرن العاشر قبل الميلاد، ويعطينا ذلك الأساس لصواب تقدير عهد أبي مالك ذي القرنين وعهد وائل بن الغوث بالفترة ما بين ٢٢٩١ ـ ٢١٢٠ ق.م.

وكان من أنباء ومعالم ذلك العهد:

ـ تذكر دراسات تاريخ بلاد بابل ملكاً اسمه (أشو ـ لكي) كانت عاصمة مملكته مدينة (أور) في جنوب بلاد الرافدين وأن ذلك الملك (أشو ـ لكي) نسب نفسه إلى الآلهة وادعى الألوهية(٣). وبالتالي ينطبق على ذلك الملك أنه النمرود الذي قال لإبراهيم: «..أنا أُحيي وأُميت..» إلى آخر الآيات المذكورة في القرآن، وقد هاجر إبراهيم من (أور) إلى أرض كنعان بالشام وقصته معروفة.

ـ وكان أبو مالك ذو القرنين هو ملك سبأ بسلطانها ونفوذها الذي كان يمتد إلى دلمون وتخوم بلاد بابل وقد ذكرت الروايات أنه غزا إلى حنو قراقر بالعراق وأذعنت له البلاد، وبالبحث في دراسات تاريخ الرافدين يتبين وجود نصوص وألواح لملك عظيم يذكره الدارسون باسم (نارم ـ سين) وأنه من الملوك الأكاديين وأنه ـ كما يذكر د. طه باقر ـ «تفرد في تمثيله بالمنحوتات بارتداء غطاء رأس يتدلى منه قرنان»(٣). ونرى أن ذلك الملك هو نفسه ذو القرنين الكهلاني

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص٤٢ و ٤٥.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٣ جـ١.
(٣) موجز تاريخ الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٣٧٠ و ٣٧٢.

وأن حكمه امتد من سبأ إلى أكّاد ببلاد الرافدين، وقد اعتبر الدارسون أن (سبا ـ را) المذكورة في نصوصه هي (أكاد)، والصواب أن أكاد هي أكاد وأن (سبا ـ را) إنما هي أرض سبأ، فهو ملك سبأ وامتد حكمه ونفوذه إلى أكاد وأور وغيرها، وقد حددت الدراسات عهده بالفترة من (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ ق.م.) وهو نفس عهد أبي مالك ذي القرنين سليل زيد بن كهلان بن سبأ.

ـ وقد ذكر المؤرخون العرب الأوائل لقاء النبي إبراهيم بذي القرنين، حيث قال نشوان الحميري: «وأهل السجل يقولون هو ذو القرنين ابن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ وأنه لقي إبراهيم الخليل عليه السلام يوم حاكم إليه أهل الأردن من العماليق، وذلك أن إبراهيم عليه السلام احتفر بئراً في صحراء الأردن للماء من أجل ماشيته، وادّعى قوم من العماليق أن عرصة البئر في حوزتهم، فحاكمهم إلى ذي القرنين عند منصرفه من الشام» [ص ٩٨]. وذكر الحافظ ابن كثير في نبأ قيام النبي إبراهيم وإسماعيل بإعادة بناء البيت العتيق ورفع القواعد لبناء الكعبة ما يلي نصه: «إن ذا القرنين وكان ملك الأرض إذ ذاك، مرّ بهما وهما يبنيان البيت، فقال: من أمركما بهذا، فقال إبراهيم: الله أمرنا به، فقال ذو القرنين: وما يدريني بصدق ما تقول؟ ـ فشهدت خمسة أكبش بذلك ـ فآمن وصدَّق»(١). والمقصود بأنه كان ملك الأرض أرض الجزيرة إلى أداني الشام وجنوب الرافدين.

قال نشوان الحميري: «ولما نشأ وائل بن الغوث وخال فيه جده ذو القرنين ما يصلح للمملكة، أشار للناس إليه ـ أي بتمليكه ـ» وبذلك انتهى عهد ذي القرنين الأقدم.

ـ ثم تولى الحكم الملك وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن ـ بن جيدان بن قطن ـ بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع. حيث كما ذكر نشوان عن مصادره الأقدم ـ «قام وائل بن الغوث بالمملكة، وسار في الناس سيرة حسنة حميدة، وساس أهل زمانه سياسة حسنة، واستكملت جزيرة العرب ـ من اليمن إلى الحجاز والعروض والبحرين وأداني الشام ـ طاعة له وإجابة. فلما رأت ذلك ملوك بابل والمشرق ومصر خافوا منه، فداروه عنهم بالرَّوح، وغمروه بالتحف والهدايا، وأدلوا له بالمصانعة وحاطوه فيمن مالأهم من رعيته». [ص٤٢]. ولم يزل الملك وائل ملكاً معظماً حتى وفاته. وانتهى ذلك العصر الأقدم الأول لدولة وحضارة سبأ بتمليك عبد شمس وائل حوالي عام ٢١٢٠ ق.م.

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦٣ جـ١.

معالم تاريخ وملوك العصر الأقدم الثاني لدولة وحضارة سبأ

من (٢١٢٠ ق.م. ـ ١٧٩٣ ق.م.)

المبحث الأول

عهد الزعيم سبأ الثاني عبد شمس وايل

باني سد مأرب العظيم الأقدم

(٢١٢٠ـ٢٠٣٥ ق.م.)

من عظماء الملوك الزعماء في التاريخ التليد هو الملك سبأ عبد شمس وايل، وهو كما في الإكليل: عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قَطَن بن عَرِيب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب. قال الهمداني: «وكان النبي إبراهيم في عهد عبد شمس هذا وهو عبد شمس بن وائل...»[1] وقال: «وكان بين إبراهيم وبناء سليمان مسجد بيت المقدس ألفاً ومائة سنة وإحدى وأربعين سنة، وذلك في عصر بلقيس»[1]. وقد حددت الدراسات زمن بناء سليمان لبيت المقدس المعروف بهيكل سليمان بعام ٩٥٩ قبل الميلاد[2]. وبإضافة (١١٤١) سنة إلى ذلك العام يتبين أن عهد الملك عبد شمس كان عام ٢١٠٠ قبل الميلاد. وهو تحديد بالغ الدقة فقد حكم الملك عبد شمس هذا نحو (٨٥) سنة فيكون ذلك من (٢١٢٠ ـ ٢٠٣٥ ق.م.) وهو سبأ الأوسط أو سبأ الثاني. وقد وقع التباس وخلط بينه وبين سبأ الأكبر وهو سبأ بن يشجب، ومما يدل على ذلك:

أ ـ قال نشوان الحميري في شمس العلوم: «نجرانُ اسم وادٍ باليمن سُمِّيَ بنجران بن زيدان بن سبأ الأوسط»[3] بينما قال ابن خلدون: «كان لسبأ بن

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٣ جـ١.
(٢) تاريخ الشعوب والحضارات ـ ترادكسيم ـ ص١١٩.
(٣) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص١٠٢.

يشجب من الولد كثير.. وعدّ ابن حزم في ولده زيدان وابنه نجران بن زيدان وبه سُمّيت البلد»(1) وكذلك جاء في الإكليل أنه «أولد زيدان بن سبأ نجران بن زيدان، وبه سُميت نجران»(2) بينما هو نجران بن زيدان بن سبأ الأوسط عبد شمس.

ب ـ كان من ملوك ذلك العصر كما جاء في الإكليل: «الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس بن يشجب» [ص٨٤ ١ / ١٠]. بينما هو في قصيدة نشوان: «الملطاط بن عمرو بن ذي أنس بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل..»(3) ويدل ذلك على الالتباس الذي وقع بين سبأ بن يشجب وبين عبد شمس بن وائل، فالملك الملطاط هو حفيد الصوار بن عبد شمس بن وائل، فيكون عبد شمس هو سبأ (سبأ الثاني/ سبأ الأوسط) وقد جاء اسم الملك الملطاط بلفظ (سين مبلاط) في نقش من بابل ـ سيأتي ذكره ـ وقد حكم الملك الملطاط (سين مبلاط) من عام ١٨٢٦ - ١٧٩٣ ق.م. وهو آخر ملوك ذلك العصر الذين كان أولهم سبأ عبد شمس وايل بن وائل وهو سبأ الثاني أو سبأ الأوسط تمييزاً له عن سبأ بن يشجب الذي هو سبأ الأكبر الأول.

وكان من معالم عهد سبأ عبد شمس وايل:

أولًا

وحدة اليمن وجزيرة العرب بزعامة سبأ عبد شمس وايل

في حوالي عام ٢١٢٠ ق.م. تسنم سدة العرش السبئي في مدينة سبأ التليدة (سبا/را) الملك الثاني عبد شمس وايل بن وائل بن الغوث الذي كما ذكر نشوان الحميري: «..استكملت جزيرة العرب، من اليمن إلى الحجاز والعروض والبحرين وأداني الشام، طاعة له وإجابة..» وقال: «لما توفي وائل بن الغوث، قام بمقامه ابنه عبد شمس فاجتهد وعاش في أهل عصره ميمون الطائر، نظر الأيام، لا تزداد به الرياسة إلا جدّة، ولا تطويه الليالي إلا عن ادّخار لعدّة، واستعداد لنجدة»(3).

وتشير القرائن إلى أن الفترة السابقة لعهده ربما شهدت انقساماً في اليمن

(1) تاريخ ابن خلدون ـ ص٤٧ جـ٢.
(2) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٠٠ جـ١.
(3) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص٤٨ و ٤٢ و ٤٣.

وقد أشار المسعودي إلى ذلك في مروج الذهب حيث قال: «وقع تنازع في المُلك بين ولد حمير وكهلان». ونرى أن تمليك عبد شمس وايل كان بعد انتهاء فترة التنازع والانقسام فاجتمع الأمر لعبد شمس وايل، وربما لذلك قيل له (سبأ) لأنه مثل سبأ الأكبر الأول ابن يشجب، وربما أيضاً ألغى سبأ عبد شمس نظام العصر السابق الذي يتمثل في وجود ملك على رأس الدولة من بني حمير بن سبأ بن يشجب ووجود قائد يتولى القيادة وأعمال الثغور والأطراف من بني كهلان بن سبأ بن يشجب، فجمع سبأ عبد شمس وايل سلطة الملك وسلطة القيادة، ولم يعد منذ عهده قائد واحد من بني كهلان وإنما قادة وعمال وأقيال من حمير وكهلان وغيرهما من قبائل اليمن، ثم انضوت تحت ملوكيته القبائل الساكنة في الحجاز إلى أداني الشام وفي عروض اليمامة ونجد إلى البحرين ـ منطقة الخليج العربي ـ وهي قبائل كثيرة منها جُرهم بن قحطان والعماليق وكنعان وقبائل إرم بن سام والدلمونيين بمنطقة الخليج إلى تخوم بلاد بابل، وبذلك استكملت جزيرة العرب طاعة له وإجابة. وكان «لا تزداد به الرئاسة إلّا جِدّة، ولا تطويه الليالي إلا عن ادخار لعدة، واستعداد لنجدة». وذلك لأنه كان يريد اجتياح بلاد بابل وآشور والمشرق والشام وغيرها من الآفاق.

ثانياً

موجة الغزو والهجرة الأمورية ودلائلها في عهد سبأ عبد شمس ونتائجها الحضارية

لقد شهد عهد سبأ عبد شمس وايل حدثاً تاريخياً كبيراً كان من نتيجته ما تذكره دراسات العصور القديمة والأمم السامية بأنه «هجرة الأموريين الساميين من الجزيرة العربية إلى سوريا وإلى بلاد الرافدين ـ ما بين عام ٢١٥٠ و ٢١٠٠ ق.م.» وأنه «نجح الأموريون في بسط سلطانهم على بلاد الرافدين وسوريا وامتدت ممالكهم إلى بلاد عيلام ـ في إيران ـ شرقاً والبحر المتوسط غرباً»(1).

ويقول د. محمد أبو المحسن عصفور: «ربما كان الأموريون يمثلون الغالبية بين القبائل التي اجتاحت سوريا وسيطرت على مصر..»(2) ويعطينا ذلك الأساس

(1) الأمم السامية ـ حامد عبد القادر ـ ص٨٧ ـ ومعالم تاريخ الشرق الأدنى ـ د. عصفور ـ ص٢٧٧.
(2) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ د. محمد أبو المحسن عصفور ـ ص١٧٧.

لإدراك أن ما يسمى (هجرة الأموريين) كان عملية غزو اجتياحية لبلاد الرافدين وعيلام وسوريا إلى البحر المتوسط ومصر، وأن الأموريين كانوا من القبائل التي شاركت في ذلك الغزو والاجتياح، وبالتالي يكون ذلك بقيادة وتوجيه الملك سبأ عبد شمس وايل لوقوع ذلك في زمنه.

وقد ذكر نشوان الحميري ذلك في أنباء سبأ بن يشجب وأنه كان يُسمى عبد شمس وقال: «وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ورثنا العزَّ من جَدٍّ فجَدٍّ   وراثةَ حِمْيرٍ من عبد شمسِ

وغزا بابل فافتتحها، وكان سبب ذلك أنه تغلبت ملوك الأعاجم على البلاد: بنو فارس على الفرس وبابل، وبنو عوجان بن يافث على أنطاكية والدروب، وتغلب بنو كنعان على بيت المقدس إلى المغرب. فجمع عبد شمس بني قحطان وبني هود ـ أو بني سام ـ ثم زحف إلى أرض بابل فافتتحها وقتل من وجد فيها ـ من الأعاجم الفرس ـ وسار طالباً خلفهم يقتل إلى أن بلغ أرض خراسان وناحية الديلم والخزر إلى أرمينيا يقاتل كل من لقيه، ويستخلف على كل أمة قوماً ممن معه حتى بلغ إلى أرض الجزيرة (الفراتية) فبَنَى قنطرة صنجة وهي من أوابد الدنيا، ثم لم يزل حتى عبر إلى الشام يأسر ويقاتل من لقي من بني عوجان بن يافث حتى أبعدهم إلى خلف عمورية، ثم رجع إلى الشام يسير ويقتل ـ من قاتله ـ حتى بلغ بهم إلى أقصى الغرب، ومنهم من هرب إلى براري مصر، وأذعنوا ـ جميعاً ـ له بالطاعة، وكان كلما قاتل أمة سبا ذراريهم، فسُمي بذلك سبأ، ولم يُعرف قبله السَّبيُ، وإنما أحلّ اللّه له ذلك لأنهم نكثوا وغدروا وبدلوا الشريعة، ثم بَنَىٰ مدينة بمصر. ثم رجع إلى اليمن»[(١)]. وقد سلف تبيين أن سبأ بن يشجب كان اسمه سبأ وهو اسم مأخوذ من (سبأتن) أي (الغزو) وكان هو أول من غزا، أما سبأ عبد شمس وايل فهو المقصود بأنه (أول من سَبَى السبي في الحروب) وهو سبأ عبد شمس المقصود بما جاء في الإكليل من أنه: «أول من سبى السبي ممن خَتَرَ به وحاربه وناصبه. وفي ذلك قال علقمة بن ذي جدن:

ومنّا الذي لم يُسْبَ قبل سِبائه   سِبَاءٌ ومن دان الملوك مرارا»[(٢)]

ويتبين من ذلك أن موجة الغزو والاجتياح والتوطين التي ذكر المؤرخون العرب الأوائل أن سبأ عبد شمس قام بها ينبغي البحث عن مدى وقوعها ودلالة

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص ١٦.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩٩ جـ١.

في زمنه (٢١٢٠ ـ ٢٠٥٠ق.م.) وبالبحث في الدراسات عن تاريخ وآثار بلاد بابل وسومر والشام في ذلك الزمن ومدى وجود دلائل على وقوع ذلك والنتائج التي ترتبت على ذلك يتبين أن بلاد بابل وسومر إلى سوريا كانت تحت حكم وسيطرة الكوتميين والعيلاميين ـ الذين هم من بلاد فارس وجهاتها ـ ثم (منذ عام ٢١١٠ ق.م.) وقعت موجة الغزو والاجتياح والهجرة الأمورية التي جاءت من الجزيرة العربية حيث تذكر الدراسات: «أن الأموريين نجحوا في بسط سلطانهم على بلاد الرافدين وسوريا، وامتدت ممالكهم إلى بلاد عيلام شرقاً والبحر المتوسط غرباً». وتذكر دراسات النصوص المسمارية في بابل وفي سومر ملكاً عظيماً في تلك الفترة وهو «شمس إيلونا» في نصوص بابل و «شمس ويكال» في نصوص سومر، فاسم ذلك الملك مكون من كلمتين إحداهما (شمس) والكلمة الأخرى المذكورة والمترجمة بلفظ (إيلونا) ولفظ (ويكال) قد تعني (عبد) فيكون المعنى (عبد شمس) بحيث يمكن القول أن (شمس ويكال) أو (شمس إيلونا) هو عبد شمس وايل وهو سبأ عبد شمس. وقد اعتبره الدارسون لنصوص سومر ملكاً سومرياً والدارسون لنصوص بابل ملكاً بابلياً أمورياً، ونرى أن سبب ذلك يعود إلى ملوكيته العليا التي شملت سومر وبابل وغيرها، وأنه في الأصل ملك سبأ وجزيرة العرب والأموريين وغيرهم من قبائل وجيش تلك الموجة التي اجتاحت الأعاجم الكوتميين وغيرهم ببلاد الرافدين إلى عيلام. ويتبين من البحث في الدراسات عن نصوص ومعالم تلك الفترة وأنباء ذلك الملك ما يلي:

١ ـ تذكر دراسات نصوص أور السومرية: «أن الملك شمس ويكال سَحَق الكوتميين، ثعابين الجبال القارصة وأعداء الآلهة، وغزا بلادهم، وهزم جموعهم، وقتل ملكهم تريقان»[(١)]. وهذا يطابق ما ذكره المؤرخون اليمنيون الأوائل من أن الملك عبد شمس اجتاح الفرس الأعاجم ببلاد بابل وسار خلفهم يقاتل حتى بلغ بلادهم في فارس ونواحي الديلم والخزر وهناك تقع (جبال زاغروس) التي هي بلاد الكوتميين، حيث هزم عبد شمس وايل جموعهم وقَتَل ملكهم وأخذ سباياهم وعاد إلى بلاد بابل. وقد ذكر نشوان الحميري أن الملك عبد شمس «بَنَىٰ قنطرة صنجة ـ أو قطورة صنجة ـ» وهي فيما يبدو (زقورة أور) التي يعود تأسيسها إلى عهد (شمس ويكال) وتم تجديدها وتفخيمها في عصور لاحقة وما تزال بعض آثارها باقية حتى اليوم.

(١) الموجز في تاريخ حضارة بلاد الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٣٨١ و ٣٩٥ و ٤١٣.

٢ ـ تذكر دراسات نصوص أور السومرية «أن شمس ويكال قام بسن لوحـ تشريعات في أور ـ يعود زمنها إلى حوالي عام ٢١٠٠ ق.م. ـ» وقـ تضمنت اللوحة أحكاماً خاصة بالنشاط التجاري وما يقدمه التجار الدلمونيو من عشور تجارتهم إلى معبد أور السومري. فتلك النصوص تتصل بالنشا التجاري بين اليمن وبلاد الرافدين لأن الدلمونيين في منطقة البحريـ والخليج كانوا همزة وصل لذلك النشاط وكانوا في الأصل من سبأ.

وكذلك تذكر دراسات النصوص المسمارية الأمورية في بابل «أن الملـ شمس إيلونا Samsu-iluna قام ببناء معبد للدلمونيين في بابل، وأن يقدم النجـ الدلمونيون عشر أرباحهم التجارية إلى معبد بابل. وقد تم العثور على لوحة مزبو بالكتابة المسمارية الأمورية في بابل باسم الملك العظيم شمس إيلونا»(١) ونرى أ هو نفسه (شمس ويكال) في النصوص السومرية وأنه هو عبد شمس وايل.

٣ ـ تذكر الدراسات «أن شمس ويكال قام بتمليك أورنام السومري على بلا سومر ومدينة أور»(٢) وأنه «مات الملك شمس ويكال وهو يشرف على بنا سد عظيم»(٢). وهذا يطابق ما ذكره المؤرخون اليمنيون الأوائل ونشوا الحميري من أنه «رجع سبأ عبد شمس إلى اليمن، فبنى سد مأرب العرم ـ ولم يكمل بناء السد حتى نزل به الموت» [ص١٤].

وكذلك فإن قيام (شمس ويكال) بتمليك (أورنام) على سومر ومدينة أور ـ يدل على أنه لم يكن ملكاً سومرياً ولا ملكاً مباشراً لبلاد سومر وإنما شملته ملوكيته العليا وكان ذلك بداية لما تسميه الدراسات «فترة سلالة ملوك أور الثالثـ من ٢١١١ ق.م. ـ ٢٠٠٣ ق.م.»(٢) وهي الفترة العليا التي بدأت بالملوكيـ العليا لشمس ويكال «عبد شمس وايل» أما ملك بلاد سومر ومدينة أور في عهد فكان الملك أورنام. أما بلاد بابل التي استقر فيها قوم من الأموريين والسبئيين في تلك الموجة، فقد تولاها أمراء ربما كانوا مرتبطين بالملك شمس وايل وخليفته مباشرة، حيث تذكر الدراسات أن حكم الأموريين لبلاد بابل بدأ بتمليك (أشبي ـ أيرا ـ بن أيسن) عام ٢٠١٧ ق.م. وقد جاء في لوحة مسمارية أمورية بابلية أنه «جاء من سبأ را وتولى حكم بلاد بابل ملكاً للأرساوايسين». وقد أشاع الدارسون أن (سبأ ـ را) هي مدينة (أكاد) ببابل، بينما أكاد كان اسمها أكاد،

(١) العلاقات الحضارية ـ د. سليمان السعدون ـ اللوحة رقم ١١٤/٤٦ ـ معهد ولكوم لتاريخ الطب بلندن.
(٢) الموجز في تاريخ حضارة بلاد الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٣٨١ و ٣٩٥ و ٤١٣.

ولذلك نرى أن «سبأ ـ را» إنما هي «أرض سبأ ومدينة سبأ التليدة في أرض مأرب باليمن» ومنها سار (أشبي ـ أيرا) إلى بلاد بابل وأصبح (ملك للأرساوايسين) وهو أول الملوك الأموريين لبلاد بابل.

٤ ـ إن دراسات تاريخ سوريا والشام في ذلك الزمن تؤكد بداية مرحلة جديدة في تاريخ تلك البلاد وهي مرحلة الأموريين الذين جاءوا من جزيرة العرب واستقروا في سوريا وأنه «كان الأموريون يمثلون الغالبية في القبائل التي اجتاحت سوريا..» وأنه «نجح الأموريون في بسط سلطانهم على بلاد الرافدين وسوريا، وامتدت ممالكهم إلى بلاد عيلام شرقاً والبحر المتوسط غرباً». وكان من أهم المدن الممالك الأمورية في سوريا مدينة (ماري) في موقع (تل الحريري) في سوريا، ومملكة حلب الأمورية.

وربما مضى الملك سبأ عبد شمس وايل من الشام إلى مصر ـ كما ذكر المؤرخون العرب الأوائل ـ وقام ببناء مدينة بمصر تذكرها الروايات باسم (عين شمس) ولكن مسيره كان لدعم حكم الأسرة الفرعونية الملكية في مواجهة إحدى الأسر التي يشير الباحث (آلن جاردنر) إلى أنها «قد تكون غير شرعية»(١) أما الأسرة الفرعونية الشرعية فهي «الأسرة الحادية عشرة التي حكمت من ٢١٣٤ ـ ١٩٩١ ق.م.) وكان أول حكامها (أنيوتف سهرتاوي) ثم (أنيوتف واح عنخ) ثم (أنيوتف ثالث) ثم الملك (منتوحتبه سمنخ ٢١٠٠ ـ ٢٠٥٠ ق.م.) ويمكن افتراض أن سبأ عبد شمس وايل قام بدعم حكم (منتوحتبه سمنخ) لكل بلاد مصر وأقام علاقة جيدة معه ـ لضمان النشاط التجاري ـ ثم عاد الملك سبأ عبد شمس وايل إلى اليمن، وكان من معالم ازدهار العلاقات التجارية ما ذكره د. أبو العيون بركات من أنه «أرسل الملك منتوحتبه مدير خانته فذهب عن طريق وادي الحمامات والبحر الأحمر إلى بلاد بونت ـ جنوب الجزيرة العربية ـ لإحضار البخور الطازج. وتواصلت البعثات من مصر في عهد الأسرة الثانية عشرة، وأصدر الملك سنوسرت الأول أمراً ببناء سفن لإرسالها إلى بلاد بونت»(٢).

٥ ـ أما النشاط التجاري اليمني إلى بلاد بابل فكان يتم عبر مستوطنة ومنطقة دلمون والتجار الدلمونيين الذين كانوا في الأصل من سبأ، ومن النصوص المعثور عليها في أور وبابل عن ذلك النشاط النصوص التالية:

(١) مصر الفراعنة ـ آلن جاردنر ـ ص٤٧٥ ـ ٤٨٠.
(٢) بونت بين المصادر اليمنية والمصرية القديمة ـ د. أبو العيون بركات ـ مجلة اليمن الجديد ـ العدد ٢/ السنة ١٥/ فبراير ١٩٨٦م.

ـ النص المسماري رقم ٢٧٩ من معبد أور، ويذكر أن التاجر (أويل ـ سن) قدم خواتم فضية وقطعة من العقيق ودرعاً إلى المعبد، كعشر من أرباح خواتم وعقيق ودروع نحاسية جلبها من دلمون «تي ـ إل ـ مان». والنص رقم ٢٩٢ ويذكر «تقديم العشر عن مواد وقطع وأواني مزينة بالعقيق والجواهر تم جلبها من تي ـ إل ـ مان» ونصوص «تذكر إرسال أصواف وأثواب لمقايضتها بمنتجات تي ـ إل ـ مان» وكذلك نص من عهد ايبي سين ibbi-sin (٢٠٢٧ ـ ٢٠٠٣ ق.م.) وهو آخر ملوك أور يذكر تقديم العشر إلى المعبد من أرباح أواني برونزية ونحاسية مزخرفة تم جلبها من تي ـ إل ـ مان وبخور للمعبد. والنص رقم ٥٤٦ ويذكر «تقديم عشر أرباح مواد أحضرها تجار دلمونيون وهي أواني وصناديق ودروع» والنص رقم ٦٧٨ ويذكر «جلب بخور للمعبد» والنص رقم ٧٩٥ ويذكر «جلب صناديق وملاعق وأواني مزخرفة من دلمون (تي ـ إل ـ مان) وتقديم عشر أرباح تلك المواد عيناً إلى معبد أور»[١].

وفي نصوص بلاد بابل الأمورية تذكر الدراسات أن أول الملوك الأموريين (أشبي ـ أيرا) جاء من (سبأ را) وأصبح (ملك لارسا وايسين) عام ٢٠١٧ ق.م. ويذكر «نص من عهد الملك جنجوم ملك لارسا ١٩٣٢ ـ ١٩٠٦ ق.م. إرسال بعثة تجارية إلى تي ـ ال ـ مان جلبت النحاس والعقيق ومصنوعات ثمينة» ثم يذكر «نص من عهد الملك ابي سار Abi-Sare ملك لارسا ١٩٠٥ ـ ١٨٩٥ ق.م. تقديم تجار دلمونيين عشر أرباح مواد مجلوبة وهي بخور ـ أو تمور ـ وكحل وخشب معشق بالنحاس»[١].

وتدل تلك النصوص المصرية والسومرية والأمورية على معالم الواقع بعد موجة الاجتياح والهجرة الأمورية في عهد سبأ عبد شمس وايل وازدهار وتأمين النشاط التجاري مع تلك البلدان.

ثالثاً

بناء سد مأرب العظيم الأقدم في عهد سبأ عبد شمس

لقد ذكر المؤرخون الأوائل ومنهم نشوان الحميري أن الملك سبأ بن يشجب وهو سبأ عبد شمس لما رجع من مسيره إلى بابل والشام ومصر شرع في بناء سد مأرب العظيم (العرم) ومات قبل إتمامه. والظاهر أن بناء أقدم منشآت للري في وادي ذنة حيث يقع سد مأرب كان في زمن سبأ بن يشجب وأن بناء سد مأرب العظيم كان في عهد سبأ عبد شمس وايل، وهو (شمس ويكال ملك

(١) العلاقات الحضارية ـ د. سليمان السعدون وعز الدين إسماعيل ـ ٨٣.

سبأ ـ را) في النص السومري سالف الذكر الذي جاء فيه أنه «مات وهو يشرف على بناء سد عظيم».

ولم يكن بناء السد من أجل حجز مياه الأمطار، فقد كان اليمن في ذلك الزمن تكثر فيه الأمطار صيفاً وشتاءً وكانت سيول بعض الوديان كالأنهار الجارية، وكان وادي ذنة ـ وهو وادي سبأ ـ تتدفق إليه سيول سبعين وادياً. قال المسعودي في مروج الذهب: «وذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ، كان يركبها السيل من تلك المياه. وكان ملك القوم في ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيهم ويؤثرهم ويُحسن إليهم، فجمعهم للالتجاء إلى رأيهم، والأخذ من محض عقولهم، فشاورهم في دفع ذلك السيل وحصره، وذلك أنه كان ينحدر من أعالي الجبل هابطاً على رأسه حتى يهلك الزرع ويسوق في حملته البناء. فأجمع القوم رأيهم على عمل مصارف له إلى براري تقذف به إلى البحر، وأخبروا الملك أن الماء إذا حُفرت المصارف الهابطة طلبها وانحدر فيها ولم يتراكم حتى يعلو الجبال لأن في طباع الماء طلب الخفض. فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف إلى تلك الجهة ـ جهة البراري ـ واتخذوا السد في الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل إلى الجبل. وجعلوا فيه المخراق، وهو مخراق من الحجر الصَّلد والحديد، طول المخراق فرسخ، وكان وراء السد والجبال نهر عظيم، ثم اجتذبوا من تلك المياه نهراً مرسلاً مقداراً معلوماً ينتهي في جريانه إلى المخراق، ثم ينبعث منه إلى الأنقاب وهي ثلاثون مخراقاً صغاراً مستديرة في استدارة الذراع طولاً وعرضاً مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقدير، وكانت المياه تخرج من تلك المخاريق في مجاريها حتى تأتي الجنان فترويها سَقْياً وتعمّ شرب القوم»[١].

فكان سد مأرب العظيم الأقدم الذي بناه الملك سبأ عبد شمس وايل بن وائل يتكون من:

أ ـ المصارف والقنوات التي تسير فيها المياه إلى جهة البراري في قلب الربع الخالي. وقد جاء في نقش الملك (شرحبيل يعفر ملك سبأ) أنه (قام بتجديد كل المصارف والقنوات من قرب رحبم إلى وادي وصحو قدام العبر»[٢] ورحبم هو اسم الواحة الجنوبية في وادي سد مأرب وكانت المصارف تمتد إلى العبر في أعالي حضرموت في قلب براري الربع الخالي حالياً الذي كان جزءاً من أرض سبأ.

ب ـ العرم: وهو بنيان السد في مضيق جبلي بلق، من الجبل إلى الجبل

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص١٨١ ـ ١٨٢ جـ٢.

(٢) نقش الملك شرحبيل يعفر في سد مأرب ـ رقم C.I.H. 540.

وبارتفاع الجبلين. وكان العرم ـ فيما ذكر ابن خلدون ـ «مبنياً بالصخر والقار، وكان فرسخاً». وفيه قال الذبياني:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

وتم تزيين العرم بالرخام والأعمدة والرسوم ذات الفن في عهد حمير بن سبأ وملوك حمير التبابعة، وقد جاء في نقش (شرحبيل يعفر ملك سبأ) عن تجديد سد مأرب في عهده أنه «جدد تماري وأعواد العرم وذي الفن» وأنهم «سصقلوا أعواد العرم» وأنهم «كمسروا العرم وشامو عرب راسه ستين أمم»(١) والأمم وحدة قياس مثل الذراع والقامة.

جـ ـ المُفلل ذي قدام العرم: وهو المذكور في مروج الذهب بأنهم «جعلوا في السد مخراقاً من الحجر الصلد والحديد، طوله فرسخ، يجتذبون به من المياه التي وراء السد نهراً مرسلاً مقداراً معلوماً ينتهي في جريانه إلى المخراق ثم ينبعث الماء منه إلى ثلاثين مخراقاً صغيراً». وقد جاء في نقش (شرحبيل يعفر ملك سبأ) عن تجديد سد مأرب العظيم أنهم «جددوا وعذبوا المفلل ذي قدام العرم من مشاقره إلى رأس كل شقر»(١).

د ـ المفللات الثلاثين: وهي المذكورة في المروج بأنها «ثلاثون مخراقاً مستديرة في استدارة الذراع طولاً وعرضاً، مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقدير» وهي منشآت لاستقبال المياه من السد وتوزيعها إلى مجاري وقنوات أرض الجنتين، وقد جاء ذكرها في نقش شرحبيل يعفر باسم (الفلل/ المفللات) وأنه قام بتغيير موقع اثنتين من المفللات إحداهما (مفلل تزن). وقد كشفت تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية عام ١٩٨٤م اثنتين من المنشآت تم تغيير مكانهما وتحسينهما في القرن السابع ق.م. (وهو عهد شرحبيل يعفر) وجاء في تقرير البعثة أن المنشأة (ب) هي «منشأة مائية ضخمة لاستقبال المياه وتوزيعها.. وأن الأساس الذي بُني عليه أحد أعمدة الهويس الدائري يبلغ عرضه ثمانية أمتار ونصف وطوله أربعين متراً.. وتوجد ثلاث شرف متساوية العرض للهويس الدائري..»(٢) فكلمة (الهويس الدائري) ترادف (مدورة استدارة الذراع طولاً وعرضاً» في نص مروج الذهب، فتلك المنشأة هي إحدى المخاريق المفللات الثلاثين لاستقبال وتوزيع المياه في سد مأرب العظيم الأقدم الذي وصفته البعثة الألمانية بأنه «الصرح العملاق الذي استمر في أداء وظيفته آلاف السنين».

---

(١) نقش الملك شرحبيل يعفر في سد مأرب ـ رقم C.I.H. 540.

(٢) تقرير معهد الآثار الألماني ـ صيف ٨٣/ ١٩٨٤م.

وقد حددت البعثة الألمانية زمن إحدى المنشآت في السد بأنها تعود إلى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد(١) فيكون ذلك في عهد الملك سبأ عبد شمس وايل الذي مات وهو يشرف على بناء سد مأرب العظيم حوالي عام ٢٠٣٥ ق.م. فأتمّ بناء السد ابنه حمير الصوار بن سبأ عبد شمس. وقد أورد الهمداني في الإكليل قصيدة في رثاء سبأ عبد شمس منها الأبيات التالية:

«فيا عبد شمس بلغت المدى وشيّدت مجداً فلم يُمتثل

وأحرمت بالبيت توفي النذور كما كان هُود لديها فعل

وطفت وأهللت حتى إذا أناف الهلال بها واستهل

رحلتَ وزادك خير التقى وقوضت عن حرميها بحل»(٢)

ويستفاد من ذلك أن الملك سبأ عبد شمس كان مؤمناً بدين التوحيد الحنيف وهو دين النبي هود عليه السلام الذي جده النبي إبراهيم وقد عاش إبراهيم إلى عهد الملك سبأ عبد شمس الذي حج وطاف بالبيت وفي أيامه حج اليمانيون إلى بيت الله من كل فجّ عميق.

المبحث الثاني

عهد الملك حمير الصوار بن سبأ عبد شمس والملوك من آل الصوار

(من ٢٠٣٥ ق.م. ـ ١٨٩٥ ق.م.)

أولاً

الملك حِمْيَر الصَّوَّار بن سبأ عبد شمس

قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك اليمن القدماء:

وزُهَيرُ الصَّوَّار أو ذو يَقْدُمِ مُنِيا بدهرٍ سالبٍ طَرّاح

وقال: «لما بلغ عبد شمس من عمره منتهاه، جمع بنيه وهم: الصوّار، وجُشَم، وزُرعة ذو مناخ، وقَطَن، وينكف، ولهيعة، ومُوكِف، ومُرّة،

---

(١) مكتشفات أثرية جديدة ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ مجلة الوطن ـ العدد ٥/ السنة ١١/ يونيو ١٩٨٨م.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٧٩ جـ٨.

والحُصيب، والصهيب، والقفاعة، وأوصاهم بطاعة أخيهم الصوّار.. ولما توفي عبد شمس قام بمقامه الصوار بن عبد شمس، واستعمل وصية أبيه عبد شمس في المملكة، وأعلم الحسّاب أن الملك كائن في ولده، وغير خارج منهم..»(١).

وقال الهمداني في الإكليل: «أولد عبد شمس بن وائل: الصوار ـ زنة القتال ـ وفيه الملك، وجُشم ـ وفيه العدد ـ وزُرعة ذا مناخ، وقَطَناً، وينكف الأكبر، ولهيعة، ومَوْكفاً، ومرّة، والحُصَيْب، والقَفاعة، والصُهَيب، أحد عشر بطناً بني عبد شمس»(٢).

وقد كانت القاعدة في العصر السابق والتي سنّها الملك سبأ الأكبر بن يشجب أن يكون الملوك من بني حمير بن سبأ بن يشجب، فكان أغلب ملوك ذلك العصر من بني الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب. ثم في هذا العصر سَنّ الملك سبأ عبد شمس أن يكون الملك من بين أولاده جميعاً هو الصوار وأن يكون الملوك من بني الصوّار، وكذلك «أعلن الصوّار أن الملك في ولده، وغير خارج منهم». ومؤدى ذلك أن الصوار أصبح (حمير) وهو حمير الثاني ابن سبأ الثاني عبد شمس وتقررت قاعدة جديدة في أن يكون الملوك من بني الصوار ـ لأن بني حمير الأكبر ابن سبأ بن يشجب كانوا قد كثروا وانحدرت منهم بطون وقبائل ـ فأصبح الصوار بمثابة حمير من حيث صيرورة الملوك من سلالته.

قال نشوان: «وأخذ الصوار في جمع المال وادخار السلاح، ولم ينسَ حظّه من العدل وحسن السيرة، وكان نائبه على الثغور والأطراف حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن حارثة البهلول» [ص٤٧] وكان حارثة الغطريف يتولى ما يلي اليمن من الثغور والأطراف والمستوطنات التجارية في الحجاز واليمامة والبحرين (دلمون) إلى تخوم بلاد بابل. وفي عهد حمير الصوار بن سبأ عبد شمس «سار الأمير أشبي أيرا من أرض سبأ (سبأ ـ را) إلى بلاد بابل عام ٢٠١٧ ق.م. وأصبح ملك لارساوايسين. وهو أول الملوك الأموريين ببلاد بابل». وفي عهده أيضاً كان يحكم بلاد سومر ومدينة أور الملك ايبي سين (٢٠٢٧ ـ ٢٠٠٣ ق.م.) الذي ذكر نقش مسماري من عهده جلب أواني معدنية ونحاسية مزخرفة وبخور من دلمون (تي ـ ال ـ مان) إلى أور.

والملك الصوار هو حمير الذي أتمّ بناء سد مأرب العظيم وزيّن البنيان

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص٤٥.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٤ جـ١.

العرم بالأعمدة الرخامية والرسوم ذات الفن. قال الأعشى:

ففي ذاك للمؤتسي أسوةٌ ... ومأربُ قفّى عليه العرم
رخام بناه لهم حِمْيَرُ ... إذا جاء من رامه لم يرم(١)

وكان إخوة الصوار من الأقيال الأمراء بمناطق من اليمن، فسميت تلك المناطق بأسمائهم وعاش فيها سلالتهم وانحدرت منهم عشائرها وقبائلها، ومنهم موكف بن عبد شمس في سافلة مخلاف الكلاع (بمحافظة إب حالياً) وقَفاعة بن عبد شمس في مخلاف حاتم المعروف الآن بالتعزية وهي المناطق المحيطة بتعز والتابعة لها. والصُهيب بن عبد شمس في الجنوب الشرقي من قعطبة (بمحافظة الضالع حالياً). قال الهمداني: «وسكن الحُصيب بن عبد شمس أسفل وادي زبيد فسُمّيت زبيد بهم الحُصيب»(٢) والحصيب الاسم القديم لبلاد زبيد بتهامة.

وقد دام حكم الملك حمير ـ الصوار ـ بن عبد شمس مدة طويلة، يُقال «بلغ في العمر والملك بعد أبيه مائة سنة وخمساً وأربعين سنة». وجاء في المروج أنه «مَلَكَ حمير بن سبأ خمسين سنة». وبالتالي يمكن تقدير مدة حكمه بالفترة من حوالي ٢٠٣٥ ق.م. ـ ١٩٨٥ ق.م. وأنه مات حوالي عام ١٩٨٥ ق.م.

ثانياً

الملك ذو يقدم بن الصوار معاصر النبي يوسف

قال الهمداني: «أولد الصوار بن عبد شمس: ذا يقدم ـ مثل يعمر ـ وإل يشرح، والسميذع، والغوث، وأشغم برك. خمسة نفر بني الصوار بن عبد شمس»(٢).

قال نشوان: «لما توفي الصوار، قام بمقامه ذو يقدم ابن الصوار، فحذاه باجتهاده، واستمر على سيرة من مضى ـ في العدل وحسن السيرة ـ، وفي أيام ذي يقدم وقعت سُنوُ يوسف عليه السلام، فقحطت البلاد، واتصل عليها الجدب، وغارت العيون»(٣) ـ أي بلاد اليمن وجزيرة العرب كما حدث في الشام ومصر ـ.

وقد سلف ذكر أن النبي إبراهيم كان في عهد الملك سبأ عبد شمس (٢١٢٠ ـ ٢٠٣٥ ق.م.) وأن ملك مصر في عهده كان منتحوتبه سمنخ (٢١٠٠

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٥١ جـ٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٦ جـ٢.
(٣)

ـ ٢٠٥٠ ق.م.) وتذكر دراسات ملوك مصر الفراعنة القدماء بعده:

ـ الملك سعنخ كارع منتحوتبه الثاني وقد حكم ١٢ سنة (إلى حوالي ٢٠٣٨ ق.م.).

ـ ثم الملك نب تاوي رع منتحوتبه الثالث (إلى عام ١٩٩١ ق.م.).

ـ ثم الملك سحتب أيبرع أمنمس الأول (١٩٩١ ـ ١٩٦٢ ق.م.) وهو أول ملوك الأسرة الثانية عشرة. ثم الملك حبر كارع سنوسرة (١٩٧١ ـ ١٩٢٨ ق.م.)[١] ويشير الزمن إلى أن الملك ذا يقدم بن حمير الصوار بن سبأ عبد شمس عاصر الملك سحتب ايرع (١٩٩١ ـ ١٩٦٢ ق.م.) ثم الملك حبر كارع سنوسره، وأن النبي يوسف بن يعقوب بن إبراهيم كان وزيراً بمصر في ذلك الزمن حيث وقع القحط في الجزيرة العربية كما وقع في الشام ومصر، وذلك في عهد الملك ذي يقدم. قال نشوان: «ويقول أهل اليمن: إن النواضح أُتخذت من ذلك العصر أو بَعده، وذلك أن قوماً من أهل اليمن لما قدموا على يوسف عليه السلام يمتارون من مصر، رثى لهم من بُعد السفر، فقال لهم: أين أنتم من النواضح، ووصفها لهم فاحتفروا آبار النواضح. فكل بئر بقيت باليمن من ذلك العهد فهي عَتَد، لا تنضب ولا تَحُول، وتُسمى العادية واليوسفية»[٢] وهي آبار أمر بحفرها الملك ذو يقدم ومنها ـ كما في الإكليل ـ بئر تلفم في ريدة. وقد حكم ذو يقدم إلى حوالي عام ١٩٤٥ ق.م.

ثالثاً

أربعة ملوك من آل الصَّوَّار

قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك اليمن القدماء:

أم أيـن ذو أَنَـسٍ وعـمـرو وابـنُـه ... الـمِـلـطـاطُ لُطَّ بـمُـسْـحِـتٍ جَـلَّاح

ثم قال: «لما توفي ذو يقدم، قام بعده ابنه ذو أنَس، واستن على سنن آبائه، وجرى إلى غايتهم»[٢]. وقال: «ذو أنَس هو ذو أبين» بينما في الإكليل «ذو أبين بن ذي يقدم» ـ كان ملكاً، وباسمه سُميت أبين ـ ولعله قام ببناء مدينة في أبين فقيل له (ذو أبين) وقد حكم مع وبعد ذي أنَسْ.

(١) مصر الفراعنة ـ آلن جاردنر ـ ص٤٨٠ ـ ٤٨٢.

(٢)

وكان من ملوك تلك الفترة أيضاً ـ كما ذكر ابن خلدون ـ «ذو هرم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل»[١] وباسم (ذي هرم) سُمِّيت مدينة هرم السبئية الحميرية التليدة بالجوف. قال نشوان: «هرم: بناء عجيب في الجوف بناه أحد ملوك حمير». وقد جاء ذكر مدينة هرم بالجوف في نقوش عصر ملوك سبأ التبابعة ويدل ذلك على أنها من أقدم المدن بمنطقة الجوف وما يزال موقعها معروفاً حتى اليوم.

ثم تولى الحكم (عمرو بن ذي أبين بن ذي يقدم بن الصوّار). قال الهمداني: «أولد ذو أبين بن ذي يقدم: عَمْراً. كذا أطلقه لنا أبو نصر: عمرو بن ذي أبين، وفي مشجرته: عمرو ذو أبين، فأقرّه وقال: قد قيل ذا وذا، وهو في السيرة عمرو بن ذي أبين، وهو أوكد، لأن خبر عمرو فيها غير خبر ذي أبين، والراتع، وغَنْما، ثلاثة نفر بني ذي أبين». [ص٥٢/٢ ـ الإكليل].

قال نشوان: «لم توفي ذو أبين قام من بعده ابنه عمرو مضطبعاً بعبء الرئاسة، مستحقاً لما قُلد، حافظاً لما اؤتمن عليه» [ص٥١].

وقد حكم أولئك الملوك الأربعة ـ ذو أنَس، وذو أبين، وذو هرم، وعمرو بن ذي أبين ـ نحو ستين سنة، فيكون ذلك ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٨٩٥ ق.م. ثم ذكر نشوان ـ بعد عمرو بن ذي أبين ـ الملك الملطاط بن عمرو بن ذي أبين بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس، بينما هو في الجزء الثامن من الإكليل وفي تاريخ ابن خلدون: (الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ) أي الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير الصوار بن سبأ عبد شمس، وهو الأصوب.

المبحث الثالث

ملوك المرحلة الثانية من العصر الأقدم الثاني لدولة سبأ ومعالم عهودهم

(من ١٨٩٤ ق.م. ـ ١٧٩٣ ق.م.)

وهم أربعة ملوك: وائل بن حمير الصوار، والسكسك الضحاك بن وائل الذي جاء في الإكليل أنه «غزا السكسك بن وائل بن حمير بن ماش ـ ببلاد بابل ـ

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٤٨ جـ٢.

حتى بلغ جِنو قُراقِر من أرض العراق»[١] والملك آبل المعافر، والملك الملطاط بن آبل بن السكسك بن وائل. وكان حكمهم يمتد من اليمن إلى عمان ومنطقة الخليج ـ دلمون ـ وبابل حيث يتبين من البحث في دراسات تاريخ بابل في تلك الحقبة وجود نصوص بأسماء أولئك الملوك الأربعة، وقد اعتبرتهم الدراسات من الملوك الأموريين لبابل ـ والأموريون في الأصل من جنوب الجزيرة العربية ـ وقد ذكرتهم النصوص الأمورية البابلية بلقب (ملوك سبأ ـ را ـ وبابل) وبصرف النظر عن تأويل الدارسين لبلاد (سبأ ـ را) بأنها في بابل، فإن اللقب إنما يعني (ملوك أرض سبأ وبابل) وقد حكموا من ١٨٩٤ ـ ١٧٩٣ ق.م. وهم:

أولًا

وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس ملك سبأ وبابل

هو ـ كما في تاريخ ابن خلدون والإكليل ـ «وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس»، وبما أن الملك الأسبق هو «ذو يقدم بن حمير الصوار بن سبأ عبد شمس» يمكن القول أنه لما انتهى حكم أسرة ذي يقدم تولى الحكم الملك وائل ـ ابن أو حفيد ـ حمير الصوار بن سبأ عبد شمس، وبذلك يزول التعارض.

قال ابن خلدون: «مَلَكَ بعد حمير ابنه وائل، وتغلب أخوه مالك بن حمير على عُمان، فكانت بينهما حروب»[٢] وقال: «أول من نزل بلاد الشّحْر من القحطانية مالك بن حمير، خرج على أخيه وائل وهو ملك بقصر غُمدان فحاربه طويّلًا»[٢].

ويتبين من ذلك:

أ ـ أن مدينة أزال (صنعاء) كانت من المدن الرئيسية العواصم منذ عهد الملك وائل بن حمير الصوار بن سبأ عبد شمس، لأن قصر غُمدان كناية عن مدينة أزال (صنعاء)، وسيأتي أن بناء غمدان كان في عهد ابنه الملك الضحاك السكسك بن وائل، فكانت صنعاء المدينة الرئيسية الثانية بعد مدينة سبأ التليدة العاصمة.

ب ـ وكان مالك بن حمير الصوار ملكاً نائباً على إقليم الشحر وعُمان والخليج ـ دلمون ـ فخرج على أخيه الملك وائل، فسار إليه الملك وائل من

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨١ جـ٨.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٣٤ وص٦٦٨.

صنعاء إلى عُمان وحاربه، ولم يقضِ عليه، وإنما استمر مالك بن حمير الصوار ملكاً في بعض بلاد الشحر وعُمان، بينما مضى الملك وائل إلى بلاد بابل.

جـ ـ وقد ذكرت دراسات تاريخ بابل وجود نصوص مسمارية أمورية باسم «ولئيل ملك سبأ را وبابل» وأنه حكم ٣٦ سنة من عام ١٨٩٤ ـ ١٨٥٨ ق.م. وذكرت في ذات العهد الملك الأموري «سومو ـ أبوم ـ ملك بابل» من ١٨٩٤ ـ ١٨٨١ ق.م[١]. وهذا يعني أن «ولئيل ملك سبأ را وبابل» إنما هو «ملك سبأ وبابل» وأنه سار إلى بابل لمناصرة الأموريين ضد بعض خصومهم، فشملت ملوكيته العليا بلاد بابل، مع استمرار (سومو ـ أبوم) ملكاً لبابل، وعاد الملك ولئيل (وائل) إلى أرض سبأ وانتهى عهده بوفاته عام ١٨٥٨ ق.م.

ثانياً

الملك الضحاك السكسك بن وائل باني قصر غُمدان الأقدم

قال ابن خلدون: «ثم مَلَكَ من بعد وائل السكسك بن وائل، وكان مالك بن حمير قد هَلَكَ وغَلَبَ على عُمان قضاعة بن مالك، فحاربه السكسك وأخرجه عنها»[٢]. وقال: «مات مالك بن حمير ـ بعمان ـ فولّي بعده ابنه قُضاعة بن مالك، فلم يزل السكسك بن وائل يحاربه إلى أن قهره، واقتصر قضاعة على بلاد مهرة»[٢].

وقال الهمداني في الإكليل: «أما السكسك بن وائل بن حمير فغزا النمرود ابن ماش وبلغ جِنو قُراقِر من أرض العراق»[٣].

وقد ذكرت دراسات تاريخ بابل الملك «سابئوم بن ولئيل ملك سبأ ر وبابل» وأن عهده كان من ١٨٥٨ ق.م. ـ ١٨٤٤ ق.م.[١] ونرى أن اسمه كا (سابئوم) وأن لقبه كان (السكسك والضحاك) ويؤكد وجود اسمه في نصوص بابل ما ذكره الهمداني عن غزو السكسك بن وائل إلى العراق حيث حارب ملك يقال له ابن ماش في لارسا ببلاد بابل وشملت ملوكيته العليا بلاد بابل.

وكان السكساك سابئوم بن وائل يُقال له الضحاك وهو الباني الأقدم لقص

---

(١) الموجز في تاريخ حضارة الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٣٩٥ ـ ٤١٣.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٣٥ وص٦٦٨.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨١ جـ٨.

غمدان بصنعاء. قال المسعودي في مروج الذهب: «بيت غُمدان بصنعاء بناه الملك الضحاك على اسم كوكب الزهرة»(١) وكذلك قال ابن خلدون: «صنعاء أول مدينة أُختطت باليمن، وكانت تُسمى أزال من الأولية بلغتهم، وقصر غُمدان بناه الضحاك على اسم الزهرة، وحجت إليه الأمم»(٢).

ويتبين من ذلك:

ـ أن الموقع الذي تم بناء غمدان فيه كان موجوداً قبل ذلك بزمن طويل، فقد جاء في الإكليل: «إن الذي أسّ غمدان وابتدأ بناءه سام بن نوح» وأنه «وضع مقرانه وهو الخيط الذي يُقدر به البناء في سفح جبل نقم فطار بها طائر فطرحها على حرجة غمدان، فأسّ غمدان هناك»(٣) وذلك يشير إلى أن موقع غمدان كان فيه أساس بيت يعود إلى زمن سام بن نوح، أما التاريخ الفعلي لغُمدان فإن الباني الأقدم لغُمدان هو الملك الضحاك السكسك سابيئوم بن وائل بن حمير الصوار بن سبأ عبد شمس وذلك ما بين عام ١٨٥٨ ـ ١٨٤٤ ق.م. بأواسط القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

ـ وكان بناء غُمدان على اسم كوكب الزهرة (عثتار = عشتار). بما يعني أن الملك السكسك بن وائل بناه معبداً للآلهة عثتار «الزهرة». وقال الهمداني في الإكليل: «ذكر حُسَّابُ اليمن كابراً عن كابر أن الطالع ساعة بناء غُمدان كان (برج) الثور وفيه الزهرة.. ويوجد طبائع هذا البرج في ثبات الأشياء بها وقلة تغيرها ودوام هذا الأساس، لذلك أقام غُمدان في تزايد مع الملوك قدر أربعة آلاف سنة قمرية»(٣).

ـ وكان غُمدان معبداً كبيراً ضخماً، ويؤكد ذلك قول ابن خلدون: «وحَجّت إليه الأمم»، وكان طابقاً واحداً (٤٠ × ٤٠ ذراع) ثم قام ببناء قصر غُمدان ـ فوق الطابق الأول ـ إل شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان، وقد جاء أول ذكر لقصر غُمدان في نقوش عهده(٤) وبلغ ارتفاع غمدان عشرين طابقاً، كما سيأتي في أنباء عهد إل شرح يحضب في عصور ملوك سبأ التبابعة، أما الباني الأول لغمدان فهو الملك الضحاك السكسك سابيئوم بن وائل، وقد ذكره الشاعر الحكمي حيث قال:

ونحن أرباب ناعطٍ ولنا ... صنعاء والمسكُ في محاربها

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٤ جـ٢.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٦٥٣.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٥ جـ٨.
(٤) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٥٧٧.

وكان فيها الضحاك (تعبده) ... الإنس والجن في مساربها

ثم سار إلى بابل ومكث فترة هناك بينما تولى الحكم نيابة عنه باليمن ابنه آبل يعفر، قال الهمداني في الإكليل: «ولما بلغ السكسك بن وائل جِنو قُراقِر من أرض العراق اعتلّ ومات، فحملوه ورجعوا قافلين إلى اليمن»(١) وكانت وفاته عام ١٨٤٤ ق.م..

ثالثاً

عهد آبل يَعْفُر بن السكسك

ملك سبأ وبابل وابنه الملك نعمان المعافر مؤسس المعافر

ثم تولى الحكم الملك آبل يعفر بن سابيئوم السكسك بن وائل بن حمير الصوار بن سبأ عبد شمس وكان حكمه ١٨ سنة، وكان من أنباء عهده:

ـ جاء في تاريخ ابن خلدون أنه: «مَلَكَ بعده ـ أي بعد السكسك ـ ابنه يعفر بن السكسك، وخرجت عليه الخوارج، وحاربه مالك بن الحاف بن قُضاعة ـ في عُمان ـ وطالت الفتنة بينهما»(٢). ويتبين من ذلك أن حكم يعفر بن السكسك كان يشمل كل أرجاء اليمن إلى عمان وكذلك منطقة البحرين (دلمون) إلى تخوم بلاد بابل، وكان نائبه بمنطقة البحرين (دلمون)الأمير ماران بن عوف بن حمير الصوار بن سبأ.

ـ ثم استخلف آبل يعفر ابنه المعافر بن يعفر باليمن وسار إلى بلاد بابل، وقد ذكرته دراسات تاريخ ونقوش بابل باعتباره من الملوك الأموريين وهو «آبل سين بن سابيئوم بن ولئيل ملك سبأ را وبابل» ويذكر نص مسماري أموري ببابل أنه «قام بتسوير مدينة سبأ ـ را ـ وبناء قلاع لحماية الطريق من سبأ ـ را ـ إلى بابل» وأنه حكم ١٨ سنة (من ١٨٤٣ ـ ١٨٢٦ ق.م.) وفي ذات الوقت تذكر دراسات تاريخ بابل أن الملك الأموري ببلاد بابل في ذلك العهد هو (وراد سين بن كادر ملك لارسا ١٨٤٣ ـ ١٨٢٣ ق.م.)(٣) وهذا يؤكد أن الملك (آبل بن سابيئوم السكسك بن وائل ملك سبأ را وبابل) هو «ملك سبأ وبابل» وأن ملوكيته لبلاد بابل كانت ملوكية عليا.

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨١ جـ٨.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٣٦.
(٣) الموجز في تاريخ الرافدين ـ طه باقر ـ ص٣٩٥.

- ولما سار إلى بابل كان ابنه المعافر ملكاً نائباً له باليمن. قال ابن خلدون: «وخَلَف - يعفر بن السكسك - ابنه النعمان حملا ويعرف بالمعافر. واستبد عليه من بني حمير ماران بن عوف وكان صاحب البحرين فنزل نجران، وانشغل المعافر بحرب مالك بن الحاف بن قضاعة - في عُمان - ثم حبس ماران بن عوف، واستتب أمره، وطال عمره»(١) وباسم المعافر بن يعفر سُميت بلاد المعافر (وهي بمحافظة تعز حالياً) قال الشاعر:

حَلّوا المعَافِرَ دار المُلك (واعتزموا) بِيضٌ مَقَاوِلةٌ من نسلِ أحرار

قال الهمداني: «أما الملك المعافر بن يَعفُر بن السكسك بن وائل - واسم المعافر النعمان - فلما دنا منه الموت قال لبنيه وقومه: «لا تضجعوني فيضجعُ ملككم ولكن ادفنوني قائماً فلا يزال مُلكُكم قائماً». وإنه «في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان (٩٦ - ٩٩هـ) فُتحت مغارة باليمن فأصابوا جوهراً وذهباً وسلاحاً ووجدوا سارية من رخام قائمة قد خُتم رأسها بالرصاص، فقلعوا ذلك الرصاص فوجدوا في السارية شيخاً قائماً على رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه: أنا المعافر بن يعفر»(٢) فأخذوا ما وجدوا في المغارة ودفنوه.

رابعاً

عهد الملطاط - سين مبلاط -

آخر ملوك العصر الأقدم الثاني لدولة سبأ

هو الملك الملطاط - سين مبلاط - بن آبل بن سبيئوم السكسك بن وائل. قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك اليمن القدماء:

أمْ أينَ ذو أنَس وعمرُو وابنُه المِلطاطُ لُطَّ بمُسْحِتٍ جَلّاحِ

ثم قال «الملطاط: ساحل البحر، وقيل الملطاط: رأس هامَة البعير، وبه سمّي الملطاط أي العالي. والجلّاح: الذي يأخذ أعلى الشجر، والمسحت الذي يستأصل الشجر بقلع أصوله» [ص٤٩] وقال الهمداني «الملطاط: مأخوذ من ذروة الجبل وحرف هامة الجمل الناتىء، وكل متعالي من الأشياء فهو ملطاط» [ص٥٢/ ٢] وقد ذكره نشوان والهمداني في الأنساب بأنه «الملطاط بن عمرو بن

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون - محمد الفرح - ص٣٦.
(٢) الإكليل - الحسن الهمداني - ص١٨١ جـ٨.

ذي أبين» - ثم ذكره الهمداني في الجزء الثامن بكتاب الإكليل بأنه «الملطاط بن سكسك بن وائل» [ص١٨٣] ويقابله في دراسات النصوص البابلية الأمورية «سين مبلاط بن آبل بن سبيئوم - السكسك - بن ولثيل ملك سبأ را وبابل» - وكلمة (سين) بمعنى (إل = الإله) فيكون اسمه (مبلاط) ويرادف (ملطاط) في السيرة والإكليل - وقد حكم ٣٤ سنة فيكون ذلك (من ١٨٢٦ - ١٧٩٣ ق.م.) وهو نفس الزمن المحدد للملك سين مبلاط في دراسات تاريخ بابل.

ومن أنباء ومعالم عهده:

- قال نشوان الحميري: «قام الملطاط - بأمور المملكة - بحزم وعزم، ووازره على الثغور عامر ماء السماء بن حارثة.. وَذُكِر أن عامر بن حارثة جرّد إلى الشام زيد بن ليث في أحياء قضاعة بأمر الملطاط، وولّى عليهم زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، وكتب إلى أهل الشام بطاعته» [ص٤٩] ويُستفاد من ذلك أن الصراع - الذي سلف ذكره - بين ملوك الدولة وبين بني قضاعة بن مالك بن حمير في منطقة الشحر ومهرة وعُمان انتهى، وأن الملك الملطاط قام بتوجيه أمراء البيت القضاعي ورعاياهم الذين كانوا يقاتلون معهم إلى الشام، قال نشوان: «فمنهم من نزل الحجاز، ومنهم من مضى إلى الشام ومصر» [ص٤٩].

- وسار الملك الملطاط (سين مبلاط) إلى بابل واستخلف باليمن ابنه شمس عاد، فشملت الملوكية العليا للملك الملطاط (سين مبلاط) بلاد بابل (لارسا وإيسين) وقد اعتبره الدارسون ملك بلاد بابل وأنه حكم في الفترة (١٨٢٦ - ١٧٩٣ ق.م.) ولكن الدراسات تذكر أن الملك ببلاد بابل كان «وراد - سين - ملك لارسا وكان عهده من ١٨٢٢ - ١٧٩٣ ق.م.» وهذا يؤكد أن ملوكية الملطاط - سين مبلاط - ببلاد بابل كانت ملوكية عليا، وكان مسيره لمناصرة الأموريين ضد أطراف معادية، وفي أواخر عهده احتل العيلاميون الفرس أجزاء من بلاد بابل ثم مات الملطاط - سين مبلاط - في المنطقة الأمورية من بلاد بابل سنة ١٧٩٣ ق.م. فتولى الحكم هناك (حمورابي) بينما تولى الحكم في اليمن شمس عاد بن الملطاط، وبدأ بذلك العصر الأقدم الثاني لدولة سبأ.

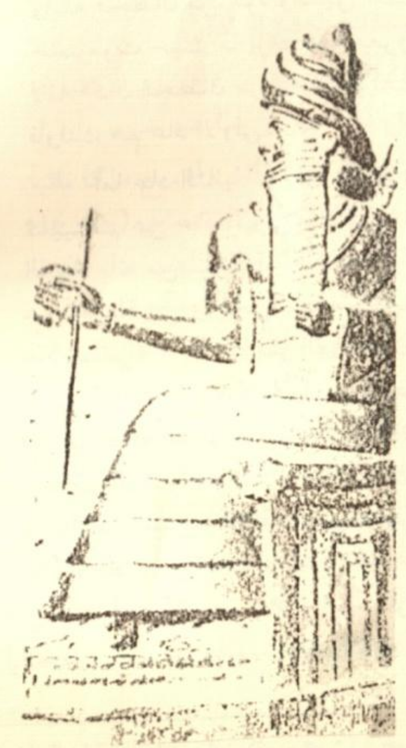
معالم وملوك العصر الأقدم الثالث لدولة سبأ.. عصر عاد الثانية وإرم ذات العماد

(من ١٧٩٢ ق.م. ـ ١٤٧٠ ق.م.)

لما توفي الملك الملطاط ـ سين مبلاط ـ تولى عرش دولة سبأ الأقدم الملك شمس عاد بن الملطاط بن آبل بن السكسك سابيئوم بن وائل. وبتمليك



حمورابي ملك بابل
يتلقى التشريع من الملك شمس عاد



شمس عاد ملك سبأ

شمس عاد ـ عام ١٧٩٢ ق.م. ـ بدأ عصر ميزناه بالعصر الأقدم الثالث لدولة سبأ وهو «عصر عاد الثانية» أو «عاد الأخرى» الذي استمر «٣٢٠» سنة، وكان أول ملوكه شمس عاد ملك سبأ المذكور في نصوص بابل وآشور بلفظ «شمس آدد ملك سبأ أرتو» وكان من أعاظم الملوك، وهو «عاد» الذي سلالته هم (عاد الثانية).

ومن المهم هنا التمييز بين عاد الأولى وعاد الثانية:

لقد قال اللّه تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النجم: ٥٠، ٥١] وعاد الأولى هي قبيلة (عاد بن عوص بن آرام بن سام بن نوح) قال ابن كثير «وكانوا يسكنون الأحقاف وهي جبال الرمل وكانت باليمن من عُمان وحضرموت بأرض مُطلة على البحر يُقال لها الشّحْر»[(١)] وبعث اللّه إليهم النبيّ هود عليه السلام فكذبوه فأهلكهم اللّه بريح صرصر عاتية ونجا النبي هود وابنه قحطان بن هود والذين آمنوا معه، ومات النبي هود بمنطقة أعالي حضرموت حيث ما يزال قبره معروفاً حتى اليوم، وكان ذلك في الزمن الأقدم لأنه «كان قحطان من رجال الألف الثامن أو الألف السابع قبل الميلاد»[(٢)] فأولئك هم عاد الأولى.

أما عاد الثانية أو (عاد الأخرى) فقد التبس على المفسرين والأخباريين تمييزهم عن عاد الأولى، فذكروا الملك (شداد بن عاد) باني مدينة إرم ذات العماد بأنه من ملوك قبيلة عاد الأولى، والصواب أن نسبه كما جاء في الإكليل هو «شداد بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس»[(٣)]. وقد ذكر المؤرخون أيضاً الملك «لقمان بن عاد» واعتبرته بعض كتب التراث من عاد الأولى، والصواب كما جاء في الإكليل أنه «لقمان بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس»[(٣)] وقد أتاح لنا ذلك إدراك أن (عاد الثانية) ليست قبيلة وإنما هم أسرة وسلالة الملك عاد بن الملطاط ـ سين مبلاط ـ وفي عصرهم كانت مدينة إرم ذات العماد التي بناها الملك شداد بن عاد، وبالتالي فإن عاد الثانية هم الذين ذكرهم اللّه تعالى بقوله في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [الفجر: ٦ ـ ٨] فليست عاد الثانية أقدم من سبأ وحمير ـ كما يظن البعض ـ ب

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٢٠ جـ٢.
(٢) اليمن الإنسان والحضارة ـ الشماحي ـ ص٣٥.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٣ و ١٨٤ جـ٨.

كانوا في نفس العصر الأقدم لدولة سبأ الذي كان معظم ملوكه من بني حمير بن سبأ. ومما يشير إلى ذلك أيضاً قول نشوان الحميري:

وملوكُ حِمْيَرَ ألفُ مَلْكٍ أصبحوا ... في التربِ رَهنَ ضرائحٍ وصِفاحِ
آثارُهم في الأرض تُخبرُنا بهم ... والكُتْبُ من سِيَرٍ تقصُّ صِحَاحِ
مَلَكَتْ ثمودَ وعاداً الأُخرىٰ معاً ... منهم ملوكُ لم تكن بشِحاحِ

فملوك عصر عاد الأُخرى هم من بني حمير بن سبأ، وهم بنو شمس عاد الذي بعهده نبدأ.

المبحث الأول

عهد شمس عاد ملك سبأ. وملك جميع البلدان

هو الملك شمس عاد بن الملك الملطاط سين مبلاط. وهو في الإكليل: (أبو شداد عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس)[(١)].

وكان شمس عاد بن الملطاط قد تولى عرش سبأ الأقدم وأصبح ملكاً نائباً لأبيه في اليمن منذ مسير أبيه الملك الملطاط سين مبلاط إلى بلاد بابل (حـ/ عام ١٨١٥ ق.م.) لمناصرة الأموريين هناك ضد قوى وممالك مناوئة لهم حيث ذكرته النصوص الأمورية البابلية بلفظ «سين مبلاط ملك سبأ را وبابل» وأنه «في أواخر عهده احتل العيلاميون ـ الفرس ـ أجزاء من بلاد بابل»[(٢)] ومات هناك في المنطقة الأمورية من بلاد بابل عام ١٧٩٣ق.م. ـ حيث تم تمليك ابنه الملك الأموري المشهور «حمورابي بن سين مبلاط» وهو «حمورابي ملك بابل وبلاد الرافدين من ١٧٩٢ ـ ١٧٤٩ ق.م.) والذي يذكر الباحث المؤرخ هورست كلنغل ما يلي نصه: «كان حمورابي ملكاً لبابل تحت السيادة الأعلى للملك شمس آدد Samsu Add». وبالرغم من أن حمورابي كان تحت سيادة شمس آد لكنه لم يكن تابعاً له»[(٣)]. وقد تبين لنا من ربط الأسماء والوقائع والزمن ما يلي:

أولاً: إن الملك المذكور في ترجمات نصوص بلاد الرافدين بلفظ (شمس

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٣ جـ٨.
(٢) الموجز في تاريخ حضارة الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٣٩٦ ـ ٣٩٨.
(٣) حمورابي ملك بابل وعصره ـ هورست كلنغل ـ ص٤٠ ـ دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ـ ١٩٨٧م.

آد) أو (شمس آدد) هو (شمس عاد ملك سبأ). وقد اعتبره الدارسون ملك آشور وشاع ذلك في الدراسات بحيث يظن المرء أن تلك النصوص ذكرته بلفظ ولقب «شمس أد ملك آشور» بينما ليس الأمر كذلك، فقد ذكر د. طه باقر نقشاً مسمارياً كتبه ملك أشنونا عن «الحرب بين ملك أشنونا وبين شمس آدد ملك سبأ ـ أرتو ـ وجيشه وجموع سوبارتو»(١) فلقب الملك شمس عاد «شمس آدد» ليس ملك آشور وإنما هو «ملك سبأ ـ أرتو» وقد صحّفت الترجمات (سبأ ـ أرتو) إلى (سوبارتو) وهو تصحيف يسير، ولكنهم اعتبروها (أرض آشور) وقد أشار د. طه باقر إلى حقيقة هامة حيث قال: «إن الآشوريين لم يستعملوا هذا الاسم (سوبارتو) كاسم لهم أو لبلادهم ـ على الإطلاق ـ»(١) ونرى أن «سبأ ـ أرتو» هي بوضوح «أرض سبأ» وبالتالي فإن «شمس آدد ملك سبأ ـ أرتو» هو «شمس عاد ملك سبأ بن الملطاط سين مبلاط ملك سبأ وبابل» وهذا يتيح إدراك حقيقة أخرى هامة أيضاً وهي أن حمورابي ملك بابل هو الأخ الأصغر للملك شمس عاد لأن حمورابي هو باتفاق الدراسات والنصوص «حمورابي بن سين مبلاط».

وقد ذكرت النصوص أن الملك شمس عاد «شمس آدد» حكم ٣٤ سنة، وحددها الدارسون بالفترة من ١٨١٥ ـ ١٧٨١ ق.م. وبالتالي يمكن القول أنه:

أ ـ في الفترة من ١٨١٥ ـ ١٧٩٣ ق.م. كان شمس عاد ملكاً نائباً لأبيه الملطاط سين مبلاط في أرض سبأ حيث كان أبوه في بلاد بابل وله الملوكية العليا ويحارب القوى والممالك المناوئة للأموريين ومات في آخر سنة ١٧٩٢ ق.م.

ب ـ في الفترة ١٧٩٢ ـ ١٧٨١ ق.م. كان شمس عاد ملكاً لبلاد سبأ (سبأ ـ أرتو) وله الملوكية العليا على الأموريين بينما كان حمورابي ملكاً لبابل وبلاد الرافدين حيث استدل (هورست كلنغل) من دراسة نصوص عهد حمورابي على الحقيقة التي تتجاهلها الكثير من المصادر وهي ـ كما قال هورست كلنغل ـ «إن حمورابي كان ملكاً لبابل تحت السيادة الأعلى للملك شمس آدد.. لكنه لم يكن تابعاً له». ونرى أن ذلك يؤكد أيضاً أن شمس عاد هو الشقيق الأكبر لحمورابي ملك بابل.

ويتيح ذلك إدراك حقيقة هامة أيضاً، ففي أعلى لوحة تشريعات حمورابي المشهورة يوجد رسم للملك حمورابي وهو واقف أمام ملك جالس على العرش اسمه (شمس..) وقد اعتبر الدارسون ذلك الملك الذي يتلقى منه حمورابي

(١) الموجز في تاريخ حضارة الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٣٩٦ ـ ٣٩٨.

التشريعات هو (الإله الشمس). ونرى أن القرائن والصورة نفسها تنطق بأنه شمس عاد (شمس آدد) لأنّ حمورابي كان ملكاً لبابل تحت السيادة الأعلى للملك شمس عاد ولذلك يتلقى حمورابي التشريع منه، ولأن الجالس على الكرسي ـ العرش ـ هو رجل بيده صولجان الحكم وفوق رأسه تاج ويرتدي ثوباً من أثواب ملوك ذلك العصر فهو ملك إنسان واسمه شمس عاد (شمس آدد) وقد وصفته النصوص بلقب (ملك جميع البلدان ملك العالم) والمهم هنا أنه الشقيق الأكبر لحمورابي ومنه يتلقى حمورابي التشريع.

ثانياً: قام الملك شمس عاد بتوجيه جيوش وقبائل كثيفة بقيادة ابنه شداد إلى بلاد الرافدين وما يليها، وقد جاء في أخبار عاد بتاريخ ابن خلدون ما يلي نصه: «إن الذي مَلَك بعد عاد (وهو) شداد هو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق»(١) وقال الهمداني في الإكليل: «بَلَغ شداد بن عاد بن الملطاط أقصى المشرق لا يقف له أحد إلا هَلَكَ، ثم مضى ـ من بلاد فارس ـ إلى أرمينية، ثم سار إلى الشام، ثم إلى الغرب حتى بلغ البحر المحيط وهو يبني المدن ويتخذ المصانع»(٢).

ويتبين من البحث في دراسات وواقع ذلك الزمن ما يلي عن تلك الموجة وآثارها ونتائجها:

ـ أن سلطان الأموريين ببلاد بابل كان قد ضعف واحتل العيلاميون ـ الفرس ـ أجزاء من بلاد بابل قبل عهد حمورابي، ثم إن الملك حمورابي قاد الأموريين في سلسلة من الحملات والانتصارات ضد الممالك والكيانات الأخرى في بلاد بابل مثل (الوركاء) و (إيسين) وضد العيلاميين ـ الفُرس ـ مما أدى إلى انبساط سيادة حمورابي والأموريين على كل بلاد بابل وحتى بلاد عيلام في فارس شرقاً. ولكن تلك الحملات والانتصارات المنسوبة إلى حمورابي والأموريين الساكنين ببابل كانت في الواقع بمشاركة قوات شمس عاد ملك سبأ. وقد ذكر هورست كلنغل ما يلي نصه: «يُستنتج من حقيقة الوثائق حول السنوات من (١) إلى (٩) من عهد حمورابي عن الحملات والانتصارات على الوركاء وإيسين وغيرها أن حمورابي ما كان يستطيع القيام بها دون حماية ظهره على الأقل بل ودون مساعدة من الملك شمس آدد.. وهنا يطرح سؤال نفسه: هل

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص١٩ جـ٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٣ جـ٨.

الانتصارات تعتبر نصراً لحمورابي أم يجب النظر إليها كحملات بناء على تكليف ودعم الملك شمس آدد؟»[١] ثم يذكر هورست كلنغل وثيقة من السنة العاشرة من عهد حمورابي عن أداء القسم من أمراء وحكام بلاد بابل ويقول: «إن القَسَم لم يكن عند حمورابي فقط وإنما تم تأديته كذلك عند الملك شمس آدد مما يدل على أن حمورابي كان يخضع لسيادته العليا. . ولكنه لم يكن تابعاً له»[١] وقد أسلفنا تبيين أن حمورابي هو الأخ الأصغر للملك شمس عاد، وقد أدت تلك الحملات والانتصارات التي شاركت فيها قوات شمس عاد ـ بقيادة شداد ـ إلى انبساط سلطة الأموريين على كل بلاد الرافدين وحتى عيلام في بلاد فارس شرقاً.

وخلال تلك السنوات نفسها سار الملك شمس عاد بنفسه على رأس جيش وجموع سبأ واجتاح مملكة أشنونا وانضوت بلاد آشور تحت ملوكيته العليا. وقد تم العثور على نقش مسماري لملك أشنونا ذكر فيه أن تلك الحرب كانت بين ملك أشنونا وبين «شمس آدد ملك سبأ ـ أرتو وجيشه وجموع سبأ ـ أرتو» ـ كما سلف التبيين ـ ومكث شمس عاد ملك سبأ فترة في آشور وانضوت بلاد آشور ـ وهي الموصل والجزيرة الفراتية ـ تحت ملوكيته العليا وقد اعتبره الدارسون ملك آشور، والصواب الذي ينطق به النقش أنه (ملك سبأ ـ أرتو) وهي أرض سبأ، ولكن ملوكيته العليا شملت بلاد آشور، ومنها سار الملك شمس عاد وابنه شداد بن شمس عاد إلى الشام. وقد تم العثور في موقع مدينة ماري (تل الحريري) في سوريا على نصوص مسمارية أمورية باسم الملك شمس آدد (شمس عاد) وباسم يشكمداد بن شمس آدد (شداد بن شمس عاد) تذكر أنهما اتخذا مدينة ماري (تل الحريري) مقراً وقاعدة للحملات ضد مملكة (إيبلا) وضد مملكة وبلاد (الالاخ) فشمل سلطانهما تلك البلاد إلى تخوم تركيا وإلى ساحل البحر الأبيض المتوسط. وكانت نتيجة ذلك ما تذكره الدراسات بأنه « . . نجح الأموريون في بسط سلطانهم على بلاد الرافدين وسوريا وامتدت ممالكهم إلى بلاد عيلام ـ في فارس ـ شرقاً وإلى البحر الأبيض المتوسط غرباً»[٢] ويقابل ذلك ما جاء في الإكليل من أنه «بَلَغ شداد بن عاد بن الملطاط أقصى المشرق. . ثم سار إلى الشام ثم إلى الغرب حتى بلغ البحر المحيط». [ص١٨٣/٨].

ـ وقد تولى شداد بن شمس عاد الملوكية في مدينة ماري (تل الحريري) بسوريا ملكاً للأموريين في محور بلاد الشام ـ البحر المتوسط. وتولى لقمان بن

(١) حمورابي ملك بابل وعصره ـ هورست كلنغل ـ ص٤١.
(٢) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ د. محمد عصفور ـ ص٢٧٧.

شمس عاد الملوكية في آشور ملكاً للأموريين في بلاد الجزيرة الفراتية. وأدّى حكام بلاد بابل ومشارقها القَسَمَ ـ بالطاعة والولاء ـ أمام الملك شمس عاد (شمس آدد) وحمورابي ملك بابل. وقد ذكرت النصوص الملك شمس آدد بلقب لم يسبق له مثيل في التاريخ وهو لقب:

«ملك جميع البلدان Shar Kisht Matati» و «ملك العالم Shar Kishati»[١]

وقد أدى حكام بلاد بابل وغيرها القَسَم أمام شمس عاد (شمس آدد) وحمورابي في السنة العاشرة التي هي سنة ١٧٨٣ ق.م. حيث عاد الملك شمس عاد إلى اليمن أرض سبأ.

ـ وقد تم العثور بين وثائق حمورابي في موقع قصره الذي تم اكتشاف أطلاله في بابل على رسالة مكتوبة بالعلامات المسمارية الأمورية وهي «رسالة من شمس آدد إلى حمورابي ملك بابل بشأن قافلة تجارية تعرضت للحجز في (تمكاروم) وتتضمن الرسالة تعليمات إلى حمورابي بسرعة إرسال القافلة إلى دلمون (تي ـ إل ـ مان) وإن ما تحمله خاص بالملك شمس آدد»[٢] فتوجهت القافلة من بلاد بابل إلى منطقة دلمون ومنها إلى الملك شمس عاد في اليمن أرض سبأ.

وقد انتهى عهد الملك شمس عاد بوفاته، وكانت مدة حكمه ٣٤ سنة، فإذا كانت تلك المدة منذ تولى الحكم في عهد أبيه فيكون ذلك من عام ١٨١٥ ـ ١٧٨١ ق.م. أما إذا كانت مدة حكمه هي منذ تولى عرش سبأ والملوكية العليا بعد وفاة أبيه فيكون الأصوب أن عهده من عام ١٧٩٢ ـ ١٧٦١ ق.م. وبالتالي تكون وفاته حوالي عام ١٧٦١ قبل الميلاد.

المبحث الثاني

عهد شداد بن شمس عاد..

باني مدينة إرم ذات العماد ومؤسس عدن

هو الملك شداد بن شمس عاد وهو كما جاء في الإكليل: «شداد بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس». فهو ليس

(١) الموجز في تاريخ حضارة الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٤٧٩.
(٢) العلاقات الحضارية ـ د. سليمان السعدون وعز الدين إسماعيل ـ ص٦٦.

من عاد الأولى ولا عاش خمسمائة سنة كما شاع في بعض الروايات وإنما هـ
نجل الملك شمس عاد «شمس آدد ملك سبأ ـ أرتو» الذي حكم في الفترة مـ
١٧٩٢ ـ ١٧٨١ ق.م. أو من ١٧٩٢ ـ ١٧٦١ ق.م. ثم حكم بعده شداد بـ
شمس عاد زهاء أربعين سنة (من ١٧٨٠ ـ ١٧٤١ ق.م.) وعاصر كلاهـ
حمورابي ملك بابل (١٧٩٢ ـ ١٧٤٩ ق.م.) وقد ذكر المؤرخون العرب الأوائـ
من أنباء ومعالم عهده:

أولاً

قيادة شداد بن عاد غزوات خارجية إلى العراق وفارس والشام ومصر

قال الهمداني في الإكليل: «بلغ شداد بن عاد بن الملطاط أقصى المشر
لا يقف له أحدُ إلا هَلَك، ثم مضى على أرمينية ثم سار إلى الشام ثم إلـ
المغرب (الغرب) حتى بلغ البحر المحيط وهو يبني المدن ويتخذ المصانع، فأقا
في المغرب ـ فترة ـ ثم قَفَل إلى المشرق..»(١).

قال ابن خلدون: «وذكر المسعودي أن الذي مَلَك بعد عاد (وهو) شداد
هو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق..
وذكر ابن سعيد في أخبار القبط أن شدّاد بن بداد حارب بعضاً من القبط وغلب
على أسافل مصر ونزل الإسكندرية وبنىٰ بها مدينة يُقال لها أون»(٢).

ويتبين من البحث في تاريخ ذلك الزمن:

١ ـ أن الملك شمس عاد «شمس آدد» قام بتوجيه جيش إلى بابل وبلاد الرافدين
لمناصرة حمورابي ملك بابل والأموريين. وكان الجيش بقيادة «يشمكداد بـ
شمس آدد» وهو شداد بن عاد. وجاء في نقش مسماري لملك أشنونا أ
«حارب شمس آدد ملك سبأ ـ أرتو ـ وجيشه وجموع سبأ ـ أرتو»(٣) وكا
يشكمداد «شداد» هو قائد جيش وجموع سبأ ـ أرتو، وتم بسط سيا
الأموريين إلى عيلام في بلاد فارس ـ شرقاً ـ وفي سوريا والشام إلى البحـ
الأبيض المتوسط غرباً.

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٣ جـ٨.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص١٩ جـ٢.
(٣) الموجز في تاريخ الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٣٩٨.

٢ ـ أن (يشمكداد بن شمس آدد) ـ وهو شداد بن عاد ـ أصبح ملكاً في مدينة ماري (تل الحريري) في سوريا. وكانت مدينة ماري بمثابة عاصمة للإمارات الأمورية في الشام والتي منها إمارة حلب الأمورية وإمارة صوبة (لبنان) وإمارة دمشق وغيرها، وربما كانت ملوكية شداد (يشمكداد) تمتد إلى تخوم أعالي مصر غرباً. وقد تم العثور بين وثائق وألواح حمورابي في بابل على رسالة مكتوبة بالكتابة المسمارية الأمورية وهي «رسالة من الملك يشمكداد ملك ماري بن شمس آدد ملك جميع البلدان إلى حمورابي ملك بابل: بشأن قافلة تجارية كانت متوجهة إلى (تي ـ إل ـ مان) وقد أعاق مواصلة سيرها المدعو «لي ـ ايبو» وتتضمن الرسالة تعليمات بالتحفظ على ذلك المسؤول وسرعة توجيه القافلة إلى تي إل مان»(١) ويرى الدارسون أن (تي ـ إل ـ مان) هي (دلمون) وهي البحرين ومنطقة الخليج إلى عُمان. وكانت دلمون هي طريق القوافل إلى اليمن أرض سبأ (سبأ ـ أرتو).

٣ ـ وفي تلك الفترة (ما بين عام ١٧٨٥ وعام١٧٦٠ ق.م.) بدأ حكم الهكسوس لمصر والذين يذكر د. محمد أبو المحسن عصفور علاقتهم بالأموريين قائلاً ما يلي نصه: «ربما كان الأموريون يمثلون الغالبية بين القبائل التي اجتاحت سوريا وسيطرت على مصر وهي التي عرفت باسم الهكسوس»(٢). وقد شاع في الدراسات القول بأن الهكسوس قبيلة من البدو الرعاة تسللت إلى مصر وتمكنت تدريجياً من السيطرة على الحكم. ويمكن أن تكون بعض عشائرهم دخلت مصر كذلك بالفعل ولكن الذين سيطروا على مصر كانوا موجة كبيرة منهم حيث جاء في بردية مانلتو الفرعونية عن الهكسوس ما يلي نصه: «كانوا أربعين ألف رجل مزودين بالأسلحة. جاءوا تملؤهم الثقة في النصر وتمكنوا من الاستيلاء على بلادنا ضربة واحدة.. وعيّنوا واحداً منهم اسمه ساليس ملكاً على مصر، فنشر الحاميات وبَنَى مدينة أوريس شرق الدلتا»(٢) وهذا يقابل ما جاء في كتب التراث بأنه «سار شداد بن عاد إلى مصر وغلب الفراعنة ـ القبط ـ على أسافل مصر ونزل الإسكندرية وبنىٰ بها مدينة يقال لها أون» وجاء في الإكليل أنه (كان في الإسكندرية حجر مكتوب فيه: أنا

(١) العلاقات الحضارية ـ د. سليمان السعدون وعز الدين إسماعيل ـ ص٦٦.
(٢) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ د. محمد أبو المحسن عصفور ـ ص١٧٧.

شداد بن عاد الذي جندت الأجناد وسددت بساعدي الواد. يعني نيل مصر، وكنزت كنزاً في البحر ليس يخرجه أحد»(١) ونرى أن أصل ذلك أن شداد بن شمس عاد هو الذي شَجَّع ووجّه الهكسوس فسيطروا على مصر وعيّن الأمير ساليس ملكاً على مصر، وأن المدينة التي بناها هي مدينة أوريس شرق الدلتا، وربما قام بشق قناة بين نهر النيل والبحر الأحمر لتيسير النشاط التجاري بين اليمن ومصر عن طريق البحر الأحمر، ثم عاد شداد بن شمس عاد من مصر إلى الشام ثم إلى اليمن، وهو مقتضى قول الهمداني «ثم قَفَلَ شداد بن عاد من المغرب إلى المشرق.. ومضى إلى مأرب» [ص١٨٣/٨]. وقد استمر حكم الهكسوس لمصر حتى سنة ١٥٧٥ ق.م. أي زهاء قرنين من الزمان.

ثانياً

بناء شداد بن عاد للقصر العتيق في مأرب

اقترنت عودة شداد بن شمس عاد من الشام إلى اليمن بوفاة أبيه الملك شمس عاد (شمس آدد) سنة ١٧٨١ ق.م. أو سنة ١٧٦١ ق.م. حيث تولى الحكم في ماري (سوريا) الملك الأموري (زمري ليم) وتولى ملوكية آشور إلى دمشق الملك (دقمان بن شمس آدد) وهو (لقمان بن عاد) وكان الملك في بابل حمورابي، بينما تولى شداد بن شمس عاد عرش دولة سبأ في مدينة سبأ التليدة بأرض مأرب.

قال الهمداني في الإكليل: «مضى شداد بن عاد إلى مأرب فبنى بها القصر العتيق، فلم يدع في اليمن درّاً ولا جوهراً ولا عقيقاً ولا جزعاً، ولا بأرض بابل وأرسل في الآفاق يجمع ذلك، فجمع جواهر الدنيا من الذهب والفضة والخارصين والنحاس والرصاص، فبنى فيه القصر وزخرفه ورصعه بجميع ذلك الجوهر، وجعل أرضه زجاجاً أحمر وأبيض وغير ذلك من الألوان وجعل تحتها أسراباً أفاض إليها ماء السد، فكان قصراً لم يكن في الدنيا مثله». [ص١٨٣/٨].

وذلك القصر العتيق في مأرب قد يكون قصر سَلْحِينْ وهو القصر الملكي بمأرب في عصور ملوك سبأ التبابعة وقد جاء ذكره في النقوش منذ القرن الحادي عشر ق.م. فيمكن أن يكون تشييده قبل ذلك بسبعة قرون في عهد شداد بن

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٥ جـ٨.

شمس عاد، وقد جاء ذكر قصر سَلْحِين في عشرات النقوش وما يزال موقعه بمأرب مجهولاً حتى اليوم ولما يتم اكتشافه، وكان قصراً لم يكن في الدنيا مثله في عصور التاريخ التليد.

ثالثاً

تشييد مدينة إرم ذات العماد والنبأ اليقين عنها

وفي عهد الملك شداد بن شمس عاد تم تشييد مدينة إرم ذات العماد التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم حيث قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٦ ـ ٨] صدق الله العظيم.

قال المؤرخ العلامة نشوان الحميري في شمس العلوم: «إرم بلدة، وإرم بن سام بن نوح، من ولد عاد بن عوص بن إرم. وعلى الوجهين يُفسر قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قيل: إرم اسم القبيلة. والتفسير الثاني، قيل: إرم مدينة عظيمة، سُمّيت بساكنها من إرم، بتيه أبين باليمن، وبها من أعمدة البناء ما ليس في غيرها. ومعنى الآية على التقدير: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فعلَ ربُّك بعاد صاحبة إرم، كقوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. وقال بعضهم إرم هي دمشق، ويقال: هي الإسكندرية، وليس ذلك بشيء، لأن عاداً كانوا باليمن وحضرموت. والإرم أيضاً: العلم من الحجارة تنصب في المفازة، والجمع الإرام. ويُقال: «الإرم الحجارة»(١).

وقد ناقش ابن خلدون قضية مدينة إرم ذات العماد وقال ما يلي: «وأعرقُ في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة الفجر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ فيجعلون لَفْظَةَ إرَمَ اسماً لمدينةٍ وُصِفَتْ بأنَّها ذاتُ عِمَادٍ أي أساطين، ويَنْقُلُون أنه كان لعاد بن عوص بن إرم ابنَانِ هما شديد وشداد ملكا من بعده، وهَلَكَ شَديدُ فخَلُصَ المُلك لشداد ودانَتْ له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال: لأبنين مثلها، فَبَنَىٰ مدينة إرم في صَحَارَى عَدن في مُدَّة ثلاثمائة سنة، وأنَّها مدينة عظيمة قُصورها من الذهب وأساطينها من الزَّبَرْجَدِ والياقُوت وفيها أصنافُ الشجر والأنهارُ المُطَّرِدَةُ، ولمّا تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته حتى إذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحةً من السماء فهلكوا

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص٧٧ جـ١.

كلهم. ذكر ذلك الطبريُّ والثَّعالبيُّ والزمخشريُّ وغيرُهم من المُفسِّرين. وينقلون عن عبد الله بن قَلَابة من الصحابة أنَّه خرج في طلب إبلٍ له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره معاوية فأحضره وقَصَّ عليه فبحث عن كعب الأحبار وسأله عن ذلك فقال: «هي إرم ذات العماد..» ثم قال ابن خلدون: «وهذه المدينة لم يُسْمَعْ لها خَبَر من يومئذ في شيء من بقاع الأرض، وصَحارَى عدن التي زعمُوا أنها بُنِيَت فيها هي في وسط اليمن وما زال عُمْرَانُهُ مُتَعَاقباً والإدلاءُ تَقُصُّ طُرُقَهُ من كُل وجهٍ ولم يُنْقَل من هذه المدينة خبرُ ولا ذكرها أحد من الإخباريين ولا من الأمم. ولو قالوا إنَّها دُرِسَتْ فيما دُرس من الآثار لكانَ أشبَهَ إلَّا أن ظاهر كلامهم أنَّها موجودةٌ.. وقد ينتهي الهذيان ببعضهم إلى أنَّها غائبةُ وإنَّما يعثُرُ عليها أهل الرياضة والسحر، مزاعِمُ كلها أشبه بالخرافات..»(١) وقال ابن خلدون في موضع آخر: «والصحيح أنه ليس هناك مدينة اسمها إرم وإنما إرم المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ القبيلة لا البلد»(٢). وقد اندفع ابن خلدون إلى ذلك الرأي والتكذيب للسبب الذي ذكره قائلًا: «..ولم يُنقل عن هذه المدينة خبرٌ من يومئذ.. ولو قالوا إنَّها دُرِسَتْ فيما دُرس من الآثار لكان أشبه، إلا أنَّ ظاهر كلامهم أنها موجودة»(١) والصحيح أنها دُرِسَت فيما دُرس واندثر من آثار الأزمنة القديمة، ويتمثل النبأ اليقين في التالي:

ـ إن (إرم ذات العماد) ليست القبيلة وإنما هي البلد، بدليل قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ فقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ يؤكد أنها بلدة. وقد ذكر المفسرون وأهل اللغة والإعراب ـ كما ذكر عنهم ابن خلدون نفسه ـ «أن لفظة ذات العماد صِفَةُ إرم، وأن العماد الأساطين فتعيّن أن يكون بِناءً. وفي قراءة ابن الزبير (عاد إرم) على الإضافة من غير تنوين». وقال نشوان: «ومعنى الآية على التقدير: ألم تر كيف فعل ربك بعاد صاحبة إرم».

ـ والذي قام بتشييد مدينة إرم ذات العماد هو بإجماع أغلب المؤرخين العلماء الأوائل «شداد بن عاد» وإنما توهم البعض أنه «ابن عاد بن عوص بن أرام بن سام بن نوح» جد قبيلة عاد الأولى التي هلكت بالأحقاف، ووقع الوهم أيضاً في قول البعض أنه «بنىٰ مدينة إرم في مدة ثلاثمائة سنة، ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته فبعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم». بينما الصحيح أن شداد بن عاد هو «الملك شداد بن شمس عاد بن الملطاط سميع

(١) مقدمة ابن خلدون ـ ص١٤.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص١٩ جـ٢.

مبلاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس» وكانت مدة حكمه نحو أربعين سنة فقط وذلك كما سلف التبيين في الفترة ما بين عام ١٧٨٠ ـ ١٧٤٠ قبل الميلاد ولم يهلك هو وأهل مملكته بالصيحة وإنما تعاقب الملوك من أسرته فحكم بعده لقمان بن شمس عاد ثم عشرة ملوك ـ سيأتي ذكرهم ـ واستمرت مدينة إرم مدينة عظيمة في عصرهم زهاء ثلاثمائة سنة، فمدة الثلاثمائة سنة التي قيل أنها مدة بناء مدينة إرم إنما هي التي استمرت فيها مدينة إرم أعظم مدينة في البلاد، وذلك منذ تشييدها في عهد الملك شداد بن شمس عاد وحتى أواسط القرن الخامس عشر ق.م.

ـ ولم يكن بناء مدينة إرم لمضاهاة الجنة وإنما قام الملك شداد بن شمس عاد ببناء القصر العتيق (قصر سَلْحِين) في مأرب حيث كانت مدينة سبأ التليدة ـ كما سلف التبيين ـ ثم أراد تشييد مدينة تكون عاصمة للمناطق الوسطى والساحلية والجنوبية من اليمن وتكون قريبة من البحر ومركزاً للنشاط التجاري البحري إلى مصر والبحر الأحمر والبحر العربي. قال ابن المجاور: «لما خرج شداد بن عاد من أرض اليمن طالباً أعمال حضرموت ووصل لَحْجَ نظر إلى جبل العُرّ وعِظَمه من على مسافة بعيدة فقال لأعوانه: اغدُوا أبصِروا هذا الجبل وما دونه، فلما عاينوا الموضع رجعوا وقالوا: إن هذا الموضع وادٍ في بطنه شجر وفيه أفاعي عظام وهو مشرف على البحر، فلما سمع بهذه المقالة نزل في لحج وأمر بأن تُحفر الآبار فيها..»(١).

ثم قام الملك شداد بن عاد باختيار الموقع المناسب لتشييد المدينة وبعد اختيار الموقع قام بتشييد المدينة حيث كما ذكر ابن خلدون: «ذكر الطبري والثعالبي والزمخشري وغيرهم أن شداد بن عاد بنىٰ مدينة إرم في صَحَارى عدن..» وجاء في تاريخ ثغر عدن: «إن شداد بن عاد بنىٰ إرَمَ ذات العماد في صَحَارى عدن كما ذكر السهيلي وغيره»(٢). وقال نشوان في شمس العلوم «إرم مدينة عظيمة، بتيّه أبين باليمن»(٣) وقال الهمداني في الصفة «وبها ـ أي أرض اليمن ـ الممالك القديمة والآثار العظيمة مثل ناعط وغُمدان، وهَكِر وريدان. وإرم ذات العماد»(٤) ثم أشار إلى موقعها حيث قال «عدن جنوبية تهامية. وموردها ماء يُقال له الحَيْق أحساءُ في رمل في جانب فلاة إرَم»(٤). فقو

(١) تاريخ المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص١٠٧.

(٢) تاريخ ثغر عدن ـ أبو مخرمة ـ ص١٥ و ٢١.

(٣) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص١٣/١.

(٤) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٧ وص٧٠.

الهمداني (فلاة إرم) وقول نشوان (تيّه أبين) يرادف قول السهيلي والزمخشري وغيرهما (صَحَارى عدن) حيث كانت مدينة إرم ذات العماد، وقد ذكر ابن المجاور موقعها بالتفصيل فقال: «إن شداد بن عاد بنى إِرَمَ ذات العماد ما بين اللَّخَبة ولَحْج وبين المغاوي التي على طريق المفاليس وهو الرمل الذي إلى جبل دار زِينة، وما بناها إلَّا في أطيب الأراضي والأهوية والجوِّ في صفاء من الأرض بعيد عن البحر، والآن رجع البحر في أطراف بلاد إرم ذات العماد وتناول البحر شيئاً منه أخذةً»(١). وجاء في تاريخ ثغر عدن أن «لخبة: موضع بظاهر عدن أبين وضواحيها. وأن منها إلى عدن فرسخين إلّا ربع»(٢) فكانت مدينة إرم تمتدُّ ما بين اللخبه ولحج وبين المغاوي التي على طريق المفاليس، فذلك هو موقع مدينة إرم ذات العماد التي أتم الملك شداد بن عاد والشعب الذي معه تشييدها في نحو عشر سنين، وكانت مدينة عظيمة ذات أعمدة وأساطين كثيرة وقصور مموهة بالذهب والفضة، وفيها أصنافُ الشجر والوديان التي كانت سيولها تجري كالأنهار.

وولّى الملك شداد بن عاد على مدينة إرم والمناطق التابعة لها ابنه الأمير (إرم بن شداد بن عاد)، وقد استنتجنا ذلك من قول ابن خلدون: «وذكر ابن سعيد عن البيهقي أن باني مدينة إرم هو إرم بن شداد بن عاد»(٣) ويمكن أن يكون إرم بن شداد قد اشترك في الإشراف على بناء المدينة مع أبيه الملك شداد بن عاد ثم ولاهُ أبوه على المدينة والبلاد وباسمه سُمّيت مدينة إرم. وشمل اسم إرم السكان الذين أوطنهم الملك شداد بن عاد لأنهم صاروا أهل إرم، ولذلك قال نشوان: «إرم مدينة عظيمة، سُمّيت بساكنها من إرم». ثم إن اسم إرم شمل قبائل كل المناطق التابعة لمدينة إرم ـ وهي غالباً مناطق وسط وجنوب وساحل اليمن إلى البحر الأحمر غرباً والبحر العربي وساحل حضرموت ومهرة وعمان شرقاً ـ فقيل لهم (إرميون) فكان اليمن ينقسم إدارياً في ذلك العصر إلى سبأ وإرم نحو ثلاثمائة سنة كما انقسم إدارياً فيما بعد إلى (سبأ وذي ريدان). وكانت مدينة إرم ذات العماد في زمنها أعظم مدينة في كل البلاد.

---

(١) تاريخ المستنصر ـ ابن المجاور ـ ص١٠٦.
(٢) تاريخ ثغر عدن ـ أبو مخرمة ـ ص١٥ و ٢١.
(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص١٩ جـ٢.

رابعاً

تأسيس شداد بن شمس عاد لمدينة عدن

وكان من الأعمال العمرانية الخالدة التي تناقلت ذكرها الأجيال القديمة: «أنّ الجبال كانت مُحيطة بعدن ولا طريق لها إلى جهة البرّ، وأن أول من فتح الباب ـ باب عدن البري ـ شداد بن عاد لما بنى إِرَمَ ذات العماد في صحارى عدن كما ذكر السهيلي وغيره أمر أن يُنقب له باب في صدر الوادي فنُقب ـ وهو باب عدن البري ـ»(١) وقال ابن المجاور: «لما وصل شداد بن عاد إلى لحج فنظر إلى جبل العُرّ وعِظَمَه من على مسافة بعيدة فقال لأعوانه: اغدُوا أبْصِروا هذا الجبل وما دونه، فلما عاينوا الموضع رجعوا وقالوا: إن هذا الموضع وادٍ في بطنه شجر وفيه أفاعي عظام وهو مُشرف على البحر المالح، فلما سمع هذه المقالة نزل في لحج وأمر بأن تُحفر الآبار التي هي الآن يشرب أهل عدن منها وأمر أن يُنقر له باب في صدر الوادي، وأقام على حفر النهر ونقر الباب رجُلين، ولا زال أحدهما ينقر الجبل والثاني ابتدأ بحفر النهر من أعمال لحج، ولا زال الرجُلان يعملان في النقر والحفر (مع عمالهما) إلى أن بقي عليهم من العمل شيءٌ يسير، فقال الحجّار: إنّي إن شاء اللّه تعالى بالغد أُتِمُ عملي، فقال الحفار: وأنا بالغد أُدخِلُ الماء إلى عدن إن شاء اللّه أو لم يشأ. فانقطع النهر بعضه من بعض وانسدّ معين الماء وارتدم ما بناه بعضه على بعض، ووصل في حفره إلى تحت جبل الحديد ومن عنده انقطع. ولما أصبح الحجّار من الغد فُتح نقر الباب وفتحة الباب واستقام له الأمرُ على ما أراد.. وصار شداد بن عاد يُنفذ إلى هذا المكان ـ أي إلى عدن ـ كلَّ من وجب عليه الحبسُ يحبسه فيه فبقي حبساً على حاله إلى آخر دولة الفراعنة الذين كانوا ولاة مصر، وبعد زوال دولتهم خرب المكان»(٢). وقال: «وما سُمّيت عدنُ عدن إلا لأنّه لما بناها سمّاها على اسم ابنه عدن، وما اشتُقَّ عدن إلّا من عاد»(٢) وجاء في تاريخ الثغر «إن المَكْسِر: قنطرة بناها شداد بن عاد في عدن على سبع قواعد»(١).

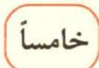
ويتبين من ذلك أن تأسيس عدن وفتح باب عدن البري في الجبل كان في

---

(١) تاريخ ثغر عدن ـ أبو مخرمة ـ ص١٥ وص٢٠.
(٢) تاريخ المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص١٠٨.

عهد الملك شداد بن شمس عاد، وسُمّيت عدن باسم عدن بن شداد بن عاد، أو باسم عدن بن عدنان بن عاد، ربما لأنه الذي أشرف على تأسيسها، كما تم في ذلك الزمن البناء الأقدم لقنطرة خورمكسر في عدن، وكان لعدن دور في النشاط التجاري مع دولة الفراعنة الذين كانوا ولا مصر، ويشمل ذلك الهكسوس الذين حكموا مصر إلى عام ١٥٧٥ ق.م. ثم الفراعنة الذين حكموا مصر حتى الألف الأول ق.م. فلما زالت دولته خرب ميناء عدن وسكن عدن صيادون، وكذلك كانت عدن حبساً لمن وجب عليه الحبس في تلك الأزمنة والعصور.

وقال الحسن الهمداني في الصفة: «عجائب اليمن التي ليس في بلد مثلها: منها باب عدن وهو شِصر مقطوع في جبل كان محيطاً بموضع عدن من الساحل فلم يكن لها طريق إلى البر إلا للرّاجل لمن ركب ظهر الجبل، فقُطع في الجبل باب مبلغ عرض الجبل حتى سلكه الدواب والجمال والمحامل والمِحفّات». [ص٣٤٤].



خامساً

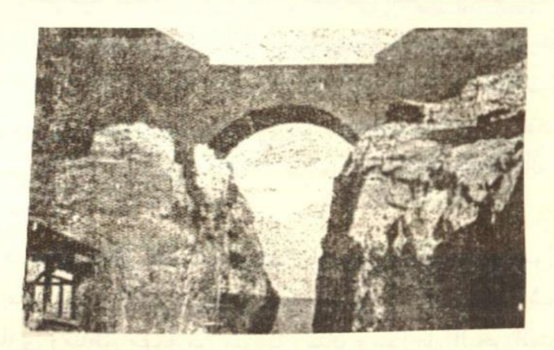
وفاة الملك شداد بن شمس عاد

قال الهمداني في الإكليل: «ثم مات شداد بن عاد بعد أن عمّر خمسمائة سنة فتُقبت له مغارة في جبل شمام وكان غير متوّج متواضعاً لله تعالى». [ص١٨٣/٨].

وقد وقع تصحيف من الناسخين في كلمة «بعد أن عمّر خمسمائة سنة» والصواب «بعد أن عمّر خمس ومائة سنة» - أي مائة سنة وخمس سنين - فقد كان شداد أميراً وقائداً كبيراً في عهد أبيه شمس عاد الذي حكم ٣٤ سنة ثم أصبح ملكاً وحكم (٤٠) سنة، فجملة ذلك (٧٤ سنة) فيمكن أن يكون مات وعمر مائة سنة وخمس سنين.

وأما جبل شمام فجاء في الهامش ما يلي: «لعل ذلك شبام» وهو الصواب وهو جبل شبام الغراس - بمحافظة صنعاء بين صنعاء ومأرب - وقد تم كشف إحدى مغارات (نواويس) جبل شبام الغراس حيث تم العثور على عدد من المومياءات اليمنية الموجودة حالياً في متحف صنعاء والتي يعود زمنها إلى الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد. وكانت وفاة شداد بن شمس عاد حوالي عا

١٧٤١ ق.م. في النصف الأول من الألف الثاني ق.م. وما يزال باب عدن الذي شقه في الجبل باقياً حتى اليوم.



باب مدينة عدن الذي تم شقه في عهد شداد بن عاد

المبحث الثالث

عهد لقمان بن شمس عاد.. صاحب النسور السبعة

هو - كما جاء في الإكليل - «لقمان بن عاد بن الملطاط بن سَكسَك بن وائل بن حمير بن سبأ بن عبد شمس صاحب السبعة الأنسر»[١] فليس لقمان بن عاد من قبيلة عاد الأولى كما جاء في بعض الروايات وإنما هو لقمان بن شمس عاد شقيق شداد بن شمس عاد بن الملطاط سين مبلاط. قال الهمداني: «وكان أخوه شداد في ملكه فلما مات شداد صار الأمر إليه»[١]. فقد كان لقمان بن شمس عاد ملكاً في عهد أخيه شداد خارج اليمن - في آشور وسوريا - فلما مات الملك شداد بن شمس عاد صار الأمر إلى لقمان فعاد إلى اليمن (عام ١٧٤١ ق.م.) وأصبح ملكاً للبلاد، وقد ذكر المسعودي: «أن لقمان بن عاد هو الذي قام ببناء سد مأرب في أرض سبأ»[٢]. ويتبين من البحث في تاريخ ذلك الزمن القديم ومن المصادر التاريخية العربية وما ذكره المؤرخون العرب الأوائل أن من أنباء لقمان بن عاد ومعالم عهده ما يلي:

(١) الإكليل - الحسن الهمداني - ص١٨٤ جـ٨.
(٢) مروج الذهب - المسعودي - ص١٨٠ جـ٢.

أولاً

ملوكية لقمان بن شمس عاد في آشور وسوريا

يتبين من البحث في دراسات تاريخ ونصوص بابل وآشور أن لقمان بن شمس عاد كان ملكاً على بلاد آشور وسوريا بالفعل، وقد ذكرته ترجمات النصوص الأمورية المعثور عليها في بابل وآشور بلفظ «أشمي ـ دكان بن شمس آدد» أو «يسمع ـ دكان بن شمس آدد» أو «دكمان بن شمس آدد» وأنه «حكم آشور وما جاورها من عام ١٧٨٠ ـ ١٧٤١ ق.م.)»[(١)].

وكان ذلك في إطار انبساط سيادة الأموريين على بلاد آشور والشام في عهد شمس عاد (شمس آدد) حيث ـ وكما ذكر د. طه باقر ـ «أن شمس آدد ضم إليه مملكة ماري ومناطق مهمة من سوريا ولبنان وسواحل البحر المتوسط، وكان له ابنان عيّن أحدهما المُسمى (يشمكداد) ملكاً على ماري، وعيّن الثاني المسمى (دكان) على آشور»[(١)] وهذا الاسم (دكان بن شمس آدد) أو (دكمان) هو في الأصل (لقمان بن شمس عاد) وهو (لقمان بن عاد) كما تواتر في ذاكرة الأجيال عبر الأزمنة والعصور، فالنطق الأصوب للاسم المرسوم بهيئة (دكان) أو (دكمان) بالمسمارية هو (لقمان). وكان أخوه يشمكداد ـ وهو شداد ـ ملكاً على ماري والشام فلما رجع شداد إلى اليمن وتولى الحكم بعد أبيه مكث لقمان ملكاً لآشور وهي بلاد الموصل ومنطقة الجزيرة الفراتية وكان حكمه يمتد إلى دمشق وغيرها من مناطق سوريا بصفته ملكاً للأموريين الذين يذكر د. طه باقر أن «منهم القبيلة المسماة (بنو ـ يمينا) التي كانت أشد القبائل الأمورية». وقال «بنويمينا، أي الجنوب»[(١)] ويدل ذلك على أنهم اليمنيون.

وفي فترة ملوكية لقمان بن شمس عاد في آشور وسوريا تم تمصير مدينة دمشق، وقد ذكر ابن خلدون: «إن بني عاد ملكوا دمشق»[(٢)] وقال: «وذكر المسعودي أن جيرون بن سعد بن عاد كان من ملوكهم وأنه الذي اختط مدينة دمشق ومَصَّرها.. وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أن جيرون ويزيد إخوان هما ابنا سعد بن لقمان بن عاد، وبهما عُرف باب جيرون ونهر يزيد»[(٢)] ويتبين من القولين أنه (جيرون بن سعد لقمان بن عاد) لأن لقمان كان اسمه (أشمي ـ

---

(١) الموجز في تاريخ حضارة الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٤٢٠ و٤٤٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص١٤ جـ١ وص١٩ جـ٢.

لقمان) أو (يسمع ـ لقمان) ويُقابل ذلك (سعد ـ لقمان) فجيرون هو نجل لقمان بن شمس عاد.

ويذكر هورست كلنغل «أن دكمان بن شمس آدد كتب باستمرار إلى حمورابي ملك بابل.. وتذكر إحدى الرسائل أن الملك دكمان كان مشغولاً في القتال مع شعب الجبال الترك ـ Turuckq»[(١)]. ويقول د. طه باقر: «يُستنتج من الوثائق (الرسائل) أن دكان (دكمان) كان شجاعاً قوي الشخصية ومدبراً». وقد انتهى حكمه لآشور وجهات سوريا عام ١٧٤١ ق.م.[(٢)].

ثانياً

عودة لقمان بن شمس

عاد إلى اليمن وصيرورته ملكاً للبلاد

إن دراسات النصوص الأمورية في بابل وآشور لا تذكر ولا تعرف سبب انتهاء حكم الملك لقمان بن شمس عاد (دكمان بن شمس آدد) لبلاد آشور وجهات سوريا عام ١٧٤١ ق.م.. ولكن المؤرخين العرب الأوائل يعرفون السبب حيث ذكر الهمداني وابن منبه: «أن لقمان بن عاد كان أخوه شداد في ملكه فلما مات شداد صار الأمر إليه». أي أنه عاد من الشام إلى اليمن وصار ملكاً للبلاد.

وقد دلت الوثائق على أنه «كان شجاعاً قوي الشخصية ومدبراً»[(٢)] وقال الهمداني: «أعطى اللّه تعالى لقمان بن عاد ما لم يعطه غيره من الناس في زمانه، أعطاه حاسة مائة رجل وكان طويلاً لا يقاربه أهل زمانه. قال وَهب: قال ابن عباس: كان لقمان بن عاد بن الملطاط نبياً غير مُرسل. قال أبو محمد: لقيتُ عامة من العلماء كانوا يزعمون أن لقمان وذا القرنين ودانيال أنبياء غير مرسلين، وعامة يقولون عباد صالحون. قال وهب: وكان لقمان يدعو قبل كل صلاة ويقول: اللهم أسألك عمراً فوق كل عمر، فنودي: قد أُجيبت دعوتك، فاختر إن شئت بقاء سبع بقرات، وإن شئت بقاء سبعة أنسر، كلما هلك نسر عقب بعده نسر، فاختار لقمان بقاء سبعة أنسر»[(٣)] وقال الطبري: «قال لقمان بن عاد: اللهم اعطني عمراً، فقيل له اختر لنفسك إلا أنه لا سبيل إلى الخلود، بقاء أبعارِ ضأن عُفر في

---

(١) حمورابي ملك بابل وعصره ـ هورست كلنغل ـ ص٤٢.

(٢) الموجز في تاريخ حضارة الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٤٢١.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٤ جـ٨.

جبل، أم سبعة أنسر إذا مضى نسر خلوتَ إلى نسر فاختار لقمان لنفسه النسور»[١].

ولعل أصل ذلك أن لقمان بن عاد كان يقتني سبعة أنسر، وكان شديد الاعتناء بها، وقد ذكر الهمداني أنه: «كان لقمان ونسوره مثلًا في العرب»[٢].

قال المسعودي: «وكان بمأرب من أرض اليمن وهي بلاد سبأ، العرم وهو السد، وكان فرسخاً في فرسخ، بناه لقمان بن عاد، وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عُمِّر منهم عمر النسور»[٣] ولا يتعارض ذلك مع ما سلف تبيينه من أن الملك سبأ عبد شمس هو الذي بَنَى سد مأرب العظيم الأقدم وأتمّه ابنه حمير بن سبأ عبد شمس وكان زمنهما في الفترة (ما بين ٢١٢٠ ـ ١٩٨٥ ق.م.) فيكون لقمان بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ عبد شمس قام أيضاً بالبناء والتجديد في سد مأرب في عهده في الفترة ما بين (١٧٤١ ـ ١٧٠٠ ق.م.) وقد أثبتت تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية وجود سد مأرب وبعض منشآته منذ عام ٢٠٠٠ ق.م. وأنه «الصرح العملاق الذي استمر في أداء وظيفته آلاف السنين».

ثالثاً

وفاة الملك لقمان بن عاد والنسر لُبد

وعاش لقمان بن شمس عاد مدة عمر نسوره السبعة وكان متعلقاً بها جداً، فماتت ستة نسور، وبقي النسر السابع واسمه لُبد. قال الهمداني: «فلما مات النسر السابع وهو لُبد جاء لقمان لينهض فاضطربت عروق ظهره وخرّ ميتاً.. وقال لبيد بن ربيعة الكلابي يضرب بذلك المثل في الجاهلية:

لما رأى لُبَدُ النسورَ تطايرت ... رفع القوادم كالفقير الأعزل
من تحته لقمان يرجو نهضة ... ولقد رأى لُقمان أن لا يأتلي

وقال النابغة الذبياني:

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لُبد»

قال الطبري: «فعمّر لقمان بن عاد فيما يزعمون عُمر سبعة أنسر يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته حتى إذا مات أخذ غيره فلم

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص١١٣ جـ١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨٤ جـ٨.
(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص١٨٠ جـ٢.

يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع، وكان كل نسر فيما زعموا يعيش ثمانين سنة، فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ للقمان: أي عمّ ما بقي من عمرك إلا عمر هذا النسر، فقال له لقمان: أي ابن أخي هذا لُبد. ولُبد بلسانهم الدهر. فلما أدرك نسر لقمان وانقضى عمره طارت النسور غداة من رأس الجبل ولم ينهض فيها لبد، وكانت نسور لقمان تلك لا تغيب عنه إنما هي تتعيّنه، فلما لم ير لقمان لُبداً نهض مع النسور، نهض إلى الجبل لينظر ما فعل لُبد، فوجد لقمان في نفسه وهناً لم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى إلى الجبل رأى نسره لُبداً واقعاً من بين النسور، فناداه: انهض لُبد، فذهب لبد لينهض فلم يستطع، عُريت قوادمه وقد سقطت فماتا جميعاً»[١].

وقد وقع الوهم في الظن بأن لقمان بن عاد عاش عمر سبعة أنسر، الواحد تلو الآخر، وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة، فيكون ذلك خمسمائة وستون سنة، وذلك لا يمكن، ولعل أصل ذلك أن النسور الستة عاشت فترة من الزمن وعاش بعدها النسر السابع لُبد فترة من الزمن ثم مات كما في الرواية السالفة، فلما رأى لقمان أن النسر السابع لبد مات، وَهَنَ لذلك، فحمله الذين معه إلى قصره حيث ما لبث أن مات، فوقع الوهم في عمر النسور السبعة وعمر لقمان، والذي يصح أنه عاش نحو مائة سنة وست سنين، فتصحف ذلك إلى خمسمائة وستين سنة. ولم يمت لقمان عند موت النسر في نفس المكان وإنما مات إما في نفس اليوم وإما بعد ذلك بأيام يسيرة، فقد ذكر الهمداني عن مصادره الأقدم أنه:

«لما دنا الموت من لقمان بن عاد قال: يا قوم دعوني من سنن الجبارين واسلكوا بي سبل الصالحين، احفروا لي ضريحاً وأوروني فيه تراباً وحصباً ولا تجعلوني للناظرين نصباً». [ص١٨٦/٨].

فلما مات لم يُحنطوه، وحفروا له قبراً ووراوه في التراب، قال الجاحظ: «وكانت العرب تُعظم شأن لقمان بن عاد في النباهة والقدر، وفي العلم والحكم، وفي اللسان والحلم.. قالت ابنة وثيمة ترثي أباها:

.. والدافِعَ الخِصْمِ الألد ... إذا تُفُوضِحَ في الخصُومة
بلسان لقمانَ بن عاد ... وفصل خطبته الحكيمة

وقال أبو الطَّمَحان القيني يذكر لقمان:

إن الزمان ولا تفنى عجائبُه ... فيه تُقطع ألافٍ وأقرانِ

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص١١٤ جـ١.

أمسَتْ بنو القَين أفراقاً موزَّعة كأنهم من بقايا حيٍّ لقمان»[١]

وقال الهمداني: (قال وهب: قال ابن عباس: كان لقمان بن عاد بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير نبياً غير مرسل» [ص١٨٤/٨] وكان لقمان بن عاد بعد النبي إبراهيم بأربعمائة سنة وتوفي حوالي سنة ١٧٠٠ ق.م..

المبحث الرابع

ما بعد لقمان بن شمس عاد إلى نهاية العصر الأقدم

لقد كان لقمان بن شمس عاد ثالث ثلاثة ملوك عظماء في العصر الأقدم الثالث لدولة سبأ الذي هو عصر عاد الثانية. وهم الملك شمس عاد بن الملطاط ثم الملك شداد بن شمس عاد ثم الملك لقمان بن شمس عاد، وكانت عهودهم من عام ١٧٩٢ ـ ١٧٠٠ ق.م.

قال ابن خلدون: «ثم مَلَك ـ بعد شداد ـ لقمان ورهطه من قوم عاد اتصل لهم المُلك فيما يقال ألف سنة أو يزيد»[٢] ولكن القرائن الزمنية تدل على أن المدة من بعد لقمان بن شمس عاد إلى انتهاء ذلك العصر الأقدم بقيام الحارث الرائش أول ملوك سبأ التبابعة ـ عام ١٤٧٠ ق.م. ـ هي نحو (٢٣٠) سنة وليست ألف سنة، وكان من ملوك تلك الفترة:

١ ـ مرثد بن شداد بن عاد:

قال الهمداني في الإكليل: «إنهم وجدوا أزجاً عظيماً تحت الأرض فنزلوا فيه فوجدوا سريراً من رخام مزخرف عليه رجل كأنه قطعة جبل لم يتغير من جسده شيء عليه هيئة الأحياء وعند رأسه لوح مكتوب فيه (أنا مرثد بن شداد)..»[٣] وفيه قال القائل:

دانت له الأمم الذين تعاقدوا من بعد شداد على الطغيان
أهل المشارق والمغارب إذ بغوا وتمكنوا بالكفر والعدوان

٢ ـ يعمر بن شداد:

قال ابن خلدون: «قال علي بن عبد العزيز الجرجاني: وكان من ملوك عاد يعمر بن شداد»[٣] وهو يعمر بن شداد بن شمس عاد.

---

(١) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص١٨٤ جـ١.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢٠ جـ٢.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٥١ جـ٨.

٣ ـ شمَّد بن شداد:

ثم ذكر ابن خلدون عن الجرجاني «شمّد بن شداد بن عاد»[١] وهو أيضاً نجل شداد بن شمس عاد. وكان من ملوك مصر الهكسوس في تلك الفترة الملك بخنان وحكم ٣٦ سنة من ١٧٠٠ ـ ١٦٦٤ ق.م.[٢].

٤ ـ حناد بن مياد معاصر الملك خيان:

هو ـ كما في تاريخ ابن خلدون ـ «حناد بن مياد بن شمّد بن شداد بن عاد» وهو الملك السابع من بني شمس عاد (أي عاد الثانية) ويبدو أن (حناد) هذا هو الملك (خيان) ما لم فإنه عاصر الملك (خيان ملك جميع البلدان) الذي تعتبره الدراسات من ملوك مصر الهكسوس، وقد أثار الملك خيان جدلًا واسعاً بين الدارسين حيث تم العثور في موقع كنوسوس بجزيرة كريت على خرطوش وإناء عليه اسم (خيان ملك جميع البلدان) وكذلك تم العثور على نص باسمه في فلسطين وفي بوغازكوي بالأناضول، وتم العثور في بابل على صدر أسد صغير عليه اسم الملك خيان. مما يعني أن الملوكية العليا للملك خيان كانت تشمل بلاد بابل والشام ومصر وجزيرة كريت وبوغازكوي ولم يكن ملكاً مباشراً لأي من تلك البلدان، وكان الملك الهكسوسي في مصر هو الملك ياناس (ستان) الذي حكم ٥٠ سنة (من حـ/ ١٦٦٤ ـ ١٦١٤ ق.م.) وهي نفس فترة حكم الملك خيان الذي قد يكون هو الملك حناد وكان عهده في الفترة ما بين ١٦٥٠ ـ ١٦٠٠ ق.م.

٥ ـ الملك معدي كرب بن شمّد بن شداد:

هو ـ كما في تاريخ ابن خلدون عن الجرجاني ـ «معدي كرب بن شمّد بن شداد بن عاد» وهو ثامن ملوك ذلك العصر ـ تقريباً ـ ويمكن افتراض أنه حكم في الفترة من ١٦٠٠ ـ ١٥٧٦ ق.م. وهي فترة شهدت أحداثاً جسيمة حيث:

ـ قامت مملكة الحثيين في بلاد الأناضول (تركيا) بغزو سوريا والقضاء على مملكة حَلَب الأمورية وسيطروا على أجزاء من سوريا ومدّوا نفوذهم إليها منذ عام ١٦٠٠ ق.م. كما امتد نفوذهم إلى آشور حيث قامت دولة آشورية حليفة للحثيين الذين هم من الجنس التركي.

ـ واجتاح غزاة من بلاد فارس مملكة بابل الأمورية التي كان حمورابي

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٥١ جـ٨.
(٢) مصر الفراعنة ـ آلن جاردنر ـ ص١٧٨.

أعظم ملوكها، وقضى أولئك الغزاة على مملكة بابل واحتلوا بلاد بابل ـ بدعم من الحثيين ـ عام ١٥٩٤ ق.م..

ـ وبدأ الضعف في مملكة الهكسوس في مصر، وكان قد تولى حكم مصر من الملوك الهكسوس الملك ياناس (ستان) ثم الملك أرخليس (إلى حوالي ١٦٠٨ ق.م.) ثم الملك أبوفيس الذي حكم ٣٣ سنة وهو آخر الملوك الهكسوس حيث انتهى حكم الهكسوس لمصر على يد الملك الفرعوني أحمس (عاحموزه) عام ١٥٧٥ ق.م.

٦ ـ الملك عبد أبهر بن معدي كرب:

هو ـ كما في تاريخ ابن خلدون عن الجرجاني ـ «عبد أبهر بن معدي كرب بن شمد بن شداد بن عاد» ويمكن اعتباره تاسع ملوك ذلك العصر وأنه حكم زهاء خمسين سنة إلى حوالي عام ١٥٢٦ ق.م.

٧ ـ الملك إِلي شَدد.. ونهاية العصر الأقدم لدولة سبأ وعاد الثانية:

قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك اليمن القدماء:

والمَـلْكُ بـعـدَهُـم إلـي شَـددٍ بـه   عَـصفَ الـزمـانُ كـعـاصف الأرياح

ثم قال إنه «إلي شدد بن الملطاط والد الحارث الرائش»(١) وكذلك قال الهمداني في الأنساب بالإكليل: «أولد الملطاط بن عمرو: إلي شدد بن الملطاط وقد يخففه بعض العرب فيقولون: إليشدَد مثل إليحمد، ويحذفون فيقولون يشدَد مثل يعمر. فأولد إلي شدد بن الملطاط: الحارث الرائش»(٢) بينما قال الهمداني أيضاً في الجزء الثامن أنه «الحارث الرائش بن عمرو الهُمال بن عاد ذي شداد بن عامر بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ»(٣) ويبدو من ذلك أن التباساً قد وقع بسبب وجود شخصين باسم الملطاط، وإن إلي شدد هو:

«إلي شدد/ بن الملطاط/ بن عمرو الهمال/ بن عامر يعمر/ بن شداد/ بن شمس عاد/ بن الملطاط/ بن السكسك/ بن وائل/ بن حمير الصوار/ بن سبأ عبد شمس/ بن وائل/ بن الغوث/ بن جيدان/ بن قَطَن/ بن عريب/ بن زهير/ بن أيمن/ بن الهميسع/ بن حمير الأكبر/ بن سبأ الأكبر بن يشجب».

ويبدو من قرائن تسلسل الملوك:

ـ أن الملك إلي شدد هذا كان عهده في الفترة ما بين عام ١٥٢٥ ـ ١٤٧٠

(١) قصيدة نشوان ـ ص٥٥.   (٢) الإكليل ـ الهمداني ـ ص٥٢ جـ١.

(٣) الإكليل ـ الهمداني ـ ص١٨٧ وص١٥٠ جـ٨.

ق.م. ولم يكن حكمه شاملاً لليمن وإنما انقسمت الدولة والبلاد إلى قسمين أحدهما بزعامة آل الصوار بن سبأ عبد شمس ومنهم كان الملك إلي شدد.

ـ بينما كان القسم الآخر من اليمن تحت حكم آل جُشم بن سبأ عبد شمس بن وائل، ومنهم كان الملك حسان. قال الهمداني: «وهو حسان بن عمرو بن قيس بن مُعاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قَطَن بن عَريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ»(١). وذكر الهمداني بسنده عن عباد بن سُهيل قال: «إن سيلاً بأرض اليمن خرق موضعاً فأبدى عن أزج عليه باب بلق فدخلنا وإذا بسرير من ذهب عليه رجل عليه اثنتا عشرة حلة منسوجَة بالذهب وعمامة منسوجة بالذهب، وبين يديه محجن من الذهب وعلى رأسه ياقوتة حمراء ولوح من الذهب مكتوب فيه (أنا حسان القيل..»(١) وهو حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس.

ـ وفي ذلك العهد (١٥٢٥ ـ ١٤٧٠ ق.م.) أرسلت حتشبسوت ملكة مصر الفرعونية بعثة تجارية كبيرة إلى اليمن (بلاد بونت/ الأرض المقدسة) وقد حكمت حتشبسوت مصر في الفترة (١٤٩٠ ـ ١٤٦٩ ق.م.) وكانت تلك البعثة في السنة التاسعة من حكمها، وقد سجلت رسوم معبد حتشبسوت في الدير البحري وقائع وصول بعثتها بالسفن إلى ساحلين ـ أو بلدين ـ في بلاد بونت، أحدهما على ساحل البحر الأحمر والآخر على ساحل ربما يكون ساحل حضرموت، وأن البعثة عادت بالبخور المقدس وأشجار (العنتبو) وأشياء ثمينة من الأبنوس والذهب والجلود إلى مصر.

ـ ويبدو أن وصول تلك البعثة إلى بلدين في بونت ـ جنوب الجزيرة العربية ـ يرتبط بانقسام اليمن في ذلك العهد إلى دولتين، فقد كان بنو جشم بن عبد شمس (الملك حسان) يحكمون النصف الشرقي من اليمن وخاصة بلاد حضرموت والشحر إلى ظفار عُمان، بينما كان الملك إلي شدد (سليل شمس عاد) يحكم النصف الغربي من اليمن إلى ساحل البحر الأحمر.

ـ في حوالي عام ١٤٧٠ ق.م. انتهى العصر الأقدم لدولة سبأ وعصر عاد الثانية بقيام الحارث الرائش وتوحيد البلاد بزعامته حيث بدأت بذلك عصور ملوك سبأ التبابعة وعصور تبابعة اليمن السبعين.

(١) الإكليل ـ الهمداني ـ ص١٨٧ وص١٥٠ جـ٨.

مدخل إلى ملوك اليمن
التبابعة السبعين في عصور سبأ وحمير

يُطلق المؤرخون الأوائل لقب (تُبّع) على سبعين ملكاً حكموا اليمن في عصور سبأ وحمير وهم الملوك التبابعة. قال النعمان بن بشير الأنصاري:

لنا مِن بني قحطَان سبعون تُبّعاً ... دانت لهم بالخرج منها الأعاجم

وقال الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: ٣٧] قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية «قوم تُبّع هم سبأ»(١) وقال القرطبي في التفسير الجامع لأحكام القرآن في تفسير قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ قال القرطبي: «إن الله سبحانه وتعالى إنما أراد واحداً من التبابعة ملوك اليمن، وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم أشدّ من معرفة غيره. ولذلك قال النبي ﷺ: «لا تسبوا تُبّعاً فإنه كان مؤمناً» فهذا يدل على أنه كان واحداً بعينه.. وهو أبو كرب أسعد الذي كسا البيت.. وقد أُختُلِف هل كان تُبّع نبياً أو ملكاً؟ فقال ابن عباس: كان تُبّع نبياً. وقال كعب: كان تُبّع ملكاً مؤمناً.. وقد افتخر أهل اليمن بهذه الآية إذ جعل اللّهُ قوم تُبّع خيراً من قريش»(٢).

معنى لقب تُبّع وتبابعة:

قال ابن خلدون: «قال السُهيلي: معنى تُبّع الملك المُتّبع. وقال صاحب المحكم: التبابعةُ ملوك اليمن واحدهم تُبّع، لأنهم يَتْبَعُ بعضهم بعضاً كلما هلك واحد قام آخر تابعاً له في سيرته، وزادوا الباء في التبابعة لإرادة النسب. وقال الزمخشري: قيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يُتبعون. قال المسعودي: ولم يكونوا يُسمّون الملك منهم تُبّعاً حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت، وقيل: حتى يتبعه بنو جشم بن عبد شمس، ومَنْ لم يكن له شيء من الأمرين فيُسمّى ملكاً ولا يُقال له تُبّع»(٣).

وقال الحسن بن أحمد الهمداني: «أما تُبّع فاشتُق من كثرة التَبع من حمير،

---

(١) تفسير القرآن ـ الحافظ ابن كثير.
(٢) التفسير الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص١٤٤ ـ ١٤٦.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٤٦.

وقال بعضهم: لم يكن ـ الملك ـ يُسمّى تُبّعاً حتى تتبعه بنو جشم بن عبد شمس. وقال آخرون: إذا تبعته حضرموت والصَّدِف والسُلف»[١] ويذكر د. محمد بافقيه أنه «جاء في لسان العرب أنه (قيل كان ملك اليمن لا يُسمّى تُبعاً حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير)»[٢] وقال نشوان الحميري: «تُبّع: واحد التابعة من ملوك حمير، وسُمّي تُبّعاً لكثرة أتباعه. وقيل سمّوا تبابعة لأن الآخر يتبع الأول منهم في المُلك، وهم سبعون تُبَّعاً. .»[٣] قال ابن خلدون: «وأول التابعة باتفاقٍ من المؤرخين الحارث الرائش»[٤].

ويتبين من ذلك ما يلي:

أ ـ أن «تُبّع» لم يكن اسماً أو لقباً لملك واحد وإنما كان لقباً لملوك اليمن التابعة منذ الحارث الرائش، واحدهم (تُبّع) فهو بذلك مثل لقب فرعون وفراعنة لملوك مصر القديمة، ولقب كسرى وأكاسرة لملوك الفُرس، ولقب قيصر وقياصرة لملوك الروم، فكذلك لقب تُبّع وتبابعة لملوك اليمن.

ب ـ لم يكن يُقال لملك اليمن تُبّع إلا إذا شمل حكمه كل أرض وشعب اليمن بما في ذلك مناطق حضرموت والشِحْر (وهي المهرة إلى مفاوز عمان) وكان يحكمها بنو جُشم بن عبد شمس قبل الحارث الرائش، فلم يكن الملك يُسمّى تُبّعاً إلا إذا اتّبعه بنو جشم بن عبد شمس وشمل حكمه مناطق حضرموت والشِّحْر والصَّدِف والسُلف وهي منتهى شرق اليمن، بحيث يشمل حكمه سبأ وحمير وحضرموت. وجوهر ذلك ـ كما ذكر أيضاً د. محمد بافقيه ـ «أن التبابعة هم أولئك الذين حققوا توحيد اليمن»[٥] والذين شمل حكمهم كل اليمن.

جـ ـ أن أول التبابعة هو باتفاق المؤرخين الأوائل الحارث الرائش فهو تُبّع الأول الأقدم، ويُقال للملوك الذين حكموا بعده تبابعة لأنه كلما مات واحد قام آخر تابعاً له في سيرته ويتبع بعضهم بعضاً، وذلك شريطة أن يكونوا مثله يشمل حكمهم كل اليمن، فإذا انقسمت السلطة وصار في اليمن أكثر من ملك واحد فلا يُقال للواحد منهم تُبعاً وإنّما «يُسمى ملكاً ولا يُقال له تُبّع» وذلك إلى أن يأتي ملك يجتمع له حكم كل اليمن فيُقال له (تُبّع) ويُقال للذين بعده تبابعة.

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٥ جـ٢.
(٢) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٢٩/٢.
(٣) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص٢١٤/١.
(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٤٦.
(٥) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص٤٢/٢.

عدد ومدة حكم الملوك التبابعة في عصور سبأ وحمير:

وقد تواتر عند العلماء المؤرخين اليمنيين الأوائل أن عدد ملوك اليمن التبابعة في عصور سبأ وحمير سبعون ملكاً تُبّعاً. وفي ذلك قال نشوان الحميري: «. .وهم سبعون تُبّعاً ملكوا جميع الأرض. . قال لبيد بن ربيعة الكلابي:

تبابعة سبعون من قبل تُبَّع … تولوا جميعاً أزهراً بعد أزهر

وقال النعمان بن بشير الأنصاري:

لنا من بني قحطان سبعون تُبّعاً … أطاعت لها بالخرج منها الأعاجم

وقال عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي الصنعاني:

نعدُّ تبابعاً سبعين منّا … إذا ما عدّ مكرمةً قبيلُ»[١]

وقال نشوان الحميري:

تَبَابعُ الأملاك من حِمْيَر … عدّتهم سبعون لا تَقْصُرُ
مِنْ ولد الرائش جمهورهم … مِن حمير الأصغر، ما حميرُ[٢]

وكان غالبيتهم (ملوك دولة سبأ) وإنما يُقال لهم (ملوك حمير) لأنهم من سلالة (حمير بن سبأ) ثم من سلالة (حمير الأصغر بن سبأ الأصغر) فكان الاسم الرسمي للدولة (سبأ) وكان غالبية ملوك سبأ التبابعة من بني حمير بن سبأ ثم من بني حمير ذي ريدان وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر، أما الدولة فهي سبأ. ولذلك قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ قال ابن كثير: «قوم تُبّع هُم سبأ» وقال في تفسير وتبيين الآية القرآنية ﴿. . وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٢، ٢٣]. قال ابن كثير إن الآية « . .تذكر ما كان عليه ملوك سبأ التبابعة المتوجين في بلاد اليمن من المملكة العظيمة، وكان المُلك قد آل في ذلك الزمان إلى امرأة منهم، ابنة ملكهم فملكوها عليهم وهي بلقيس بنت إل يشرح. .»[٣] فالملكة بلقيس التي عاصرت النبي سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد هي «من ملوك سبأ التبابعة» وهي في ذات الوقت من ملوك حمير لأنها من بني حمير ذي ريدان بن سبأ الأصغر. قال نشوان: «بلقيس ملكة سبأ ابنة الهدهاد بن شرح بن شُرحبيل بن ذي

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص٢١٤ جـ١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١١١ جـ٢.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٢١ جـ٢.

سَحَر، من ملوك حمير، وهي التي قصّ الله خبرها مع سليمان بن داود عليه السلام في سورة النمل، فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[١].

وقد ذكر الحسن الهمداني مشاهير الملوك التبابعة منذ الحارث الرائش إلى سيف بن ذي يزن وقال: «ثم مَلَكَ سيف بن ذي يزن عشرين سنة ثم أخوه شرحبيل ثلاث سنين، فيكون جميع ما ملكوا ألفي سنة وإحدى وثمانين سنة سوى ما ملكوا قبل الرائش وهذا رسمها ٢٠٨١ سنة»[٢].

وبما أن سيف بن ذي يزن تولى حكم كل اليمن «السنتين من مولد النبي محمد ﷺ»[٣] وذلك عام ٥٧٢م وحكم إلى عام ٥٩٠م ثم حكم أخوه شرحبيل وابنه معدي كرب إلى عام ٥٩٣م. يتبين مما ذكره الهمداني أن بداية عهد الحارث الرائش أول الملوك التبابعة عام ١٤٨٨ ق.م. بحيث تكون المدة التي ذكرها الهمداني (من ١٤٨٨ ق.م. - ٥٩٣م) وذلك (٢٠٨١ سنة).

ونتنهي من ذلك إلى:

أ - أن عدد ملوك اليمن التبابعة في عصور سبأ وحمير هو سبعون ملكاً تُبّعاً.

ب - أن عصور الملوك التبابعة كانت من عام ١٤٨٨ قبل الميلاد إلى عام ٥٩٣ ميلادية.

تحديد وترتيب الملوك التبابعة وعصورهم:

ولكن تحديد وترتيب الملوك التبابعة وزمنهم بالتفصيل قد أعيا المؤرخين العرب الأوائل بحيث قال ابن خلدون: «كان هؤلاء التبابعة ملوكاً عدة في عصور متعاقبة وأحقاب متطاولة، لم يضبطهم الحصر ولا تقيدت منهم الشوارد، وربما كانوا يتجاوزون مُلك اليمن إلى ما بعد عنهم من العراق والهند والمغرب تارة ويقتصرون على يمنهم تارة أخرى، واتفقت أسماء كثير من ملوكهم، ووقع اللبس في نقل أيامهم ودولهم»[٤].

وقد توصلنا خلال سنوات طويلة من البحث في دراسات النقوش المعثور عليها في اليَمن إلى وجود نقوش وآثار بأسماء ومن عهود (٥٧) سبعة وخمسين

(١) شمس العلوم - نشوان الحميري - ص١٨٥ جـ١.
(٢) شرح الدامغة - الحسن الهمداني - ص٥٤١.
(٣) البداية والنهاية - ابن كثير - ص٣٢٩ جـ٢.
(٤) تاريخ ابن خلدون - ص٤٩ جـ٢.

ملكاً من ملوك اليمن التبابعة السبعين بحيث تنقصنا نقوش عهود (١٣) ملكاً فقط من الملوك التبابعة، وبوجود نقوش وآثار الغالبية العظمى من الملوك التبابعة والاستعانة بما ذكره المؤرخون العرب الأوائل لسد الثغرات والنقص في النقوش وكذلك الاستعانة بالقرائن الأثرية المعثور عليها خارج اليمن، فقد تكاملت الدلائل والشواهد على تاريخ وعهود تبابعة اليمن السبعين وتحديدهم وترتيبهم في سبعة عصور هي:

أولاً

العصر الأقدم والأول لملوك سبأ التبابعة

(١٤٧٠ - ١١٠٠ ق.م.)

لقد بدأت عصور التبابعة بتمليك الحارث الرائش بن إلي شدد الذي قال ابن خلدون: «أول الملوك التبابعة باتفاق من المؤرخين الحارث الرائش». وقد حدد الهمداني زمنه بما يوافق حوالي عام ١٤٨٨ ق.م. وتدل القرائن على أن توحيد البلاد بزعامته كان عام ١٤٧٠ ق.م. وحكم بعد ذلك ٣٨ سنة، ثم تعاقب بعده على الحكم عشرة ملوك ذكرهم المؤرخون العرب الأوائل وتبين لنا من البحث في النقوش المعثور عليها في بابل وآشور ومصر وجود نصوص عنهم وعن العلاقات معهم، سيأتي ذكرها بالتفصيل، وإن ترتيب ملوك ذلك العصر هو كما يلي:

١ - الحارث الرائش الأول وقد حكم ٣٨ سنة وهو أول الملوك التبابعة.

٢ - شمّر الرائد الأكبر وقد حكم ١٤ سنة، وهو مؤسس مدينة ظفار.

٣ - الصعب ذو القرنين وقد حكم ٦٨ سنة، وهو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم.

٤ - تُبّع صيفي بن شمّر وقد حكم ١٠ سنين.

٥ - حمير الأصغر بن سبأ الأصغر وهو (حمير ذو ريدان) وقد حكم ١٩ سنة، ومن سلالته كان أغلب الملوك التبابعة.

٦ - صيفي بن حمير ذي ريدان وقد حكم ٥١ سنة.

٧ - قيس بن صيفي بن حمير ذي ريدان بن سبأ الأصغر وقد حكم ٥٠ سنة، وفيه قال نشوان:

يـا أيُّـهـا الـسـائـل عـن تُـبّـع ... وتُـبّـعُ كـالـشـمـس بـل أشـهـرُ

قَيس ابن صيفيّ أبو تُبّعٍ — وجدّه حِمْير الأصغرُ

٨ ـ تُبّع الرائش الثاني باران ذو رياش بن قيس بن صيفي بن حِمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر، وكان أعظم الملوك في التاريخ، وقد خلط البعض بينه وبين الحارث الرائش الأول، وقد تبين لنا وجود نصوص باسم ومن عهد الرائش باران ذي رياش في مصر وبابل وآشور حيث ذكرته الترجمات باسم (برنا ـ بورياش) وقد حكم ٤٠ سنة (من ١٢٢٠ ـ ١١٨٠ ق.م.) وقد ذكر الهمداني أنه «كان الرائش في عصر النبي موسى عليه السلام»[١] وهو تحديد صحيح فقد دلت الدراسات على أنه «كان خروج موسى بقومه من مصر في آخر عهد الملك الفرعون رعمسيس الثاني ـ عام ١٢٢٤ ق.م. ـ»[٢] وقد مكث موسى وقومه في برية سيناء أربعين سنة، وفي ذلك الزمن كان عهد الرائش باران ذي رياش، وقام بتأسيس ونشر المستوطنات التجارية لدولة سبأ في بلاد الرافدين ومشارقها إلى الهند وفي الشام وآسيا الصغرى ومصر، وفيه قال امرؤ القيس الكندي:

ألم يحزنك أن الدهر غولُ — ختول العهد يلتهم الرجالا
أزال من المصانع ذا رياشٍ — وقد مَلَك الحزونة والرمالا
هُمامُ طحطح الآفاق دحياً — وألقى في مشارقها الرعالا

وقد اتخذ ملوك سبأ التبابعة فيما بعد من أول أعوام عهد الرائش باران ذي رياش بداية للتقويم السبئي المؤرخة به نقوش العديد من ملوك سبأ التبابعة، كما أن معبد باران المشهور باسم عرش بلقيس في مأرب سُمّي باسم باران ذي رياش، وقد أثبتت تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية وجود معبد باران منذ القرن الحادي عشر ق.م.[٣].

٩ ـ ذو المنار بن الرائش باران ذي رياش، وكان من عظماء التبابعة. قال ابن خلدون: «ثم مَلَكَ ذو المنار بن الرائش، وسُمّي ذا المنار لأنه رفع المنار ليُهتدى به». وقد حكم ٣٨ سنة، وقام بعمليات حربية لنشر وتأسيس المستوطنات التجارية السبئية والفينيقية في البحر الأبيض المتوسط وبلاد الغرب. وفيه قال نشوان:

أو ذو المنار بَنَى المنَارَ إذا غزا — ليدُلّه في رَجْعةٍ ومَراحِ
ألقىٰ بمُنْقَطِع العمارة بَرْكَهُ — في الغرب يدعو لاتَ حين براحِ

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢١٩ جـ٨.
(٢) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ د. محمد أبو المحسن عصفور ـ ص٣١٧.
(٣) أوراق المؤتمر الدولي للآثار والحضارة اليمنية ـ صنعاء ـ مارس ١٩٩٨م.

وقد تم العثور على جعران أثري باسمه في مأرب مع قطعة أثرية عليها رسم الصقر وقرص الشمس.

١٠ ـ إل عبد ذو الأذعار بن ذي منار. وكان من عظماء التبابعة، وقد حكم ٢٦ سنة. قال المسعودي: «سُمّي بذي الأذعار لكثرة ذعر الناس من جوره». والأصوب «لكثرة ذعر الناس من جنوده» وقد جاء في وثيقة من عهده: «إن الأرض كلها ترتعد عند رؤية جنود الملك سيدي».

١١ ـ إفريقيس بن ذي المنار بن الرائش، وقد حكم ١٤ سنة (من ١١١٤ ـ ١١٠٠ ق.م.) وهو الذي ساق قبيلة أمازيغ بن كنعان وقبائل حميرية سبئية من اليمن والشام وأسكنهم في شمال إفريقيا والمغرب. وفيه قال نشوان:

وأخوه إفريقيس وارثُ مُلكه، — حَتْفُ العدوّ، وجابر الممتاح
مَلِكٌ بَنَىٰ في الغرب إفريقيةً — نُسِبَتْ إليه بأوضح الإيضاح
وأحلّ فيها قومه فتملكوا — ما حولها من بلدة ونواحي

وقد أوطن الملك إفريقيس قبيلة إمازيغ بن كنعان ـ وهم البربر ـ وقبائل حميرية سبئية كمستوطنات تجارية في بلاد المغرب (شمال إفريقيا) إلى جزر الكناري المقابلة للساحل المغربي في المحيط الأطلسي حيث تم العثور في جزر الكناري على مومياءات تدل على أنهم جاءوا من اليمن، إذ أنه تم العثور في ناووس جبل الغراس باليمن على مومياءات يمنية سبئية تم فحص عينات منها في المختبر الفيزيائي بهولندا لتحديد زمنها بأشعة الكربون ١٤ واتضح أن زمن المومياء الثانية هو من ١٢٦٥ ـ ٩٨٠ ق.م. وقال مدير المختبر الفيزيائي الهولندي: «إن مما يثير الاهتمام تشابه طريقة التحنيط في المومياءات اليمنية ومومياءات جزر الكناري. فمومياءات الكناري موضوعة في شبه حقائب جلدية كما هو الحال في المومياءات اليمنية. وكذلك تتميز المومياءات اليمنية ومومياءات الكناري بأن الفراغ البطني محشو بأعشاب ذات رائحة طيبة وقادرة على امتصاص السوائل ـ وهي أعشاب نبات الراء ـ وكل هذا يدل على أن فن التحنيط اليمني هو الذي أُتّبع في جزر الكناري.. لقد كان الدارسون يعتقدون أن سكان جزر الكناري من قبيلة مشتى عربي البربرية بالجزائر، والآن يتبين أنهم ربما كانوا بالفعل وفدوا إلى جزر الكناري من الجزائر ولكنها كانت بالنسبة لهم مجرد محطة انتقالية لرحلتهم التي بدأت من اليمن»[١] فتلك المومياءات شاهد لا

(١) المومياءات اليمنية ـ أ. علي طاهر ـ جريدة الاتحاد ـ أبو ظبي ـ ٢٣ نوفمبر ١٩٨٨م.

تخطىء دلالته على القبائل التي أوطنها الملك إفريقيس بن ذي المنار ببلاد المغرب العربي إلى جزر الكناري كمستوطنات تجارية فامتلكوا ما حولها من بلدة ونواحي، وكان إفريقيس آخر ملوك ذلك العصر الأول لملوك سبأ التبابعة.

ثانياً

عصر لقب

(ملك سبأ وذي ريدان)

من ١٢٠ ـ ٣٨٥ للتقويم السبئي (١١٠٠ ـ ٨٣٥ ق.م.)

لقد تتابع على عرش سبأ بعد الملك إفريقيس ٣٤ ملكاً تم العثور على نقوش بأسمائهم ومن عهودهم أغلبها من معبد أوام المشهور بمحرم بلقيس ومعبد باران المشهور بعرش بلقيس في مأرب عاصمة دولة سبأ، ويحمل أغلبهم في النقوش لقب (ملك سبأ وذي ريدان) وبعضهم لقب (ملك سبأ) لذلك يُسمّى ذلك العصر في الدراسات والمجموعات النقوشية (عصر لقب ملك سبأ وذي ريدان).

وقد بذل المستشرقون والأكاديميون جهوداً طيبة في تحقيق ونشر وترتيب أغلب نقوش ملوك ذلك العصر، ولكنهم افترضوا أن زمن أولئك الملوك كان من القرن الثاني ق.م. إلى القرن الثالث الميلادي، استناداً إلى الظن والاعتقاد بأن زمن محرم بلقيس ومعبد باران المشهور بعرش بلقيس لا يعود إلى ما قبل القرن الخامس ق.م. وقد تم العثور على معظم النقوش في محرم بلقيس ومعبد باران، واستناداً إلى الظن بأن التقويم المؤرخة به نقوش العديد من ملوك سبأ التبابعة هو التقويم الحميري الذي يوافق العام الأول فيه عام ١١٥ ق.م. ولكن التنقيبات التي قامت بها البعثة الأثرية الألمانية في معبد باران ومحرم بلقيس أثبتت خطأ ذلك التحديد الاستشراقي الأكاديمي لزمن معبد باران ومحرم بلقيس بحيث قال د. يوسف محمد عبد الله: «كنا نؤرخ لمعبد بران المشهور بعرش بلقيس بفترة لا ترجع إلى ما قبل النصف الثاني من الألف الأول ق.م. ولكن هذه المكتشفات تضعنا أمام فترة أقدم بكثير تعود إلى مطلع القرن العاشر ق.م.»[١] ثم أثبتت وأعلنت البعثة الألمانية أن الأجزاء القديمة في معبد بران (عرش بلقيس) تعود إلى القرن الحادي عشر ق.م.[٢] وبذلك فقد ثبت وجود معبد باران ـ أ

(١) مكتشفات أثرية جديدة ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ مجلة الوطن ـ عدد يونيو ١٩٨٨م.
(٢) أوراق المؤتمر الدولي للآثار والحضارة اليمنية ـ صنعاء ـ مارس ١٩٩٨م.

معبد بران ـ وكذلك معبد أوام (محرم بلقيس) منذ القرن الحادي عشر وفي القرن العاشر إلى القرن السادس ق.م. وذلك يؤكد ما أثبتناه بالتفصيل والدلائل في هذا الكتاب بأن ذلك هو الزمن الصحيح لملوك سبأ التبابعة المعثور على معظم نقوش عصورهم في معبد باران ومحرم بلقيس وأن نقوشهم مؤرخة بالتقويم السبئي الذي يبدأ بأول أعوام عهد الرائش باران ذو رياش (١٢٢٠ ق.م.) ومنهم ملوك عصر لقب (ملك سبأ وذي ريدان) الذين تتألق أسماؤهم في النقوش والآثار والمصادر التاريخية، وينقسم ذلك العصر إلى عصرين:

أ ـ العصر الثاني لملوك سبأ التبابعة (من ١٢٠ ـ ٣١٠ للتقويم السبئي/ ١١٠٠ ـ ٩١٠ ق.م):

وقد تتابع فيه على الحكم ١٤ ملكاً، وهم:

١ ـ (ذمر علي وتار يُهنعم ملك سبأ وذي ريدان بن سمهعال): وهو صاحب أول نقش من محرم بلقيس بكتاب في تاريخ اليمن[١] وقد ذكره الهمداني بلقب (الرائد بن الهمال) وقال: «وهو صاحب مقدمة الملك إفريقيس وقائد بعوثه وكان مع ذلك يتولى أعمال تهامة والحجاز واليمامة والبحرين»[٢] وكذلك ذكره ابن خلدون باسم (علي بن الهمال)[٢] وقد تم تمليكه بعد إفريقيس، ومؤدى ذلك أنه كان في أوائل القرن الحادي عشر ق.م.

٢ ـ (ذمر علي بين ملك سبأ وذي ريدان): وهو الملك الثاني في ترتيب «كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان»[٣].

٣ و٤ ـ (كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ وذي ريدان وابنه هلك أمر): تم العثور على نقش من عهدهما يسجل أن الملك (هلك أمر) اختط مدينة صنعاء، وهو النقش رقم (C.I.H. 542).

٥ ـ (عمدان يهقبض ملك سبأ وذي ريدان): وهو نجل (إفريقيس بن ذي منار بن الرائش) وقد جاء في (كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان) أنه «أول ملك من بني ذي ريدان» في هذا العصر[٤] وقد تم العثور على قطعة نقدية سبئية مسكوكة باسمه وفي عهد «عمدان يهقبض» ـ بأواسط القرن الحادي عشر ق.م. ـ وهي أقدم النقود المسكوكة في التاريخ.

(١) في تاريخ اليمن ـ نقوش الكهالي ـ النقش رقم ١ ـ ص٥.
(٢) الإكليل ـ الهمداني ـ ص١٠٩ جـ٢ ـ وتاريخ ابن خلدون ـ ص٥٣ جـ٢.
(٣) في العربية السعيدة ـ كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان ـ د. محمد بافقيه ـ ص٢/١٢.
(٤) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص٢/١٢.

٦ ـ (شمّر يُهنعم ملك سبأ وذي ريدان): وترتيبه بعد (عمدان يهقبض) في كرونولوجيا الملوك[١] وقد تم العثور على قطعة نقدية من عهده أيضاً. وهو في الإكليل «شمّر بن إفريقيس بن ذي منار بن الرائش»[٢] وقام بقيادة وتوجيه غزوات خارجية إلى الحبشة والساحل الإفريقي. وتدل الدراسات الآثارية في تاريخ الحبشة على أنه ـ كما ذكر ريتشارد جرينفلد وممتاز العارف ـ «في حوالي عام ١٠٠٠ ق.م. قامت أعداد غير قليلة من قبائل جنوب الجزيرة العربية بغزو جماعي للأجزاء الشمالية من الحبشة ثم جاءت بعض تلك القبائل عبر مضيق باب المندب إلى هضبة هرر في القسم الشرقي من الحبشة.. وبذلك الغزو والاستيطان السبئي بدأت حضارة أكسوم ذات المنشأ السبئي العريق»[٣]. وكان ذلك منذ عهد شمّر يهنعم بن عمدان بن إفريقيس بن ذي منار بن الرائش.

٧ ـ (ذمر علي ذرح ملك سبأ وذي ريدان): وهو من جيل (عمدان يهقبض) في (كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان)[١] ويوجد من عهده نقش في مأرب، في معسكر سلاح المهندسين حالياً بمأرب.

٨ ـ (كرب إل بين ملك سبأ وذي ريدان بن ذمر علي ذرح): تم العثور على نقش باسمه في معبد باران بمأرب وثلاثة نقوش في محرم بلقيس[٤] وتدل نقوشه على أن قصر سلحين بمأرب كان موجوداً وكان القصر الملكي في ذلك العصر وفي عهده ما بين ٢٢٨ ـ ٢٣٥ للتقويم السبئي (٩٩٢ ـ ٩٨٥ ق.م.).

٩ ـ (يهاقم ملك سبأ وذي ريدان بن ذمر علي ذرح): تم العثور على نقش باسمه وهو النقش رقم ٦٤٤ جام بكتاب (نقوش سبئية من محرم بلقيس/ ألبرت جام).

١٠ ـ (نشاكرب يهامن ملك سبأ/ بن ذمر علي ذرح): تم العثور على ١٤ نقشاً باسمه في معبد أوام (محرم بلقيس) ونقش في صرواح. وتدل النقوش على أن عبادة الشمس بلفظ (شمس) بدأت في عهده[٥] وذلك ما بين عام ٢٤٠ ـ ٢٥٠

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٢/٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١١١ جـ٢.
(٣) الأحباش بين مأرب وأكسوم ـ ممتاز العارف ـ ص١١ ـ وأثيوبيا ـ ريتشارد جرينفلد ـ ص١٧.
(٤) النقش رقم ٤٩ شرف ـ والنقوش ٦٤٢ ـ ٦٤٣ جام ـ نقوش سبئية من محرم بلقيس.
(٥) في تاريخ اليمن ـ النقش رقم ٢ ـ تحقيق مطهر الأرياني ـ ص٨.

للتقويم السبئي (٩٨٠ ـ ٩٧٠ ق.م.) قبل عهد بلقيس بنحو أربعين سنة.

١١ ـ (رِب شمس نمرن ملك سبأ وذي ريدان): تم العثور على نقش من عهده في معبد أوام (محرم بلقيس) وهو النقش رقم (٦٤٥ جام). وقد حكم في الفترة (٢٥٠ ـ ٢٦٥ للتقويم السبئي) وبما أن الزمن الصحيح الموافق لذلك هو (٩٧٠ ـ ٩٥٥ ق.م.) فإن (رب شمس) هذا هو (عبد شمس ذو نمر) في الإكليل، وقد ذكره ابن خلدون باسم زهير عبد شمس، وقال «مَلَكَ زهير عبد شمس، وكان مجرماً.. فخلعوه، ومَلّكوا الهدهاد بن شرحبيل، ومَلَكَ بعده الهدهاد بن شرحبيل ـ والد بلقيس ـ»[١] واسم ذلك الملك (رب شمس) بمعنى «ربيب الإلّهة الشمس». ويؤكد الاسم أن عبادة الشمس كانت عبادة رئيسية في ذلك العهد.

١٢ ـ (إل شرح الهداد بن شرحبيل بن ذي سَحَر): تم تمليكه بعد الملك (رب شمس) حيث كما قال ابن خلدون: «ثم مَلَكَ الهدهاد بن شرحبيل وهو ذو الشرح، ستاً أو عشراً، وملكت بعده ابنته بلقيس»[١]. وقال الهمداني: «ثم مَلَكَ الهدهاد وهو إليشرح بن شرحبيل، ثم ملكت ابنته بلقيس في عصر سليمان»[٢] وقال نشوان: «هو الملك الهدهاد بن شرحبيل بن بريل ذي سَحَر بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر. وهو أبو بلقيس التي ذكرها اللّه تعالى في القرآن الكريم»[٣]. وقال الهمداني في نسب آل ذي سَحَر بالإكليل: «..أولد شرح بن بريل ذي سَحَر: الهدهاد بن شرح، ويُقال: هداد بن شرح. فأولد الهداد بن شرح: بلقيس وشمساً»[٤].

واسم (بريل ذي سحر) هو (برل) وقد تم العثور على عدة نقوش باسم آل ذي سَحَر، منها (النقش رقم ١٠ من محرم بلقيس) باسم (برل أرسل بن ذي سَحَر)[٥] وقد حكم إل شرح الهداد بن شرحبيل بن بريل ذي سحر «ستاً أو عشراً» وذلك م بين ٢٦٤ ـ ٢٧٣ للتقويم السبئي (= ٩٥٦ ـ ٩٤٧ ق.م.) بأواسط القرن العاش ق.م. قال الهمداني وابن خلدون «ثم ملكت ابنته بلقيس في عصر سليمان».

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٥٦ جـ٢.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٣٩.
(٣) قصيدة نشوان الحميري ـ ص٧٤.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣١٧ جـ٢.
(٥) في تاريخ اليمن ـ النقش رقم ١٠ كهالي ـ ص١٢٤.

١٣ ـ (بلقيس ملكة سبأ التي عاصرت النبي سليمان): وهي ملكة سبأ التي ذكر الله تعالى خبرها مع النبي سليمان في سورة النمل بالقرآن الكريم، وكذلك جاء ذكر زيارتها لسليمان في التوراة التي تستهل ذلك بالنص التالي: «وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل، فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً»[1]. وقال نشوان الحميري في قصيدته عن تاريخ الملوك التبابعة:

أَمْ أينَ بِلْقيسُ المعظَّمُ عرشُها ... أو صرحها العالي على الأصراح
زارتْ سُليمانَ النبيّ (بموكبٍ) ... من مأرب ديناً بلا استنكاح
في ألفِ ألفِ مُدجَّجٍ من قومها ... لم تأتِ في إبلٍ إليه طِلاحِ

ونشير هنا إلى ما يلي:

أ ـ إن بلقيس ملكة سبأ كانت ملكة اليمن ـ جنوب الجزيرة العربية ـ وكان حكمها يشمل أيضاً الحبشة التي كانت تحت الحكم السبئي منذ عام ١٠٠٠ ق.م. ويذكر العالم الألماني أ. فورك (A. Forcke) في دراسته (موونغ وملكة سبأ) أن نصوص الملك الصيني مو ـ تشو (Muvon-Chou) بالقرن العاشر ق.م. تذكر «ملكة جنوب الجزيرة العربية التي تحكم بلاد العربية السعيدة وإقليم الحبشة (كولو).. وأنها ملكة سبأ وهضبة الحبشة». وقال فورك: «وهي الملكة العظيمة الشهرة بلقيس ملكة سبأ التي عاصرت سليمان»[2] وقال فورك: «..ولم تكن ملكة سبأ تحكم أراضي قومها السبئيين وهي بلاد العربية السعيدة فحسب وإنما كانت أيضاً تحكم مرتفعات كولو في الحبشة، فقد تمكن السبئيون وأقرباؤهم الحميريون منذ أقدم العصور من مدّ سلطتهم على الساحل الإفريقي واستعمروا الحبشة، وحيث أن ملكة سبأ حكمت الحبشة أيضاً.. فكانت ملكة جنوب الجزيرة العربية ومرتفعات الحبشة»[2].

ب ـ وقد عثرت بعثة دراسة الإنسان الأميركية التي قامت بالتنقيب في محرم بلقيس وموقع تمنع ـ عام ١٩٥٢م ـ برئاسة ويندل فيلبس على نقش باسم بلقيس، حيث قال ويندل فيلبس عن ذلك ما يلي: «..عثرنا على العديد من النقوش، وقد أثار أحد هذه النقوش اهتمامنا بشكل ملحوظ لأنه يتضمن اسم

(١) التوراة ـ سفر الملوك الأول ـ ص٥٥١.
(٢) بلقيس امرأة الألغاز ـ زياد منى ـ ص٢٧٩ ـ عن (موونغ وملكة سبأ ـ أ. فورك ـ برلين ـ ١٩١٤م.

بلقيس وهو الإسم التقليدي لملكة سبأ. غير أن آمالنا مضافاً إليها الإغراء العالمي الذي تبعثه في النفس تلك الملكة الزائرة للملك سليمان قد حملتنا إلى عدة قرون أبعد مما كانت حفرياتنا أوصلتنا إليه»[1]. فقد ظنت تلك البعثة الأميركية أن موقع العثور على نقش بلقيس يعود إلى ما بعد زمن بلقيس وسليمان بعدة قرون، وكذلك كان الاعتقاد الشائع أن معبد أوام المشهور بمحرم بلقيس ومعبد بران المشهور بعرش بلقيس لا يعود إلى ما قبل القرن الخامس ق.م. ولكن التنقيبات أثبتت خطأ ذلك الاعتقاد وأن معبد بران ومحرم بلقيس كانا موجودَيْن في القرن العاشر ق.م. وذلك هو أيضاً الزمن الصحيح للنقوش التي تعود إلى ذلك القرن ومنها النقش الذي يتضمن إسم بلقيس.

جـ ـ وقد حكمت بلقيس في أواسط القرن العاشر ق.م. الذي فيه أيضاً حكم سليمان بفلسطين، وقد حددت الدراسات ومنها دراسة (موسكاتي) زمن سليمان بالفترة من ٩٦١ ـ ٩٢٢ قبل الميلاد[2] أو بالفترة (٩٦٥ ـ ٩٢٥ ق.م.) وكان عهد الملكة بلقيس ٢٤ سنة من عام ٩٤٦ ـ ٩٢٤ ق.م. ـ في القرن العاشر ق.م. ـ وقد استوفينا النبأ اليقين عن وثائق وآثار وأنباء عهدها في المبحث الخاص بعهد بلقيس ملكة سبأ في هذا الكتاب.

١٤ ـ ثم حكم بعد بلقيس الملك (ياسر يُهصدق ملك سبأ وذي ريدان). وقد ذكر سائر علماء المؤرخين العرب الأوائل أن الملك ياسر حكم بعد بلقيس ملكة سبأ التي عاصرت النبي سليمان. فقال ابن خلدون «إن مُلك اليمن صار بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو الذي يُقال له ياسر أنعم». [ص٥٧/ ٢] وقال نشوان: «هذا الملك ياسر بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن إلعبد ذي الاذعار بن ذي منار بن الرائش، وهو الذي أوصى الملك الهدهاد بالملك إليه في حياة بلقيس وبعدها» [ص ٨٩] وقد وقع التباس عند المؤرخين العرب بين (ياسر الذي حكم بعد بلقيس) وبين (ياسر يُنعم) بسبب واحدية الاسم (ياسر) وبسبب تشابه أنباء عهدهما وكذلك تقارب عهدهما.

وتتيح النقوش إزالة الالتباس حيث يتبين من النقوش وكرونولوجيا الملوك أن أولهما «ياسر يهصدق ملك سبأ وذي ريدان» وقد تم العثور على ثلاثة نقوش

(١) كنوز مدينة بلقيس ـ قصة اكتشاف مدينة سبأ الأثرية في اليمن ـ ويندل فيلبس ـ ص١٠٥.
(٢) الشيطان والعرش ـ فاضل الربيعي ـ ص٢٥.

من عهده وجاء فيها اسمه ولقبه بصيغة «ياسر يهصدق ملك سبأ وذي ريدان» وهي: النقش رقم ١٤ كهالي من محرم بلقيس، والنقش (رقم C.I.H ٤١) من موقع ضاف، والنقش رقم (٧٧/ إرياني) من موقع القمر. وقد حكم (ياسر يهصدق) في الفترة ما بين عام ٢٩٧ و ٣١٠ للتقويم السبئي (= ٩٢٣ ـ ٩١٠ ق.م.) فهو ياسر الذي حكم بعد بلقيس معاصرة النبي سليمان في القرن العاشر ق.م. وكذلك تم العثور على نقوش باسم (ياسر يُهنعم) وقد حكم في الفترة (٣٥٦ ـ ٣٨٥ للتقويم السبئي = ٨٦٤ ـ ٨٣٥ ق.م.) في القرن التاسع ق.م. وهو آخر ملوك الحقبة التالية من عصر لقب (ملك سبأ وذي ريدان) والتي هي العصر الثالث لملوك سبأ التبابعة، وكان ياسر يُهصدق آخر ملوك العصر الثاني.

ب ـ ملوك العصر الثالث لتبابعة سبأ (من ٣١٠ ـ ٣٨٥ للتقويم السبئي/ ٩١٠ ـ ٨٣٥ ق.م.):

بعد عهد الملك ياسر خليفة الملكة بلقيس، وكما أشار نشوان الحميري: «وقعت فتنة باليمن على المُلك، وتغلب كل على ما تحت يده»[١] وقال ابن الكلبي: «استمرت الفتنة أربعين سنة حتى قيام ياسر ينعم». قال نشوان: «وسُمّي ياسر يُنعم لأنه ردّ ملك حمير إليها بعد أن انتقل إلى سليمان عليه السلام»[١] وكذلك قال الهمداني: «ياسر يُنعم بن عمرو وهو ياسر النعم الذي ردّ الملك على حمير بعد سليمان»[١] والصواب «أن ياسر يُنعم رد المُلك إلى بني حمير ذي ريدان بعد فتنة الانقسام التي وقعت باليمن أربعين سنة بعد عهد بلقيس وسليمان وياسر يهصدق الذي حكم بعد بلقيس. حيث يتبين من النقوش أن تلك الحقبة شهدت انقساماً وصراعاً على الحكم بين ملوك من بني حمير ذي ريدان في القصر ريدان بمدينة ظفار وبين ملوك في القصر سلحين بالعاصمة مأرب ينتسبون إلى سبأ. واستمر الانقسام والصراع إلى أن استعادت الدولة وحدتها بزعامة الملك ياسر يُنعم. وقد تم العثور على نقوش كثيرة بأسماء ومن عهود ملوك ذلك العصر ـ أو تلك الفترة من عصر لقب ملك سبأ وذي ريدان ـ وعددهم (٢٠) ملكاً، منهم (١٤) ملكاً في القصر سلحين بمأرب و (٦) ملوك في القصر ريدان بظفار، وقد حمل أغلب هؤلاء الملوك وأولئك نفس اللقب الأثير لملوك سبأ التبابعة في ذلك العصر وهو لقب (ملك سبأ وذي ريدان) وهم:

(١) قصيدة نشوان ـ ص٨٩ ـ والإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٦٩ جـ٢.

ملوك سبأ في القصر سلحين والعاصمة مأرب	الملوك من بني حمير ذي ريدان في القصر ريدان
١ فرع ينهب ملك سبأ	١ كرب إل أيفع ذو ريدان
٢ إل شرح يحضب وأخوه يازل بين	٢ شمر يهحمد ملك سبأ وذي ريدان بن ياسر يهصدق ملك سبأ وذي ريدان
٣ إل شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان	
٤ وتاريهامن بن إل شرح يحضب	
٥ نشاكرب يهأمن يُهرحب	٣ ذمر علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان بن ياسر يهصدق ملك سبأ وذي ريدان
٦و٧ سعد شمس أسرع وابنه مرثد يهحمد	
٨ وهب إل يحوز بن بَتَع (نجل بلقيس)	
٩ أنمار يهامن ملك سبأ بن وهب إل	٤ ثاران يهنعم ملك سبأ وذي ريدان بن ذمر علي يهبر بن ياسر يهصدق
١٠ يارم أيمن ملك سبأ	
١١ كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ بن وهب إل	
١٢ علهان نهفان ملك سبأ بن يارم أيمن	٥ لعزم يهنف ذو ريدان بن ياسر يهصدق ملك سبأ وذي ريدان
١٣ شعرام أوتر ملك سبأ وذي ريدان	
١٤ لحيعث يرخم ملك سبأ وذي ريدان	٦ ياسر يُهنعم ملك سبأ وذي ريدان

وانتهى الانقسام بتوحيد الدولة بزعامة ياسر يهنعم حيث تدل النقوش على أنه ـ وكما قال أيضاً د. محمد بافقيه ـ «كان الصراع طابع الفترة كلها حتى تم توحيد سبأ وريدان عن تراض تحت قيادة ياسر يُهنعم»[١] وهو ياسر يُنعم الذي أعاد المُلك إلى بني حمير ذي ريدان بن سبأ الأصغر بعد فترة الانقسام التي استمرت زهاء أربعين سنة، بل ٤٦ سنة، ثم توحدت الدولة بزعامة ياسر ينعم، وقد تم العثور على ستة نقوش بالمسند من عهده، منها نقش بمناسبة وصوله من القصر ريدان بمدينة ظفار إلى مدينة مأرب وتسنمه سدة عرش سبأ في قصر سلحين بمأرب[٢].

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١١١/٢.

(٢) النقش رقم ٢٩ شرف ـ تاريخ اليمن الثقافي ـ والنقش رقم ١٤ كهالي ـ في تاريخ اليمن. ومن عهده أيضاً النقوش ٦٤٦ ـ ٦٤٨ جام.

وقد حكم ياسر ينعم من عام ٣٥٦ ـ ٣٨٥ للتقويم السبئي والزمن الصحيح الموافق لذلك هو (٨٦٤ ـ ٨٣٥ ق.م.) في القرن التاسع قبل الميلاد الذي حدده أيضاً الهمداني ونشوان الحميري وابن خلدون زمناً لياسر يُنعم. وفيه قال نشوان الحميري:

أَوْ ياسِرُ الملكُ المعيدُ لما مَضىٰ ... مِـن مُـلْـكِ حَـيٍّ لا تـراهُ لَقـاحِ
أبقىٰ بوادي الرَّملِ أقصىٰ مَوضعٍ ... بـالـغـربِ مُسْنَدَ ماجدٍ جَحْجاحِ

وقد ذكر ابن هشام أنه «عبر ياسر ينعم البحر وسار على ساحله يريد أرض الحبشة فأخذها» وقال نشوان: «كان ياسر ينعم ملكاً عظيماً، خرج من اليمن غازياً، فدوّخ مصر وتوجه نحو المغرب» [ص ٨٩] وكان ذلك لإعادة تكوين وتأمين المستوطنات التجارية، ثم عاد مع ابنه شمر يرعش إلى اليمن حيث يُسجل نقش مسند في معبد باران بمأرب أن «ياسر يهنعم وابنه شمر يهرعش ملكي سبأ وذي ريدان قدّما تماثيل ذهبية حمداً للإله بمناسبة تحقيق كل آمالهما»[(١)] وآخر نقوش عهده مؤرخ بعام ٣٨٥ للتقويم السبئي (= ٨٣٥ ق.م.) وكان ياسر ينعم آخر ملوك عصر لقب (ملك سبأ وذي ريدان) ويبلغ عدد الملوك الذين ذكرناهم من الحارث الرائش إلى ياسر ينعم (٤٥ ملكاً) من ملوك سبأ التبابعة.

ثالثاً

عصر لقب

«ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت»

من ٣٨٦ ـ ٥٢٠ للتقويم السبئي/ ٨٣٤ ـ ٧٠٠ ق.م.

وهو العصر الرابع لملوك سبأ التبابعة، وعددهم (٩ ملوك) تم العثور على نقوش بأسمائهم ومن عهودهم جميعاً في محرم بلقيس ومعبد باران بمأرب عاصمة سبأ ويحملون في النقوش لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت» وأولهم الزعيم العظيم «شمر يهرعش بن ياسر يُهنعم» ونُشير بصدد ذلك العصر إلى ما يلي:

(١) النقش رقم ٢٩ شرف ـ تاريخ اليمن الثقافي ـ والنقش رقم ١٤ كهالي ـ في تاريخ اليمن. ومن عهده أيضاً النقوش ٦٤٦ ـ ٦٤٨ جام.

ـ إن المستشرقين والدارسين الأكاديميين يعتبرون هؤلاء الملوك ملوك الدولة الحميرية التي كانت عاصمتها مدينة ظفار، وذلك بخلاف النقوش، فالنقوش تنطق بأنهم ملوك سبأ وألقابهم في النقوش تبدأ بملك سبأ، وتم العثور على نقوشهم في محرم بلقيس بمأرب عاصمة سبأ، وتم نشر أغلبها في كتاب مجموعة ألبرت جام بعنوان (نقوش سبئية من محرم بلقيس: (Sabaen inscriptions from Mahram Bilgis A. Jamme. Battimore, 1962) فالنقوش سبئية وموقعها من مأرب عاصمة سبأ وألقاب الملوك في النقوش تبدأ بملك سبأ فهُم من ملوك سبأ، وقد حملوا في النقوش لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) كناية عن التقسيم الإداري للبلاد إلى أربعة أقسام (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) فقد كانت البلاد تنقسم في العصر السابق إلى (سبأ وذي ريدان) حيث كانت حضرموت ويمانت تابعة لقسم (ذي ريدان) فقام (شمر يهرعش) بتعديل التقسيم الإداري إلى أربعة أقسام وأصبح لقبه في النقوش (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) وذلك في إطار الدولة المركزية (سبأ) ولذلك فالأصل في اللقب هو (ملك سبأ) وبه يبدأ اللقب في النقوش وعاصمة الدولة هي مدينة مأرب، وطالما أن تلك هي الحقيقة فإن التقويم المؤرخة به تلك النقوش السبئية هو التقويم السبئي وليس تقويم الدولة الحميرية الأخيرة الذي يبدأ بعام ١١٥ ق.م. وإنما هو التقويم السبئي الذي يبدأ بأول أعوام عهد الرائش باران ذي رياش. فالدولة سبأ والملوك ملوك سبأ والنقوش والآثار سبئية والتقويم سبئي. وقد حكم ملوك ذلك العصر من عام ٣٨٦ ـ ٥٢٠ للتقويم السبئي والزمن الصحيح الموافق لذلك هو من عام ٨٣٤ ـ ٧٠٠ ق.م.

ـ وقد تم العثور على نقوش بأسماء ومن عهود جميع ملوك ذلك العصر، وقد استوفينا جميع نقوش ووثائق وآثار وتاريخ عهودهم في الفصل الخاص بذلك العصر في هذا الكتاب، وكانوا من عظماء الملوك التبابعة الذين رفرفت راياتهم في أرجاء واسعة، وترتيبهم كما يلي:

كرونولوجيا ملوك سبأ التبابعة في عصر لقب

(ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت)

م.	اسم الملك	مدة الحكم بالتقويم السبئي (ق.م.)	النقوش المعثور عليها من عهده
١	شمّر يُهرعش بن ياسر يُهنعم	٣٨٦ـ ٤١٠ سبئي/ ٨٣٤ـ ٨١٠ ق.م.	تم العثور على ٣٦ نقشاً من عهده
٢ و٣	ياسر يهنعم وابنه ذرا ـ أمر ـ أيمن	٤١١ـ ٤٢٠ سبئي/ ٨٠٩ـ ٨٠٠ ق.م.	النقش ٢٩ كهالي والنقش ٦٦٥ جام
٤	ذمر على يُهبر (الثاني)	٤٢٠ـ ٤٣٣ سبئي/ ٨٠٠ـ ٧٨٧ ق.م.	نقشان وتمثال برونزي
٥	ثاران يُهنعم بن ذمر على يهبر	٤٣٤ـ ٤٧٤ سبئي/ ٧٨٦ـ ٧٤٦ ق.م.	أربعة نقوش وتمثال برونزي
٦	ملكي كرب يهامن بن ثاران يهنعم	٤٧٣ـ ٤٨٥ سبئي/ ٧٤٧ـ ٧٣٥ ق.م.	النقوش ٦٦٩ـ ٦٧١ جام و٢ ب.أ.
٧ و٨	ياسر يهنعم الثالث وابنه ثاران أيفع	٤٨٥ـ ٥٠٧ سبئي/ ٧٣٥ـ ٧١٣ ق.م.	النقش رقم ٦٦٤ جام
٩	كرب إل وتار يُهنعم (معاصر سنحريب)	٥٠٧ـ ٥١٩ سبئي/ ٧١٣ـ ٧٠١ ق.م.	النقوش ٦٦٦ـ ٦٦٧ جام، و٢٨ كهالي

رابعاً

العصر الخامس لملوك سبأ التبابعة

(٥٢٠ـ ٦٨٠ سبئي/ ٧٠٠ـ ٥٢٠ ق.م.)

وهو عصر لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودا وتهامت) وقد بدأ بعهد (أبي كرب أسعد بن ملكي كرب يهامن) الذي أضاف (وأعراب الطود وتهامت) إلى اللقب في النقوش كناية عن تعديل التقسيم الإداري للبلاد، وذلك في إطار الدولة المركزية (سبأ) ولذلك يبدأ اللقب بأنه (ملك سبأ) وقد ذكر علماء المؤرخين العرب الأوائل «أن أبا كرب أسعد هو تُبع المذكور في

القرآن الكريم» وقال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى في سورة الدخان: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾. قال ابن كثير: «قوم تُبّع هم سبأ» وقد أشار الحسن الهمداني في الإكليل إلى زمنه الصحيح حيث قال: «إن بخت نصّر ملك بابل كان في أيام أسعد تُبّع أو ابنه حسان بن أسعد» [ص١٠١/٨]. وبخت نصّر هو (نبوخذ نصر) الذي تولى عرش بابل عام ٦٠٤ ق.م. في القرن السابع قبل الميلاد. وزمن أبي كرب أسعد وابنيه حسان وشرحبيل هو بالفعل في القرن السابع ق.م. وقد تتابع على الحكم في ذلك العصر ستة ملوك عظماء حكموا من عام ٥٢٠ ـ ٦٩٣ للتقويم السبئي (= ٧٠٠ ـ ٥٢٧ ق.م.) وقد استوفينا ذكر نقوشهم وآثارهم ووثائق وتاريخ عهودهم في الفصل الخاص بذلك العصر في هذا الكتاب، وترتيبهم كما يلي:

كرونولوجيا ملوك سبأ التبابعة في عصر لقب

«ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طوداً وتهامت)

م.	اسم الملك	فترة حكمه بالتقويم السبئي (= ق.م.)	النقوش المعثور عليها من عهده
١	الزعيم العظيم أبو كرب أسعد	من ٥٢٠ ـ ٥٥١ سبئي/ ٧٠٠ ـ ٦٦٩ ق.م.	تم العثور على (٢٠) نقشاً من عهده
٢	حسان يهامن بن أبي كرب أسعد	من ٥٥١ ـ ٥٥٦ سبئي/ ٦٦٩ ـ ٦٦٤ ق.م.	النقشان ٥٠٩ ركمانز و ٥٣٤ ريده
٣	شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد	٥٥١ ـ ٥٩٣ سبئي/ ٦٦٩ ـ ٦٢٧ ق.م.	النقوش ٤ فخري و ٤٤ع/ و ٥٧٣ جاربيني
٤	مرثد ألن ينوف	٥٩٤ ـ ٦١٥ سبئي/ ٦٢٦ ـ ٦٠٥ ق.م.	النقشان ٣٦ شرف/ و ٦١٤ فخري
٥	ذرا ـ أمر ـ أيمن ـ بن حسان	٦١٥ ـ ٦٣٠ سبئي/ ٦٠٥ ـ ٥٩٠ ق.م.	النقش رقم ٢ بيت الأشوك
٦	معدي كرب يعفر	٦٣١ ـ ٦٩٣ سبئي/ ٥٨٩ ـ ٥٢٧ ق.م.	النقش ٢٢٨ فلبي وتمثال برونزي

وفي عهد (معدي كرب يعفر بن حسان بن أبي كرب أسعد) تفككت حـ
تبابعة سبأ العظمى، وهو التاسع والخمسون من الملوك منذ الحارث الرائـ

وقد انتهت تلك العصور العظيمة عام ٥٢٧ ق.م. في النصف الأخير من القرن السادس قبل الميلاد.

خامساً

العصر السادس لدولة سبأ

بعد انتهاء عصور دولة ملوك سبأ التابعة العظمى قامت في مناطق اليمن خمس دول وممالك متعاصرة وهي دولة مكارب سبأ، ودولة معين، ودولة أوسان، ودولة قتبان، ودولة حضرموت.

ثم في عام ٤٥٥ ق.م. تحولت دولة مكارب سبأ إلى مملكة سبأ بزعامة «كرب إل وتار ملك سبأ» الذي يسجل نقشه المشهور باسم (نقش النصر) في صرواح أنه قام باجتياح تلك الممالك ومناطقها من نجران والجوف إلى حضرموت ومن بيحان وأبين إلى المعافر وساحل البحر الأحمر، وتوحيد البلاد تحت لواء (سبأ). وقد حمل (كرب إل وتار) في النقوش لقب (ملك سبأ) وهو من الملوك التابعة لأن حكمه شمل كل اليمن. وقد حدد البروفيسور ألبرايت ان «زمن كرب إل وتار ملك سبأ في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد» وكذلك جاء في دراسة البعثة الأثرية الفرنسية لآثار مدينة (كتل) بالجوف أنه «تم بناء أسوار كتل وتعميرها في عهد كرب إل وتار ملك سبأ بالقرن الخامس قبل الميلاد».

وقد تتابع على عرش مملكة سبأ هذه ثلاثة ملوك تبابعة هم:

١ ـ كرب إل وتار ملك سبأ، صاحب النقشين المسندين (رقم ٣٩٤٥ ـ أ ـ ورقم ٣٩٤٥ ـ ب ـ Res) في صرواح.

٢ ـ يدع إل بين ملك سبأ بن كرب إل وتار ملك سبأ. وله نقش في صرواح عن قيامه بسن قانون للأرض والضرائب.

٣ ـ هاني كرب ملك سبأ بن يدع إل بين ملك سبأ بن كرب إل وتار ملك سبأ. وله نقش كبير في صرواح عن الالتزام بقانون الأرض والضرائب.

وبعد أولئك الملوك الثلاثة تفككت مملكة سبأ الثانية تلك وكان عصرها زهاء ثمانين سنة. وصارت سبأ إحدى خمس دول متعاصرة يحكم كل منها جزءاً من اليمن وهي دولة مكارب سبأ وعاصمتها مأرب، ومملكة معين وعاصمتها يثل وقرناو في الجوف، ومملكة قتبان الحميرية وعاصمتها مدينة تمنع ومملكة أوسان الحميرية وعاصمتها (نعمان) ودولة حضرموت وعاصمتها شبوة، وكذلك دولة بني

معاهر الحميرية، وقد تم العثور على نقوش بأسماء ومن عهود أكثر من مائة ملك حكموا تلك الدول اليمنية ولكنهم ليسوا تبابعة لأن حكمهم كان لتلك الدول ومناطقها وليس لكل اليمن، وقد استوفينا ذكر تاريخ ونقوش تلك الممالك في الفصل الخاص بالدول اليمنية القديمة الوسيطة وانتهى عصرها بقيام مملكة حميرية قوية ثم توحدت البلاد بقيام دولة التبابعة من ملوك حمير في القرن الثالث الميلادي.

سادساً

عصور دولة ملوك حِمْيَر التبابعة

في عام ٣٨٠ للتقويم الحميري (الموافق عام ٢٧٥ ميلادية) قامت الدولة الحميرية بتوحيد كل أرجاء اليمن وامتد نفوذها إلى شمال الجزيرة والبحرين بزعامة ملشان أريم. وقد تم العثور على نقش كبير في وادي عبدان قام بتدوينه (معدي كرب حفيد ملشان أريم) عام ٤٧٠ للتقويم الحميري (الموافق ٣٥٥م) وسجل فيه وقائع قيام الدولة بزعامة ملشان أريم وأنباء عهده وعهد ابنيه (شرحبيل وخولي) وحفيده (معدي كرب) إلى العام المؤرخ به النقش وهو عام ٤٧٠ للتقويم الحميري (الموافق ٣٥٥ ميلادية).

ثم تولى رئاسة الدولة الحميرية الملك عبد كلال بن مُثّوب ذو رُعْين وفيه قال نشوان الحميري:

أمْ أينَ عبدُ كُلال الماضي على ... دين المسيح الطاهر المساح

وقال ابن خلدون: «مَلَكَ عبد كلال بن مثوب أربعاً وتسعين وكان يدين بالنصرانية» [ص٥٤/٢] وقد ذكرته المصادر الرومانية بلقب (ملك حمير) وأنه «بعث الملك قسطنسيوس ـ عام ٣٥٤م ـ الراهب (ثيوفيلوس) إلى ملك حمير، ونجح ثيوفيلوس في إقناع ملك حمير باعتناق الديانة المسيحية وقام ببناء ثلاث كنائس إحداها في مدينة ظفار». وقد حكم عبد كلال ملك حمير حتى وفاته ثم حكم ابنه (مرثد بن عبد كلال) ثم حفيده (وليعة بن مرثد بن عبد كلال) إلى عام ٥٦٠ للتقويم الحميري (الموافق ٤٤٥م).

ثم تولى الحكم (تُبّع حسان بن ذي غيمان) وقد تم العثور على نقش من عهده مؤرخ بعام ٥٦٠ للتقويم الحميري (٤٤٥ ميلادي) وهو النقش (رقم ٥٠٨٥ روبان). وقد حكم حسان (من ٥٦٠ ـ ٥٧٢ حميري/ = ٥٤٥ ـ ٤٥٧م) ثم

حكم بعده ابنه تُبَع أسعد بن حسان عشرين سنة (٥٧٢ ـ ٥٩٢ حميري / ٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وهو أسعد الثاني وفيه قال حذيفة بن غانم القُرشي:

وأسعد قاد الناس عشرين حجةً ... يؤيدُ في تلك المواطن بالنصر

ثم حكم (لحيعة يرخم ذو جدن) ثلاث سنين وتم العثور على ثلاثة نقوش من عهده هي النقش رقم (J.A. ١٠٣٠) والنقشان رقم ٥١٣ و ٥١٤ ركمانز. ثم حكم (شرحبيل يكمل) من عام ٥٩٥ ـ ٦١٥ حميري (٤٨٠ ـ ٥٠٠م) وذكرته المصادر الأكسومية بلقب (ملك حمير) وتم العثور على نقشين من عهده هما النقش رقم ٤٠٦٩ ريمي من موقع قرن أملح ونقش من الجوف مؤرخ بعام ٥٩٦ حميري (٤٨١ ميلادية) ثم حكم (سميفع أشوع بن شرحبيل يكمل) من ٦١٥ - ٦٢٩ حميري (٥٠٠ ـ ٥١٤م) وتم العثور على النقش رقم ٤٧ ينبق من عهده وهو مؤرخ بعام ٦٢٥ حميري (٥١٠م).

ثم حكم (يوسف أسار/ ذو نواس) من عام ٦٣٠ ـ ٦٤٠ حميري (٥١٥ - ٥٢٥م) وتم العثور على نقش من عهده هو النقش رقم (١٠٢٨ جام)المؤرخ بعام ٦٣٣ حميري (الموافق عام ٥١٨م). ثم تولى الحكم (سميفع ملك حمير) وله نقش في موقع حصن الغراب بميناء قنا مؤرخ بعام ٦٤٠ حميري (الموافق عام ٥٢٥م) وقد ذكرته المصادر الرومانية بلفظ (سميفوس ملك حمير) وانتهى عهده بالغزو الأكسومي المدعوم من الرومان عام ٥٣٣م والذي قضى عليه سيف بن ذي يزن وأعاد وحدة الدولة والبلاد عام ٥٧٢م، فوفد إليه عبد المطلب بن هاشم ووفود وشعراء العرب، وفيه قال أُمية بن أبي الصَّلت:

فاشربْ هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً ... في رأس غُمدان دار منك محلالا

قال الحسن الهمداني: «ومَلَكَ سيف بن ذي يزن عشرين سنة، ثم ملك أخوه شرحبيل ثلاث سنين، يكون جميع ما ملكوا ألفي سنة وإحدى وثمانين سنة سوى ما ملكوا قبل الرائش». (انتهى).

فأولئك هم الملوك التبابعة من الحارث الرائش إلى ابن ذي يزن، والذين قال عنهم نشوان الحميري:

مَلَكوا المشارقَ والمغاربَ واحتَوْا ... ما بين أنقرة ونَجدِ الجاحِ
آثارُهم في الأرض تُخبرُنا بهم ... والكتبُ من سِيَرٍ تقصُّ صِحَاحِ
أنسابُهم فيها تُنيرُ وذِكرُهم ... في الطِّيبِ مثلُ العنبرِ النَّفاحِ

وإلى النبأ اليقين عنهم وعن عهودهم وعصورهم الحضارية التليدة ننتقل في الفصول التالية.

تاريخ تبابعة العصر الأقدم والعصر الأول لملوك سبأ التبابعة

(١٤٧٠ ـ ١١٠٠ ق.م.)

المبحث الأول

ملوك العصر الأقدم لدولة تبابعة سبأ

١ ـ الحارث الرائش.. أول الملوك التبابعة

(١٤٧٠ ق.م. ـ ١٤٣٢ ق.م.)

هو الملك الحارث الرائش بن إلي شدد ملك سبأ من بني الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قال ابن خلدون: «أول ملوك التبابعة باتفاق من المؤرخين الحارث الرائش. وإنما سُمّي الرائش لأنه راش الناس بالعطاء.. وكان يُسمى تُبّعاً، وكان مؤمناً فيما قال السهيلي»[1].

سبب الخلاف في نسب الرائش: وقد انقسم المؤرخون واختلفوا في نسب الرائش ـ أول التبابعة ـ قال ابن خلدون: «واختلف الناس في نسبه بعد اتفاقهم على أنه من ولد عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قَطَن بن عَرِيب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير. فابن إسحاق يقول في نسبه إلى سبأ الأصغر ـ ابن معاوية بن جُشم بن عبد شمس ـ: الحارث بن عدي بن صيفي. وابن الكلبي يقول: الحارث بن قيس بن صيفي. وقال السهيلي: هو الحارث بن همال بن ذي سدد بن الملطاط بن عمرو بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل. وجشم جد سبأ (الأصغر) هو ابن عبد شمس. وذكر المسعودي عن عبيد بن شرية قال: هو الحارث بن شدد بن الملطاط بن عمرو. وأما الطبري فاختلف نسبه في نسب الحارث فمرة قال: وبيت مُلك التبابعة في

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص٤٦ ـ ٤٧.

سبأ الأصغر ونسبه كما مَرّ، وقال في موضع آخر: والحارث بن ذي شدد هو الرائش جد الملوك التبابعة فجعله ابن إلي شدد. وكذلك اضطرب أبو محمد بن حزم في نسبه في الجمهرة، مرة إلى الملطاط ومرة إلى سبأ الأصغر»[1].

ويتلخص الخلاف في وجود قولين في نسب الرائش:

القول الأول: يؤكد فريق من المؤرخين بينهم الحسن بن أحمد الهمداني صاحب الإكليل وعبيد بن شرية الجرهمي والسهيلي أن الحارث الرائش من بني الصوار بن عبد شمس بن وائل، وأن التبابعة من سلالته. وهو: الحارث الرائش بن إلي شدد بن الملطاط بن عمرو بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل.

القول الثاني: بينما يؤكد الفريق الثاني من المؤرخين ومن بينهم نشوان بن سعيد الحميري وابن الكلبي وابن إسحاق ومحمد بن الحسن الهمداني أن الرائش هو الرائش بن سدد بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد الجمهور بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل.

وقد ذكر الهمداني في الإكليل «الحارث الرائش بن إلي شَدد» ـ بأنه من بني الصوار ـ فقال محمد بن نشوان: «هذا قول الهمداني، وقد خالفه ولده محمد بن الحسن بن أحمد الهمداني في تفسير قصيدته الدامغة. والصحيح المعوّل عليه في نسب الرائش أنه من ولد قيس بن صيفي بن حمير الأصغر. وأكثر النساب من حمير تقول: هو الرائش بن سدد بن قيس بن صيفي بن حِمير الأصغر. قال نشوان بن سعيد رحمه الله:

تبابع الأملاك من حِمْيَرِ ... عدتهم سبعون لا تقصرُ
من ولد الرائش جمهورهم ... من حمير الأصغر ما حميرُ
يا أيها السائل عن تُبَّعٍ ... وتُبّعُ كالشمس بل أشهر
من ولد الصوار صيّرته ... والله في تصييره أبصرُ
فاسمع لقول غير ما قلته ... يحفظه السائل والمخبرُ
قيس ابن صيفيّ أبو تُبَّعٍ ... وجدّه حميرٌ الأصغرُ
خير بني هودٍ نبيّ الهدى ... حيث انتهى السؤدد والمفخر
هم وبنو الصوار من دوحة ... قد طاب منها الفرع والعنصر
قد أثمرت أغصانها بالندى ... ليست بشيء غيره تثمر

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص٤٦ ـ ٤٧.

والكل منهم جوهر واحدُ ... لم يتفاضل ذلك الجوهر
لكن قول الحق مُستحسَنُ ... والقول بالباطل مستنكر»[1]

وقد اتضح لنا بعد البحث والتحقيق أن اختلاف المؤرخين الأوائل في نسب الرائش يعود إلى وجود ملكين عظيمين سُمّي كل منهما باسم تُبّع الرائش، وهما:

١ ـ الحارث الرائش بن إلي شدد ملك سبأ وهو من بني الصوار بن عبد شمس بن وائل، وهو أقدم وأول ملوك اليمن التبابعة. وقد ذكر الهمداني صاحب الإكليل زمن الحارث الرائش بقوله عن ملوك اليمن منذ الرائش إلى ابن ذي يزن: «يكون جميع ما ملكوا ألفي سنة وإحدى وثمانين سنة من الرائش سوى ما ملكوا قبل الرائش»[2]. وبحساب المدة المذكورة يكون زمن الحارث الرائش في القرن الخامس عشر ق.م. وكان عهده في الفترة (١٤٧٠ ـ ١٤٣٢ ق.م.) حيث حكم ٣٨ سنة، ثم تتابع بعده ستة ملوك وهم: شمّر الرائد، الصعب ذو القرنين بن شمّر، صيفي بن شمّر، حمير الأصغر ذو ريدان، صيفي بن حمير الأصغر، قيس بن صيفي، وذلك إلى حوالي سنة ١٢٢٠ ق.م.

٢ ـ الملك الرائش الثاني باران ذو رياش بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر، وهو من بني جُشم بن عبد شمس بن وائل. وقد ذكر نشوان الحميري أن الرائش كان في زمن النبي موسى عليه السلام وكذلك ذكر ابن الكلبي وابن خلدون. وقال ابن شرية: إن الرائش بن قيس بن صيفي كان لعهد النبي موسى[3]. وقد كان زمن النبي موسى في الفترة (١٢٣٠ ـ ١١٨٠ ق.م.) تقريباً. وكان الرائش الثاني باران ذو رياش من عظماء التبابعة، وهو الذي عناه نشوان الحميري بقوله:

يا أيها السائل عن تُبَّعٍ ... وتُبّعُ كالشمس بل أشهر
قيسُ ابن صيفيّ أبو تُبّعٍ ... وجدّه حميرُ الأصغرُ

وقد اتخذ ملوك سبأ التبابعة في العصور اللاحقة أول أعوام عهد الرائش باران ذي رياش بداية للتقويم السبئي المؤرخة به نقوش ملوك سبأ التبابعة المعثور

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص١١١ جـ٢.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٤١.
(٣) السيرة الجامعة ـ شرح قصيدة نشوان الحميري ـ ص٦٥.

عليها في معبد باران ومحرم بلقيس بمأرب، ويوافق العام الأول في ذلك التقويم السبئي سنة ١٢٢٠ ق.م. وهو أول أعوام حكم الرائش باران ذي رياش وقد حكم أربعين سنة (١٢٢٠ ـ ١١٨٠ ق.م.) ثم تتابع بعده ثلاثة ملوك وهم: ذو المنار بن الرائش، ذو الأذعار بن ذي منار، إفريقيس بن ذي منار، وذلك إلى حوالي سنة ١٢٠ للتقويم السبئي (١١٠٠ ق.م.) ثم يليهم ملوك العصر الثاني الذين يحملون في نقوشهم لقب (ملك سبأ وذو ريدان) وأغلبهم من آل الرائش الثاني، لذلك قال نشوان الحميري:

مِنْ ولد الرائش جمهورهم   مِنْ حمير الأصغر، ما حميرُ

وقال الطبري: (وبيت الملوك التبابعة في سبأ الأصغر). وقد أشار الحسن الهمداني صاحب الإكليل إلى وجود ملكين باسم الرائش في قصيدته الدامغة حيث قال:

ومنا الرائشان، وذو رُعينٍ،   ومَنْ طحن البلاد لأن تدينا

فذلك هو سبب اختلاف المؤرخين الأوائل في نسب الرائش.

أنباء عهد الحارث الرائش (تُبّع الأول):

لقد كان الحارث الرائش بن إلي شدد ـ ملك سبأ ـ سليل الصوار بن عبد شمس، ملكاً لقسم من اليمن هو القسم الغربي الذي يشمل أرض مأرب وصنعاء وإرم ذات العمادَ إلى البحر الأحمر، بينما كان يحكم القسم الشرقي من اليمن إلى حضرموت والشحر وظفار عُمان ملوك من بني جُشم بن عبد شمس. وقد ذكر الهمداني منهم (حسان بن عمرو بن قيس بن جشم بن عبد شمس).

وقد سُمي الحارث الرائش تُبعاً لأن وحدة الدولة والبلاد تحققت بزعامته، حيث سلفت النصوص التاريخية بأنه «لا يُسمى الملك تُبّعاً إلا إذا اتبعته حضرموت والشحر والسلف والصدف، وإذا تبعه بنو جشم بن عبد شمس». وبالتالي فإن الحارث الرائش استجابت للوحدة بزعامته قبائل ومناطق حضرموت ومشارق اليمن وانضوى تحت لوائه بنو جشم بن عبد شمس ـ بزعامة (زيد الجمهور بن عمرو بن قيس بن جشم بن عبد شمس) ـ فتوحدت كل أرجاء اليمن بزعامة الحارث الرائش وقيل له (تُبّع). وكان ذلك حوالي سنة ١٤٧٠ ق.م.

وقد اقترن ذلك بظهور عقيدة دينية توحيدية على يد تُبّع الحارث الرائش، وهو ما أشار إليه المؤرخون العرب الأوائل بقولهم: (كان تُبّع الحارث الرائش مؤمناً). وقد سلف قول ابن خلدون عن الحارث الرائش «وكان يُسمّى تُبّعاً وكان

مؤمناً فيما قال السهيلي»، وكذلك كان ابنه (تُبّع شمّر الرّائد) وحفيده (تُبّع الصعب ذو القرنين بن شمّر) مؤمناً.

ويتبين من البحث في آثار ذلك الزمن باليمن ما يلي عن العقائد الدينية:

ـ لقد كان يسود اليمن ـ قبل عهد الرائش ـ الاعتقاد بتعدد الآلهة، وعبادة العديد من الآلهة، وقد تم العثور على عدة قطع أثرية يمنية مكتوبة بالكتابة التي اشتهرت باسم الهيروغليفية وكانت هي الكتابة الدينية المقدسة في اليمن كما في مصر الفرعونية قبل كتابة المسند. وقد نشر تلك القطع الأثرية الهيروغليفية اليمنية العالم الألماني (كارل راتجنس) وزميله (وايسمان) في كتابهما الصادر سنة ١٩٣٣م[١]. وكذلك في كتاب (كارل راتجنس) الصادر عام ١٩٥٥م في هامبورغ بألمانيا[٢]. وقد عثرا عليها واشترياها في رحلة أثرية إلى اليمن. وكذلك عدة قطع أثرية عثر عليها أو اشتراها عالم الآثار المصري د. أحمد فخري في رحلته الأثرية إلى اليمن ونشرها في كتابه[٣] ويعود زمن تلك القطع الأثرية اليمنية إلى الفترة من القرن السادس عشر والقرن الخامس عشر ق.م. إلى نهاية القرن الثاني عشر ق.م. ومنها:

١ ـ قطعة أثرية من الفيانس الأزرق منحوت عليها الصقر ورمز الإله (حوريس) تم العثور عليها في صنعاء[٤].

٢ ـ جعران باسم الإله (الحور) تم شراؤه من الحديدة[٤].

٣ ـ جعران من الفيانس الأزرق باسم الإله (أنوبيس).

٤ ـ جعران من الفيانس الأزرق باسم الإله (رع حور أختي سيد المشرقين).

٥ ـ قطعة أثرية مكتوب عليها (أمون رع سيد عروش الأرضين).

٦ ـ قطعة أثرية قال د. أحمد فخري أنها تذكر (تحوتمس الثالث ملك مصر ١٤٦٨ ـ ١٤١٦ ق.م.).

وتدل تلك الآثار على تعدد الآلهة التي كانت عبادتها سائدة في اليمن كما في مصر، وأن (تحوتمس الثالث ملك مصر سنة ١٤٦٨ ـ ١٤١٦ ق.م.) عاصر (الحارث الرائش ملك سبأ ١٤٧٠ ـ ١٤٣٢ ق.م.) وابنه (تُبّع شمر الرائد ١٤٣٢ ـ ١٤١٨ ق.م.).

---

(١) كتاب: Vorislamishe abtertumer - Carl rathjens & V. Wissman. 1933

(٢) كتاب: SABEICA - CARL RATHJENS. Hamburg. 1955. p. 215 - 217.

(٣) رحلة أثرية في اليمن. د. أحمد فخري ـ ١٩٤٨.

(٤) دراسة أثرية د. أبو العيون بركات ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١ ـ السنة ١٩٨٧م. عن المصادر المذكورة.

وقد ظهرت وسادت في اليمن والجزيرة العربية منذ عهد الرائش عقيدة توحيدية هي عبادة (إله الشمس) باعتباره الإله الواحد الوحيد ـ وهو الله عز وجل وكان من أسمائه في النقوش الاسم (ايس) وهو اسم (إله الشمس) ويقال (الإله الشمس). وكان رمز ذلك الدين التوحيدي هو (قرص الشمس يخرج من الأفق) أو (قرص الشمس مع هلال). وتشمل الآثار اليمنية الهيروغليفية المعثور عليها في اليمن والتي نشرها كارل راتجنس وويسمان وأحمد فخري عدة قطع أثرية تنطق بذلك الدين التوحيدي ويعود زمنها إلى الفترة (١٤٥٠ ـ ١١٠٠ ق.م.) وهي:

١ ـ جعران عليه قرص الشمس وهو يخرج من الأفق. كما في آثار العمارنة بمصر.

٢ ـ جعران عليه صورة الصقر وقرص الشمس ـ رمز الإله إيس ـ كما في آثار العمارنة.

٣ ـ قطعة أثرية على أحد وجهيها رسم للصقر يعلوه قرص الشمس، وعلى الوجه الآخر رسم يُمثل ملكاً، وعبارة (أمنفيس ملك ملوك الأرض). ومعنى (أمنفيس) المؤمن بالإله (إيس). وكان ذلك هو اللقب الديني للملك الرايش الثاني (باران ذو رياش ١٢٢٠ ـ ١١٨٠ ق.م.).

٤ ـ جعران باسم الملك (أمنفيس الثالث) وهو ـ غالباً ـ ذو منار بن الرايش باران ذي رياش، وقد تم العثور عليه في مأرب، ويعود إلى القرن الثاني عشر ق.م.

وتعطينا تلك الآثار والنقوش الدليل المادي على أن تُبّع الحارث الرائش كان مؤمناً، ظهر وساد في عهده دين توحيديّ هو عبادة (إله الشمس) ـ الإله (إيس) ـ وقد انتشر وساد ذلك الدين التوحيدي منذ عهود الملوك التبابعة الثلاثة العظماء لذلك العصر وهم الحارث الرائش ثم ابنه الملك شمّر الرائد ثم حفيده الصعب ذو القرنين. وقد انتشر ذلك الدين من اليمن إلى مصر والشام وآشور وبابل في ذلك الزمن الحضاري التليد.

نقوش العلاقات بين اليمن ومصر في عهد الحارث الرائش وتحوتمس الثالث:

كان قدماء المصريين الفراعنة يسمّون اليمن (بلاد بونت ـ تانتر إيس) ومعنى (تانتر ايس) أرض الإله إيس ـ إله الشمس ـ وقد استقصى د. أبو العيون بركات الآثار والنقوش المصرية الفرعونية عن العلاقات مع اليمن في دراسة أكّد فيها أنه: «كان المصري القديم يقصد ببلاد بونت جنوب الجزيرة العربية»[(١)].

(١) بونت بين المصادر المصرية واليمنية القديمة ـ د. أبو العيون بركات ـ مجلة اليمن الجديد ـ العدد ٢ ـ السنة ١٥ ـ فبراير ١٩٨٦م.

وقد شهدت العلاقات بين اليمن ومصر تطوراً هاماً في ومنذ عهد تحوتمس الثالث ملك مصر الفرعونية (١٤٦٨ ـ ١٤١٦ ق.م.) وهو معاصر الحارث الرائش أول التبابعة (١٤٧٠ ـ ١٤٣٢ ق.م.) وابنه (تُبّع شمّر الرائد ـ ثاني ملوك التبابعة (١٤٣٢ ـ ١٤١٨ ق.م.) إلى أوائل عهد حفيده الصعب ذو القرنين (١٤١٨ ـ ١٣٥٠ ق.م.). وقد تم العثور في مصر على نقوش وآثار عن العلاقات مع اليمن في ذلك العصر وهي:

١ ـ رسم من أوائل عهد تحوتمس في معبد آمون بمدينة طيبة يسجل تقديم تحوتمس بخوراً مجلوباً من اليمن إلى معبد الإله آمون[(١)].

٢ ـ «يسجل نقش مؤرخ بالسنة العاشرة من حكم تحوتمس أنه أرسل بعثة إلى اليمن ـ بلاد بونت ـ جلبت البخور والراتنج لمعبد الإله آمون»[(١)].

٣ ـ يسجل نقش للوزير (رخميرع) ـ وزير تحوتمس ـ وصول وفد كبير من اليمن إلى منطقة الساحل المصري للبحر الأحمر. ويقول نقش رخميرع «تم الوصول بسلام لعظماء بلاد بونت ـ تانترإيس ـ وأحضروا هدايا للملك تحوتمس»[(١)] وقد توجه الوفد إلى الملك تحوتمس بمدينة طيبة وتباحث معه في أمور هامة يمكن القول إن أهمها دعوة الملك تحوتمس إلى دين التوحيد عقيدة عبادة إله الشمس والسماح بدخولها إلى مصر.

٤ ـ تسجل النقوش والرسوم دخول عبادة إله الشمس إلى مصر، وتقرر دراسات تاريخ مصر القديمة أنه: «كان تحوتمس الثالث أول من أمر برسم رمز تلك الديانة في مدينة طيبة التي كانت معقل عبادة الإله المصري آمون»[(٢)].

٥ ـ نقش من عهد (أمنحوتب ملك مصر ١٤٠٥ ـ ١٣٦٧ ق.م.) كتبه الوزير (سويك حتب) في موقع سرابيط الخادم بسيناء يسجل وصول واستقبال وفد من عظماء اليمن ـ تانترايس ـ في السنة ٣٦ من عهد أمنحوتب»[(١)]. وذلك في عهد الصعب ذو القرنين بن شمّر بن الحارث الرائش في الفترة ما بين سنة ١٤١٨ ـ ١٣٥٠ ق.م. وقد أصبحت عبادة إله الشمس الديانة الرسمية لمصر في ذلك العهد.

(١) بونت بين المصادر المصرية واليمنية القديمة ـ د. أبو العيون بركات ـ مجلة اليمن الجديد ـ العدد ٢ ـ السنة ١٥ ـ فبراير ١٩٨٦م.

(٢) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ د. أبو المحسن عصفور ـ ص٢٧٢ ـ ٢٨٠.

وبالفعل فقد قامت في جنوب الجزيرة العربية دولة كبرى بزعامة الحارث الرائش ملك سبأ، والذين تذكرهم الدراسات باسم (آراميين) هم جيش وقبائل اليمن القحطانيون. وغني عن البيان أن قبائل قحطان ـ عند المؤرخين والنسابين العرب الأوائل ـ من بني قحطان ابن النبي هود عليه السلام، والنبيّ هود من قبيلة عاد. قال ابن خلدون: «وعاد: بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام». وبالتالي فإن قبائل قحطان من بني إرم بن سام، وهو (آرام بن سام) فالقحطانيون آراميون. وبمائة وخمسين ألفاً من جيوش رقبائل قحطان الآراميين اجتاح الحارث الرائش بلاد بابل وفارس «حتى خرج ما بين العراق والجزيرة الفراتية ونزل بالموصل» ـ أي ببلاد آشور ـ.

٣ ـ كانت آشور مركز الانطلاق إلى سوريا وبلاد الحثيين (الترك) إذ أنه كما جاء في كتاب الأمم السامية عن الآراميين «تدفقوا من آشور إلى سوريا وظلوا في طريقهم يغزون ويفتحون حتى بلغوا جبال أرمينية»(١).

ويتطابق ذلك مع ما ذكره المؤرخون العرب الأوائل بأن الرائش أقام بالموصل ـ أي بآشور ـ وبعث شَمَّر ذا الجناح الأكبر فسار بالجيش حتى دخل على الترك أذربيجان وأوغل في بلد الترك إلى أن بلغ تحت بنات نعش بأرض أرمينية. وكان من النتائج التي ترتبت على ذلك ما تسميه دراسات تاريخ الشرق الأدنى القديم: «انسحاب الحثيين المفاجيء من بلاد النهرين سنة ١٤٣٥ ق.م.»(٢) ولم يكن ذلك انسحاباً مفاجئاً ولا طوعياً وإنما كان نتيجة الفتح والاجتياح الذي امتد من آشور وسوريا إلى بلاد الحثيين ذاتها، وقد كتب أحد الحثيين نصاً هاماً جاء فيه ما يلي: «في الأيام الخوالي كانت البلاد الحثية تغزو البلاد التي خارج حدودها، ثم جاء العدو من سكا وغزا البلاد الحثية واتخذ نيناسا حدوداً له»(٢) ـ وسكا هي تصحيف (سبأ) غالباً.

٤ ـ تم العثور في آشور على ألواح ورسوم باسم وعن عهد الملك (أريشم ملك سبأ أرتو). وقد اعتبرته دراسات تاريخ آشور وبلاد الرافدين ملكاً آشورياً. وذكرت الدراسات «تأسيس مستوطنات تجارية في الأجزاء الشرقية من بلاد الأناضول في عهد الملك أريشم الأول»(٣). وقد حكم بعده ابنه الذي يظهر

(١) الأمم السامية ـ حامد عبد القادر ـ ص١٠٥.
(٢) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ د. أبو المحسن عصفور ـ ص٢٨٢.
(٣) الموجز في تاريخ حضارة الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٤٨١.

في الألواح المعثور عليها في آشور مرتدياً ثوباً (ذا جناح) ثم حكم بعدهما ملكاً يذكره د. طه باقر باسم ولقب (ذي القرنين)(١).

ونرى أن أولئك الملوك العظماء الثلاثة ليسوا ملوك آشور وبلاد الرافدين فقط وإنما شملت ملوكيتهم العليا آشور وبلاد الرافدين، ولكنهم في الأصل (ملوك سبأ ـ أرتو) ـ أي (ملوك سبأ) ـ فالملك (أريشم) هو الملك الرائش، وابنه الذي يرتدي ثوباً ذا جناح هو (شمّر الرائد ذو الجناح) ثم يليهما الملك (ذو القرنين) وهو (تُبّع ذو القرنين بن شمّر) ثالث الملوك التبابعة في ذلك العصر التليد.

نبأ وفاة الحارث الرائش:

وقد ذكر المؤرخون العرب الأوائل وجاء في كتاب السيرة الجامعة: «أن الرائش رجع ـ من الموصل ـ إلى الشام، ثم إلى بيت الله الحرام، ثم رجع إلى غُمدان. قال عبيد بن شرية: وبشر الرائش بالنبي محمد ﷺ».

وقال الهمداني في الإكليل: «قَفَلَ الحارث الرائش راجعاً إلى غمدان فلما استقر فيه ـ وأدركه الموت ـ أقْبَلَ على ولده يوصيه ويقول له: إن أباك خَوّلَكَ المُلك فأقرّه في محتد أنت واسطة الناس فيه وأولاهم به، فاجعل العدل ناصراً واتخذ الإحسان لك نجدة واصطنع العشيرة ليوم ما». [ص٢١٩/٨].

وكانت وفاة الحارث الرائش حوالي سنة ١٤٣٢ ق.م. بالقرن الخامس عشر ق.م.

٢ ـ تُبّع الرائد شَمَّر ذو الجناح الأكبر (١٤٧٠ ـ ١٤٣٢ق.م./١٤٣٢ ـ ١٤١٨ ق.م.)

هو ثاني الملوك التبابعة، تُبّع الرائد شَمَّر ذو الجناح الأكبر، ويُقال له أيضاً (تُبّع الأكبر). وقد اشترك مع أبيه ـ تُبّع الحارث الرائش ـ في تأسيس الدولة وفي الحكم والملوكية مما أدى إلى وجود قول بأنه أول التبابعة، حيث قال ابن خلدون: «وقيل إن أول مَنْ مَلَكَ اليمن من حِمْيَر شمَّر الأملوك، كان لعهد موسى عليه السلام، وبَنَى ظفار، وأخرج منها العمالقة»(٢).

وأصل القول بأنه أول الملوك التبابعة يعود إلى أنه اشترك في الحكم

(١) الموجز في تاريخ حضارة الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٤٨١.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٣٨.

والملوكية مع الرائش (١٤٧٠ ـ ١٤٣٢ ق.م.) وكان هو قائد أغلب غزوات وفتوحات عهد أبيه، فقد جاء في شرح قصيدة نشوان عن عبيد بن شرية الجرهمي أنه: «نهض الرائش في مائة ألف وخمسين ألفاً حتى خرج ما بين العراق والجزيرة، ونزل الموصل، وبعث شمّر ذا الجناح الأكبر، فغزا حتى دخل على الترك أذربيجان، وتبع فلّهم حتى أوغل في بلد الترك، وكتب إلى الملك الرائش يخبره بما فتح وسبى وما احتوى من الأموال..»(١).

ويعطينا ذلك الأساس لإدراك أنه حكم مع أبيه في عهد أبيه (١٤٧٠ ـ ١٤٣٢ ق.م.) ثم حكم بعد وفاة أبيه إلى حوالي سنة ١٤١٨ ق.م. وقد جاء في كتاب الإكليل للهمداني أن «الملك شمّر هو تُبّع الأكبر.. وضربت به العرب الأمثال وسمّوه تُبّع الأكبر لمحبتهم إياه.. ولعظم مُلكه»(٢). وذكر الهمداني: «الصعب ذو القرنين بن الحارث الرائش ذي مرائد»(٢) وجاء في شرح قصيدة نشوان: «ذو القرنين الصعب بن ذي مرائد وهو الذي مَلَكَ بعد تُبّع الأكبر»(١) وقال نشوان: «الملك الرائد وهو الذي يُسمى تُبّعاً الأكبر لعِظم مُلكه»(١).

ويتبين من ربط تلك النصوص ومن تصويب ما وقع من اللبس بسبب تشابه الأسماء أو الألقاب، أن الملك شمّر ـ ذا الجناح الأكبر ـ هو تُبّع الأكبر وهو الملك الرائد ـ ذو مرائد ـ والد ذي القرنين الصعب بن شمّر الرائد بن الحارث الرائش. وعنه قال نشوان في قصيدته عن التبابعة:

والرائدُ الملكُ المتوَّجُ تُبَّعُ ... مَلِكٌ يَرودُ الأرضَ كالمسّاح
فَتحَ المدائنَ في المشارقِ وانتحىٰ ... للصينِ في بَرّيةٍ وبَراح
فأذاق يعبرَ حَتْفَه فدحى به ... في قعرِ لحدٍ للمَنيَّة داحي
وأحلّ مِن يَمَنٍ بتُبَّتَ مَعشراً ... أضحوا بها عنّا من النُّزاح
والتُّركُ قبل الصينِ كان لهم به ... يومُ شَتِيمُ الوجهِ والأكلاح

ثم قال نشوان الحميري: «هذا الملك الرائد وهو الذي يُسمى تُبّعاً الأكبر لعظم مُلكه وشدة وطأته. أتاه عن الترك ما ساءه من تطاولهم على من ببابل، وتناولهم لأطاريفه، فسار إليهم على أرض نجد ثم على جبليّ طيىء ثم على الأنبار، وهو الطريق الذي يسلكه الرائش، فلقيهم في حد أذربيجان فهزمهم وأذرع القتل فيهم وأسر منهم وسبى، ثم جال في بابل وخراسان وفارس، ثم

(١) السيرة الجامعة ـ شرح قصيدة نشوان الحميري ـ ص٦٦ و ١١٢ و ١١٤.
(٢) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص٢١٢ و ١٨٧ جـ٨.

توجه نحو الصين فافتتحها وأخذ ما كان من الأموال وقتل ملكها يعبر، وأقام بها مدّة ثم قَفَل، وخلف في التبت جيشاً عظيماً رابطة ـ أي مرابطين ـ.. ثم آلى يميناً لا يدع أرضاً مما حواه من أرض الأعاجم وغيرهم إلا ترك فيها رابطة وعسكراً من قومه. ففعل، وذلك حين رجوعه من الصين». [ص١١٤ ـ ١١٥].

الدلائل والقرائن على صحة ما ذكره المؤرخون العرب عن فتوح تُبّع شمّر الرائد:

١ ـ إن مسير واجتياح تُبّع شمّر الرائد لأرض بابل وفارس وآشور كان مع أبيه الحارث الرائش وقد ترتب على ذلك إزالة حكم ونفوذ الحثيين (الترك) منها، من جهة، وتوطين قبائل آرامية وحاميات وروابط عسكرية فيها من جهة أخرى. ويتبين من البحث في دراسات تلك الفترة وقوع الأمرين كليهما، حيث عبّرت الدراسات عن زوال حكم ونفوذ الحثيين بلفظ «انسحاب الحثيين المفاجىء من بلاد النهرين». وذكرت الدراسات الأثر السكاني والسياسي الذي ترتب على ذلك بلفظ (هجرة الآراميين) وأنهم «أغاروا على بلاد بابل وبلاد آشور جميعها، ثم تدفقوا من آشور إلى سوريا». وجاء في كتاب الأمم السامية أنه: «من المرجح أن ذلك يرجع إلى قيام دولة كبرى جنوب الجزيرة العربية»(١). وقد كان الهدف الرئيسي من ذلك هو تكوين مستوطنات تجارية وضمان المصالح والطرق التجارية وبسط السيادة عليها. وقد تمّ ذلك من خلال ما أشار إليه المؤرخون العرب الأوائل بقولهم إن الملك تُبّع «لم يدع أرضاً مما حواه من أرض الأعاجم وغيرهم إلا ترك فيها رابطة وعسكراً من قومه». وهم الذين تذكرهم الدراسات باسم (الآراميين الساميين). وقد استقروا بمناطق من بلاد بابل وآشور وسوريا منذ القرن الخامس عشر ق.م. ويرتبط بذلك أيضاً ما دلت عليه ألواح ودراسات آشور عن التقدم داخل بلاد الحثيين ووقوع «تأسيس مستعمرات ومستوطنات تجارية في الأجزاء الشرقية من بلاد الأناضول في عهد الملك أريشم».

٢ ـ إن الحدث الرئيسي في أنباء الحارث الرائش وتُبع شمّر الرائد عند المؤرخين العرب الأوائل هو أن الرائش سار غازياً إلى بلاد الهند وأوطن قوة وقبائل من قومه بأرض السند والهند. وأن تُبّع شمّر الرائد مضى من بابل وفارس إلى الهند ثم توجه نحو الصين وأوطن قوة وقبائل من قومه في بلاد التبت بالصين. قال نشوان الحميري: «دخل الرائش أرض الهند وسار معه يعفر بن

(١) الأمم السامية ـ حامد عبد القادر ـ ص١٠٥.

عمرو في خيل عظيمة.. ثم خَلَفَ الرائش يعفراً في اثني عشر ألفاً بأرض الهند، وأمره ببناء مدينة هناك فابتنى مدينة لم ير مثلها، وعاد الرائش إلى اليمن بالغنائم العظيمة».

ـ وقد تكرر ذلك مرة ثانية في عهد الرائش الثاني باران ذي رياش، فدمج المؤرخون الأوائل بين مسير الرائش الأول والرائش الثاني إلى أرض الهند والسند لتشابه الاسم والخبر مع صحة الواقعتين عند المؤرخين العرب الأوائل ـ. وقال نشوان الحميري: « ..توجه تُبّع الرائد نحو الصين فافتتحها وأخذ ما كان من الأموال وقتل ملكها (يعبر) وأقام بها مدّة، وخلّف في التبت جيشاً عظيماً رابطة..» [ص١١٤] وقد تكرر ذلك أيضاً مرة ثانية في عهد شمّر يرعش فدمج المؤرخون الأوائل بينهما لتشابه الاسم والخبر، فقال الهمداني في الإكليل: «تُبّع شمّر يرعش هو تُبّع الأكبر.. وبلغ مفازة من أرض الصين، ولم يبق من قومه بها إلا أهل التبت، سكنوا تلك الأرض إلى الآن». [ص٢١٣/٨].

ومؤدى ذلك أن المؤرخين العرب الأوائل دمجوا بين ثلاث موجات بشرية يمانية إلى تلك البلاد، أولها في عهد الحارث الرائش وتُبّع شمّر الرائد ـ بالقرن الخامس عشر ق.م. ـ وثانيها في عهد الرائش باران ذي رياش ـ بالقرن الثاني عشر ق.م. ـ وثالثها في عهد شمّر يرعش بن ياسر يُنعم بالقرن التاسع ق.م.

وبالبحث في دراسات تاريخ الهند والسند والعصور القديمة، فقد تبينت لنا الدلائل والقرائن التالية:

ـ جاء في كتاب تاريخ الشعوب والحضارات أنه: «كانت تسكن شبه القارة الهندية شعوب بدائية قديمة يميل لونها إلى اللون الأسود وهم الدرافيديون DRAVIDIANS وما تزال سلالتهم الباقية في مناطق من بلاد الهند تحمل نفس ملامحهم القديمة. ثم جاءت إلى الهند في القرن الخامس عشر قبل الميلاد قبائل بشرتهم سمراء وملامحهم كملامح شعوب البحر المتوسط، وقد جاءوا إلى الهند كغزاة من خلال الممرات الشمالية الغربية للهند إلى منطقة البنجاب PUNJAB فانتشروا وتوطنوا في البنجاب ومدراس وميسور وكشمير وراجستان وكانت مدينة موقع «موهنجودارا» أول المدن التي أسسوها في الهند.. ولما وطّدوا سلطانهم في الشمال على سهول السند والجانح الشاسعة أخذوا ينتشرون جنوباً (ربما منذ القرن الثاني عشر ق.م.) فنشروا سيادتهم وحضارتهم في أرجاء شبه القارة الهندية وأسسوا مدناً مزدهرة كان أولها مدينة هارابه HARAPA وانتشرت

حضارتهم (ومنها أنشطتهم التجارية) من تلال سملا في الهند إلى بحر العرب»[١].

ومدينة هارابه ذكرها المؤرخون العرب بلفظ (أرابه) فقال نشوان عن فتح الرائش بن قيس بن صيفي لبلاد الهند:

وبَنَى بأرضهم مدينة رابة ... فيها الجباة لعامل جرّاح

ـ وجاء في كتاب (الحضارات السامية) لموسكاتي ما يلي: «أتاحت القواعد التجارية التي أقامتها الممالك اليمنية على سواحل الهند والصومال أن يحتكر اليمنيون البضائع التجارية في إفريقيا وآسيا»[٢] وقال د. أبو العيون بركات: «كان اليمنيون وسطاء التجارة بين مصر وما بين النهرين والبنجاب»[٣].

ـ إن بلوغ الحملات والمستوطنات التجارية اليمانية بلاد الهند منذ عهد الحارث الرائش يعطينا الأساس لما ذكره المؤرخون العرب عن مسير وبلوغ تُبّع شمّر الرائد إلى الصين وأنه حارب وهزم ملكها يعبر (ياع بر) ووصل «إلى أرض فيها شجر وماء ومروج وهي بلاد التبت فأوطن بها ثلاثين ألفاً من قومه فعمروها وتملكوها». قال المسعودي في مروج الذهب: «بلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين، وسُمّيت التبت بمن ثبت ورتب فيها من رجال حمير وتُبّع. وقد كان التبّتيون يُسمّون ملوكهم تُبّع في قديم الزمان وذلك اتباعاً لاسم تُبّع ملك اليمن، ثم إن الدهر ضرب ضرباته، فتغيرت لغتهم عن الحميرية إلى لغة تلك البلاد ممن جاورهم من جنس الترك»[٤].

وقد أشار نشوان الحميري إلى الذين أوطنهم تُبّع شمّر الرائد الأكبر هناك بقوله:

وأحلّ مِن يَمَنٍ بِتُبّت مَعشراً ... أضحوا بها عنّا من النُزّاح

ثم أوطن شمّر يرعش بن ياسر يُنعم موجة ثانية من اليمانيين هناك ـ بالقرن التاسع ق.م. ـ فاستمر حكمهم بالهند والتبت عدة قرون، وقد جاء في نقشٍ من عهد شمّر يرعش بمحرم بلقيس باسم القائد القيل (وفي أحبر بن حباب) أنه «شايع سيّده شمر يُهرعش ملك سبأ بكل غزواته إلى خيونه، وضدخن، وتمنعم، ونبعت»[٥]

(١) تاريخ الشعوب والحضارات ـ ترادكسيم ـ ص٣٤٠.
(٢) الحضارات السامية ـ موسكاتي ـ ص١١٧.
(٣) بونت بين المصادر المصرية والبنية القديمة ـ د. أبو العيون بركات ـ اليمن الجديد ـ العدد ٢/ ١٥ ـ فبراير ١٩٨٦م.
(٤) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص١٥٧/٢.
(٥) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ النقش رقم ٦٤٩ جام.

وقد جاء ذكر (نبعت) في الألواح الآشورية بلفظ (نبيت NAPIATE) وأنها (أبعد أرض)[1].

٣ ـ إن الملك تُبّع شمّر الرائد الأكبر بعد عودته من تلك الغزوات وتكوينه المستوطنات التجارية التي امتدت إلى التبت وغيرها، قام بما أشار إليه ابن خلدون من أن الملك شمّر «هو الذي بَنَى مدينة ظفار وأجلى منها العمالقة». والمقصود بالعمالقة قبائل كنعان التي كانت ما تزال باليمن، ويتبين من دراسات تاريخ سوريا القديم أن موجة من قبائل كنعان جاءت من جنوب الجزيرة العربية بالقرن الخامس عشر ق.م. ومنهم الكنعانيون الذين سكنوا أوغاريت (أجاريت) وأسسوا مدينة وحضارة أوغاريت بمنطقة الساحل السوري[2] وقد استمرت أوغاريت الكنعانية من حوالي ١٤٣٠ ق.م. إلى ١٢٠٠ ق.م. وكانت تحكم منطقة الساحل السوري.

تأسيس مدينة ظفار:

إن من أهم ما حفظه لنا المؤرخون العرب الأوائل من أخبار ذلك الزمن التليد هو بناء مدينة ظفار في عهد الملك تُبّع شمّر الأكبر. ويعطينا ذلك الأساس لتحديد زمن تأسيس وبناء ظفار بعهد ذلك الملك العظيم تُبّع شمّر الرائد بن الحارث الرائش (سنة ١٤٣٢ ـ ١٤١٨ ق.م.) ـ في الربع الأخير من القرن الخامس عشر ق.م. ـ وكانت يومئذ بمثابة ثالث ثلاث مدن عواصم باليمن وهي مدينة مأرب حيث القصر سَلْحِين، ومدينة أزال ـ التي أُعيد تشييدها فيما بعد بالعصر الثالث وسُميت صنعاء وبها القصر غُمدان ـ ومدينة ظفار: وتقع على بعد خمسة عشر كيلومتر جنوب شرقي مدينة يريم في مديرية السدة بالمنطقة الوسطى بمحافظة إب حالياً. وقد اقترن ذكر مدينة ظفار بالقصر ريدان، وكان بناء ريدان في عهد الملك حمير الأصغر وهو (حمير ذو ريدان) وهو خامس الملوك التبابعة وكان عهده في الفترة (١٣٤٠ ـ ١٣٢٢ ق.م.) بالنصف الثاني من القرن الرابع عشر ق.م.

وجاء اسم القصر ريدان بمدينة ظفار في نقوش ملوك العصر الثاني لملوك سبأ التبابعة منذ عهد (ذمر علي وتار يُهنعم ملك سبأ وذو ريدان) وهو الثاني عشر من الملوك التبابعة وقد حكم في الفترة (١٢٠ ـ ١٣٠ للتقويم السبئي) ـ بأوائل

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د. جواد علي ـ ص٥٩٤ جـ١.

(٢) أطلس التاريخ ـ شوقي خليل ـ ص٢٣.

القرن الحادي عشر ق.م. ـ ولم تزل مدينة ظفار والقصر ريدان ثاني المدن والقصور العواصم لدولة وملوك سبأ التبابعة إلى نهاية عصور لقب (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانت.. الخ) في نقوش المسند، ثم كانت ظفار أهم عواصم الدولة الحميرية. وجاء آخر ذكر لمدينة ظفار في نقش باسم (شراحيل ذي يزن) مؤرخ بالعام ٦٣٣ حميري الموافق ٥١٨ ميلادية. وبذلك فقد استمرت ظفار مدينة عاصمة زهاء ألفي سنة من التاريخ الحضاري التليد، وهي اليوم أنقاض تضم في طياتها ومدافنها وجبالها كنوزاً أثرية تنتظر التنقيب الأثري الأمين.

وفاة تُبّع شمّر الأكبر الرائد:

وقد توفي تُبّع شمّر الأكبر الرائد حوالي سنة ١٤١٨ ق.م. وكان الناس يضربون به المثل عبر الأزمنة والعصور. ومن ذلك قول قس بن ساعدة الأيادي:

لا تأمنن مكر الزمان فإنه ... أودى الزمان بشمّر الصيّاح
من بعد مُلك الصين أصبح هالكاً ... أكرم به من فاتح مُجتاح

ويُقال أنه دُفن في أحد جبال مدينة ظفار، وذلك ليس ببعيد.

٣ ـ الصعب ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم (١٤١٨ ق.م. ـ ١٣٥٠ ق.م.)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ ـ صدق الله العظيم ـ [الكهف: ٨٣ ـ ٩٨].

وهو الملك تُبّع الصعب ذو القرنين ابن شَمّر الرائد ذي مراثد بن الحارث الرائش. ثالث ملوك اليمن التبابعة. وهو الذي حكم بعد تُبّع الرائد الأكبر ٦٨ سنة. يكون ذلك من ١٤١٨ ـ ١٣٥٠ ق.م. ـ بالقرن الخامس عشر والقرن الرابع عشر قبل الميلاد ـ وقد كان العرب قبل الإسلام وفي الجاهلية يذكرون ويعرفون ما تناهى إليهم من أنباء ذي القرنين وأنه (الصعب ذو القرنين). قال الهمداني: «وفيه يقول قس بن ساعدة:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً   بالحنوِّ بين ملاعب الأرياح

..وفيه يقول طرفة بن العبد ـ الجاهلي ـ:

وللصعب أسبابٌ تجلّ خطوبها   أقام زماناً ثم بادت مطالبه
إذا الصعب ذو القرنين أرخى لواءه   إلى ملك الشامات قامت نوادبه»[١]

سبب الاختلاف حول ذي القرنين:

وقد ذكر المؤرخون العرب ورجال العلم عدة ملوك بأن كل واحد منهم (ذو القرنين) ويعود أكثر ذلك إلى خلاف في النسب والترتيب للملوك، ويتمثل الاختلاف الجوهري في وجود ثلاثة ملوك، قيل عن كل واحد منهم أنه (ذو القرنين) وأنه (المذكور في القرآن الكريم) وهم:

١ ـ الصعب ذو القرنين بن تُبّع الرائد ذي مراثد بن الحارث الرائش. وقد يقع في نسبه عند المؤرخين العرب تقديم وتأخير يسير، ومثال ذلك قال الهمداني في الإكليل: «الصعب ذو القرنين بن الحارث الرائش ذي مراثد» ثم قال في موضع آخر «الصعب ذو القرنين بن ذي مراثد» وأنه «لم يظهر الخضر عليه السلام إلى أحد بعده إلا إلى موسى بن عمران النبي عليه السلام». [١٩٠/ ٨] ـ ويؤكد ذلك الزمن سالف الذكر للصعب ذي القرنين وهو (١٤١٨ ـ ١٣٥٠ ق.م.) ـ القرن الخامس عشر والقرن الرابع عشر قبل الميلاد لأن النبيّ موسى في القرن الثالث عشر ق.م.

٢ ـ تبّع الأقرن ياسر يُنعم. قال نشوان الحميري: «هذا الملك تُبّع الأقرن بن شمر يُرعش. وكثير من حمير يرى أن هذا الملك هو ذو القرنين المذكور في القرآن.. قال قومُ من حمير: هو ياسر بن عمرو..» [ص ٩٦] وقد تبين لنا من النقوش أنه «ياسر يُهنعم ـ الثالث ـ ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص١٩٥ جـ٨.

ويمانت». وقد حكم في الفترة ٤٨٦ ـ ٥٠٥ للتقويم السبئي (٧٣٤ ـ ٧١٥ ق.م.). بالقرن الثامن ق.م. وقد كان من عظماء الملوك وبلغ في غزواته بلاد وادي الياقوت، ولكنه كان يؤمن بتعدد الآلهة ـ كما سيأتي في المبحث الخاص بعهده ـ فليس هو المذكور في القرآن.

٣ ـ الإسكندر المقدوني اليوناني. وقد شاع في كتب التفاسير القول بأنه ذو القرنين المذكور في القرآن. قال نشوان الحميري: «وقد روى بعض العامة من العجم أن الإسكندر بن فيلُبس هذا باني سد يأجوج ومأجوج، ولم يوغل هذا في الشمال.. ومما يدل على أنه ليس بذي القرنين الذي ذكره الله عز وجل في كتابه.. أن مُلكه كان خمس عشرة سنة، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة، وكان مؤدبه أرسطاليس الحكيم..» وقد أخذ الحافظ ابن كثير في التفسير وفي البداية والنهاية بأن ذا القرنين هو الإسكندر، ولكنه افترض وجود إسكندر يوناني أقدم ينطبق عليه أن يكون ذو القرنين المذكور في القرآن فقال: «كان الأول مؤمناً صالحاً وملكاً عادلاً وكان الخضر عليه السلام وزيره وقد كان نبياً على ما قررناه. وأما الإسكندر بن فيلبس المقدوني اليوناني فكان قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان مشركاً وكان وزيره أرسطاطاليس. وقد كان بين زمانهما أزيد من ألف سنة، فأين هذا من هذا، لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور»[١]. وبما أنه لا يوجد في تاريخ وملوك اليونان إلا الإسكندر بن فيلبس المقدوني الذي حكم سنة ٣١٦ ق.م. جاء في هامش صفوة التفاسير ما يلي: «المرجح أن ذا القرنين ملك مسلم من ملوك اليمن»[٢] وننتهي من ذلك إلى التمييز التالي بين ذي القرنين المذكور في القرآن والإسكندر المقدوني:

أ ـ أن ذا القرنين المذكور في القرآن كان مؤمناً بدين التوحيد الحنيف، بينما كان الإسكندر المقدوني مشركاً وثنياً كافراً. قال الحافظ ابن كثير: «كان ذو القرنين مؤمناً صالحاً، وقيل: كان نبياً، وقيل: رسولاً. وقد روي عن جابر عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: كان ذو القرنين نبياً»[٣].

وقد سلف أيضاً قول السهيلي: «كان الحارث الرائش مؤمناً» وكذلك كان

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٠٦ جـ٢.
(٢) صفوة التفاسير ـ محمد الصابوني ـ تفسير سورة الكهف ـ ص٢٠٣ جـ٢.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٠٦ جـ٢.

تُبّع شمّر الرائد الأكبر، قال الهمداني في الإكليل: «تُبّع شمّر.. هو تُبّع الأكـ
الذي ذكره الله في القرآن»[1]. ثم كذلك كان نجله الصعب ذو القرنين مؤمناً وقيل: كان نبياً.

ب ـ أن زمن ذي القرنين المذكور في القرآن الكريم كان ـ كما ذكر الحافـ
ابن كثير ـ قبل الإسكندر المقدوني بألف سنة. فالإسكندر المقدوني كان فـ
القرن الرابع قبل الميلاد بينما كان ذو القرنين في القرن الرابع عشر قبل الميلا
وهو زمن الصعب ذي القرنين وكان قبل النبي موسى بمائة وخمسين سنة
ولذلك قال الهمداني في الإكليل: «لم يظهر الخضر عليه السلام إلى أحد بعـ
الصعب ذي القرنين إلا إلى موسى النبي عليه السلام».

جـ ـ أن اسم ولقب ذي القرنين اسم عربي يماني، ومثل ذلك أسماء كثـ
من ملوك اليمن الحميريين مثل باران ذو رياش، وذو المنار، وذو الأذعار، وذ
نواس، وذو يزن، وذو رعين. وليس عند العجم واليونان مثل تلك الأسماء.

ويتحقق من ذلك كله أن ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم هو الملك
الصعب ذو القرنين بن تُبّع الأكبر ذي مراثد بن الحارث الرائش. وكان هو أو
من اتخذ وارتدى خوذة ذات قرنين من النحاس أو البرونز فقيل لـ
ذو القرنين، وذلك هو أصل ما جاء في كتاب البداية والنهاية بأنه « ..كان لـ
قرنان من النحاس في رأسه».

نبأ رحلة الصعب ذي القرنين إلى مغرب الشمس:

لقد كان الصعب ذو القرنين منذ بداية عهده ملكاً لدولة كبرى عظيمة لأ
اليمن وبقية الجزيرة العربية كانت قد استوثقت للحارث الرائش وقاد هو ومعه تُـ
شمّر الرائد غزوات وفتوحات خارجية واسعة، وأوطَنَا الروابط العسكرية والقبائـ
الآرامية القحطانية في بلاد بابل وآشور والشام وأسسا المستوطنات التجارية فـ
أرجاء واسعة امتدت إلى الهند والتبت وبلاد الأناضول. ولذلك كانت دولة سـ
عندما تولى عرشها الصعب ذو القرنين دولة عظيمة يمتد نفوذها إلى أرجاء واسـ
من المعمورة.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُـ
شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ أي وسعنا مملكته في البلاد وأعطيناه من آلات المملكة ما يستعين

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢١٠ جـ٨.

على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة والمقاصد الجسيمة وآتيناه علماً بطلب أسباب المنازل.. وقد أنشد بعض الحميريين شعراً يفتخر بكونه أحد أجداده فقال:

قَد كانَ ذو القَرْنَيْنِ جدّي مُسْلماً مَلكاً تدينُ له الملوكُ وتَحشِدُ
بلغَ المشارقَ والمغاربَ يَبتغي أسبابَ أمرٍ مِنْ حكيمٍ مُرشِدِ»[1]

وأورد الفخر الرازي في تفسيره هذا الشعر هكذا:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب ملك من كريم سيد[1]

والبيت الثاني في الإكليل:

طاف المشارق والمغارب عالماً يبغي علوماً من كريم مُرشد[2]

فمسير ذي القرنين إلى المغارب والمشارق لم يكن للغزو وإنما كان رحلة علمية استكشافية وقد «كان عالماً حكيماً بمعالم الأرض ومنازلها وأعلامها وبالقرانات والنجوم».

وقد بدأت رحلة الصعب ذي القرنين بمسيره من عاصمة سبأ في اليمن بموكب عظيم وجيش كثيف إلى الشام، فسلك الطريق الذي سلكه الحارث الرائش وهو «طريق نجد وجبلي طيىء حتى خرج ما بين العراق والجزيرة ـ الفراتية ـ فنزل بالموصل». والمقصود بالموصل بلاد وعاصمة آشور فأقام بها فترة ثم سار منها إلى سوريا ومناطق ساحل الشام ومنها إلى سيناء ثم إلى مصر. قال الشاعر طرفة بن العبد الجاهلي:

وللصعب أسباب تجلّ خطوبها أقام زماناً ثم بادت مطالبه
إذا الصعبُ ذو القرنين أرخى لواءه إلى ملك الشامات قامت نوادبه
يسير بوجه البحر والجيش حفّه وتمضي على وجه البلاد كتائبه[2]

وبالبحث في دراسات وواقع تلك البلدان في تلك الفترة تبين لنا ما يلي:

أ ـ كانت آشور وبلاد الرافدين تحت الملوكية العليا لملوك تذكرهم الدراسات بلقب (ملوك سوبا ـ ارتو). وقد ذهب الدارسون إلى أنهم آشوريون. وأولهم الملك (أريشم ملك سبارتو) وقد ذكر د. طه باقر أن منهم «ذو القرنين

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٠٣ جـ٢.
(٢) الإكليل ـ الهمداني ـ ص١٩٨ جـ٨.

الآشوري» ـ وهو ثالثهم ـ ونرى أن (سبأ ـ أرتو) هي (أرض سبأ) وأن (ذ القرنين) هو (ذو القرنين ملك سبأ) وكانت ملوكيته العليا تشمل آشور ولم يكن حاكماً مقيماً في آشور وإنما كان نفوذه يشملها وكان يقال له (ملك الملوك) وكانت آشور تدين آنذاك بعبادة (إله الشمس) التوحيدية.

ب ـ كانت تحكم سوريا دولة تذكرها الدراسات باسم (دولة ميتاني) كانت عاصمتها في أعالي سوريا، وأنه «حكمت مملكة ميتاني المنطقة الممتدة من البحر المتوسط إلى ميديا (في أعالي فارس) بما في ذلك آشور نحو قرن من الزمان»(*) وتذكر الترجمات اسم أول ملوكها بلفظ (تو/شار/تا). ونرى أنه قد يكون (تُبّع شمّر) مالم فهو ملك نائب له. وقد يكون ملك ميتاني هو ملك الشامات في قول طَرَفَة:

إذا الصعب ذو القرنين أرخى لواءه ... إلى ملك الشامات قامت نوادبه

وكانت مملكة ميتاني تدين بعبادة (إله الشمس) التوحيدية التي بدأت من اليمن في عهد الحارث الرائش وانتشرت إلى بلاد الرافدين والشام ومصر، وبها كان يدين الصعب ذو القرنين.

جـ ـ كان يحكم مصر في تلك الفترة الملك (أمنحوتب الثالث ١٤٠٥ ـ ١٣٦٧ ق.م.) ثم (الملك أمنحوتب الرابع ١٣٦٧ ـ ١٣٥٠ ق.م.) وتذكر دراسات تاريخ مصر الفرعونية أن ديانة عبادة الإله الشمس ـ والصواب (إله الشمس) ـ دخلت مصر في تلك الفترة وأنه «أقام الملك أمنحوتب الثالث معبداً لتلك الديانة الجديدة في مدينة طيبة التي كانت مقر عبادة الإله المصري آمون»(*) بينما قام أمنحوتب الرابع ببناء مدينة العمارنة واتخذها عاصمة للدولة وللديانة التوحيدية الشمسية الجديدة.

وقد تم العثور في موقع سرابيط الخادم بسيناء على نقش مصري هيروغليفي للوزير (سويك حتب) ـ وزير الملك أمنحوتب الثالث ـ يذكر وصول واستقبال عظماء بلاد اليمن «عظماء بلاد بونت تانترايس ـ أرض الإله إيس إله الشمس ـ وصلوا ودخلوا بسلام إلى مصر. في السنة ٣٦ من حكم أمنحوتب»(١). ونرى أن لذلك النقش علاقة بوصول الملك الصعب ذي القرنين وموكبه العظيم إلى مصر. ولا بد أنه أقام فترة في مصر وعاصمتها مدينة طيبة في ضيافة الملك أمنحوتب الثالث.

(*) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ د. أبو المحسن عصفور.
(١) بونت بين المصادر المصرية واليمنية القديمة ـ د. أبو العيون بركات.

ثم مضى ذو القرنين بموكبه العظيم وجيشه الكثيف من مصر إلى المناطق الساحلية من بلاد المغرب [وهي ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب ـ موريتانيا] حتى بلغ موضعاً في أقصى المغرب يقال له (وادي الرمل) وهو منطقة رمال كثيفة كان المعروف أنه لا يوجد فيها ولا بعدها شيء له روح ولا نبات وأنها منتهى مغرب الشمس، وكان الاكتشاف الأول الهام لرحلة ذي القرنين أنه وجد فيما يلي تلك البلاد الرملية قوماً، وأن الشمس تغرب في بحر عظيم بعد تلك المنطقة لم يكن وجوده معروفاً من قبل وهو المحيط الأطلسي. قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ صدق الله العظيم [الكهف: ٨٦ ـ ٨٨].

قال الحافظ ابن كثير: «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾ يعني من الأرض، انتهى ذو القرنين إلى حيث لا يمكن أحداً أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات(١)، وشاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته ﴿تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ والمراد بها البحر، فإن من كان في البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه ولذلك قال ﴿وَجَدَهَا﴾ أي في نظره ولم يقل فإذا هي تغرب في عين حمئة، ومَنْ زَعَم مِن القُصّاص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشي بجيوشه في ظلمات مدداً طويلة فقد أخطأ وأبعد النجعة وقال ما يخالف العقل والنقل»(٢).

وقد مكث ذو القرنين بمناطق وجزر ساحل المحيط الأطلسي نحو سنتين يستكشف تلك الأرجاء ويبعث منها الجنود والسرايا براً وبحراً إلى ما يليها من المناطق والسواحل ـ سواحل البحر المتوسط الأوروبية ـ لاستكشافها، وربما أيضاً لتأسيس المستوطنات التجارية في بعض تلك المناطق والجزر والسواحل، وتوطين بعض العساكر والعشائر من الجيش الكثيف الذي معه كمستوطنات تجارية فيها. وكان يراقب طلوع وغروب الشمس في سواحل وجزر المحيط والبحر بحساب علم القرانات والنجوم ومعالم الأرض. قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

لقد كان قَحْطَانُ النَّدى القرم جدّنا ... له منصب في رافع السُّمك يُشهرُ
ينال نجوم السعد إن مدّ كفّه ... تقلُّ أكفٌّ عند ذاك وتَقْصُرُ

(١) الجزائر المسماة بالخالدات هي جزر الكناري وتقع في مواجهة ساحل المغرب بالمحيط الأطلسي.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٠٧ جـ٢.

ورثنا سناء منه يعلو ومحتداً ... منيف الذُرىٰ سامي الأرومة يُذكَرُ
إذا انتسبت شُوس الملوك فإنما ... لنا الراية العليا التي ليس تُنكَرُ
لنا مُلكُ ذي القرنين ما نال مُلكه ... من البشر المخلوق خلقٌ مُصورُ
بواتر يتلو الشمس عند غروبها ... لينظرها في عينها حين يدخر
ويسمو إليها حين تطلع غدوة ... فيلمحها في برجها حين تظهر
وكيلا بأسباب السماء نهاره ... وليلا رقيباً دائماً ليس يفتر
. . وفي سبأٍ هل كان عِزٌ كعزّهم ... لهم حسبُ محضُ لُبَابُ وجوهرُ
وأسعدُ كان الناس تحت سيوفه ... حَوَاهُم بِمُلك شامخ ليس يُقْهَرُ
تَوَاضَعُ أشرافُ البريّة كلها ... إذا ذُكِرت أشرافها الصِيد حِمْيَرُ»(١)

وقد توهم البعض أن رحلة ذي القرنين استغرقت مئات السنين، والصحي ما جاء في البداية والنهاية من أنه «سَلَكَ ذو القرنين طريقاً من المغرب إل المشرق ورجع في اثنتي عشرة سنة». [ص١٠٨/٢] فقد استغرقت رحلة ذ القرنين إلى المغرب وساحل المحيط الأطلسي نحو ست سنوات بما في ذل فترات مكوثه بالشام ومصر والمغرب وسواحل وجزر البحر المتوسط والمحي وتأسيس مستوطنات تجارية فيها، ثم عاد بموكبه العظيم من المغرب إلى مص وآشور ومضى منها إلى الشرق.

رحلة ذي القرنين إلى أقصى الشرق (مطلع الشمس):

لقد اتّبع وسَلَكَ الصعب ذو القرنين سبباً - أي طريقاً - وسار بموكبه العظي وجيشه الكثيف إلى أقصى الشرق عن طريق آشور وبابل ثم ميديا - ببلاد فارس ثم البنجاب ببلاد السند والهند حتى دخل ذو القرنين بلاد الصين والتبت. ر كان لدولة سبأ وللآراميين مستوطنات تجارية بتلك البلدان منذ عهد الحار الرائش وتُبّع شمّر الرائد فبلغ ذو القرنين تلك البلدان. قال شاعر من الحميري في أبيات بالإكليل:

يا صعب حقاً كل شيء هالكُ ... إلا الإله الواحد المعبودا
أُعطِيت ما لم يُعط قبل قائمُ ... وجمعت جمعاً كالدَّبَىٰ محشودا
وبلغت أعلام المشارق كلها ... أبقى لِمَن أبقى بهنّ حدودا
وعلى بني حام غدوت بسطوةٍ ... بالصين حتى بذّوا تبديدا

(١) السيرة الجامعة - شرح قصيدة نشوان - ص٩٩.

ولقيتَ تحت الشمس قوماً خلتهم ... تحت الظلام خنازراً وقرودا
فلقد كشفتَ الناس عن أخلاقهم ... ورأيت منهم طارفاً وتليدا

ومضى الصعب ذو القرنين حتى بلغ منطقة من ساحل الصين ووجد واكتشف أن الشمس تطلع من بحر هناك ووجد هناك أيضاً قوماً، وكان المعروف قبل ذلك أن لا بشر ولا حياة بعد مفازة الصين، فكشفت رحلة ذي القرنين وجود بشر يسكنون هناك وأن الشمس تطلع من بحر هناك عظيم قد يكون المحيط الهادي. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ صدق الله العظيم [الكهف: ٩٠، ٩١].

فاستكشف ذو القرنين تلك الأرجاء من الشرق الأقصى، وتوفرت له معلومات ومعارف هامة عن الجغرافيا الطبيعية والبشرية لأرجاء المشارق حتى مطلع الشمس. قال الهمداني في الإكليل: «قال أسعد تُبّع الحميري:

جَدِّيِ الخير حين تُذكرُ بلقيسُ ... ومَنْ نال مطلع الشمس جدي»

وقد رجع ذو القرنين من مطلع الشمس إلى بابل وآشور وأرض وعاصمة سبأ في السنة الثانية عشرة من بداية رحلته إلى المغرب، وذلك حوالي سنة ١٣٥٧ ق.م. ثم استخلف صيفي بن شمّر، وسار قاصداً شمال الأرض.

رحلة ذي القرنين إلى شمال الأرض وما بين السدين:

سار الملك الصعب ذو القرنين بموكبه العظيم إلى آشور وإلى أعالي سوريا - أرض مملكة ميتاني الحليفة لسبأ - ومضى منها شمالاً حتى بلغ المنطقة المذكورة في القرآن بلفظ «بين السدين». قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية « . . تلك البلاد في جهة الشمال في زاوية الأرض الشرقية الشمالية». [ص١١١/٢] ويقترن ذكرها بأرض الظلمات ووادي الياقوت. قال نشوان الحميري في أبياته عن ذي القرنين:

وغزا وراء الروم يبغي وادي ... الياقوت صاحب عزة وطَمَاح

والمقصود بقوله (وراء الروم) هو (وراء بلاد الأناضول) أي في شمالها، في الجهة الشرقية الشمالية وهي بلاد القوقاز وكان في شمالها أرض غير مسكون يذكرها المؤرخون العرب باسم أرض الظلمات. قال نشوان: «وهو وادي وموضع الظلمات، ولا يكون مظلماً إلا إذا بعدت عنه الشمس في أيام الشتاء فتصير تلك الأيام ليلًا بلا نهار» وفي تلك الأرض أو ما يليها (وادي الياقوت). وربما أنها (منطقة ياقوتيا في أعالي القوقاز بروسيا حالياً) - وكان قد سار مع ذي القرنين من الشام الخضر عليه السلام. جاء في البداية والنهاية أنه: «كان الخض

عند ذي القرنين بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير». قال ابن كثير: «وقد ذكر ابن عساكر: أن ذا القرنين ذهب في طلب عين الحياة وجعل الخضر على مقدمته فانتهى الخضر إليها في وادٍ في أرض الظلمات فشرب منها ولم يهتد ذو القرنين إلى مكانها». [ص١٠٧/٢]. ولعل أصل ذلك أن ذا القرنين لما بلغ وأجاز أرض الظلمات وجد في وادي الياقوت (نبع ماء) فشرب منه الخضر ولذلك قيل أنه (عين الحياة). ولم يكن مسير ذي القرنين بحثاً عن تلك العين وإنما كان امتداداً لرحلته الاستكشافية، وكان المعروف أن لا حياة ولا بشر في أرض الظلمات وما يليها، فلما اجتازها ذو القرنين اكتشف وجود قوم يسكنون هناك وعرف منهم أن بعد منطقتهم أيضاً أرض قبيلة يأجوج ومأجوج وأنهم يفسدون في الأرض بالنهب والسلب والقتل بين وقت وآخر.

قال الحافظ ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٢ ـ ٩٣] يعني غُتماً، يقال أنهم من الترك أبناء عم يأجوج ومأجوج، فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تعدّوا عليهم وأفسدوا في بلادهم وقطعوا السُبل عليهم، وبذلوا له حملاً وهو الخراج على أن يقيم بينهم وبينهم حاجزاً يمنعهم من الوصول إليهم فامتنع من أخذ الخراج اكتفاءً بما أعطاه الله تعالى من الأموال الجزيلة ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]. وهو السد بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون الخروج إليهم إلا من بينهما، وبقية ذلك بحار مغرقة وجبال شاهقة، فبناه كما قال تعالى من الحديد والقطر وهو النحاس المذاب، فجعل بدل اللّبن حديداً وبدل الطين نحاساً ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي يعلو عليه بسلالم ولا غيرها ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي بمعاول ولا فؤوس ولا غيرها، فقابل الأسهل بالأسهل والأشد بالأشد، ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أي قَدَّر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم على من جاورهم. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أي مساوياً للأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨] [ص١٠٨/٢].

وعاد ذو القرنين من شمال الأرض إلى سوريا وآشور قاصداً اليمن بعد ست سنوات من بداية مسيره ورحلته إلى الشمال، وذلك حوالي سنة ١٣٥١ ق.م..

وفاة الصعب ذو القرنين:

توفي الصعب ذو القرنين بمنطقة جنوقُراقِر من بلاد آشور ـ بالعراق ـ أو سوريا. قال الهمداني في الإكليل: «لما رأى ذو القرنين الموت وأيقن به في

قفوله يريد اليمن نُعيت إليه نفسه، وقال له الخضر عليه السلام: يا ذا القرنين انقضى الأمل وحان الأجل وبقي العمل، فحكم عليك الإياس لما هجم عليك الممات فنزل الرضا وغاب القضا وقد وعدك الله وعداً والله متمّ وعده، عَصَمَ دعاته في الدنيا من المكاره وحرمهم في الآخرة على النار. قال أبو محمد عبد الملك ابن هشام: لما نزل الصعب بن ذي مراثد بالحنو حنو قُراقِر من أرض العراق مرض ثماني ليال ثم مات، ثم غاب الخضر عليه السلام فلم يظهر إلى أحد بعده إلا إلى موسى بن عمران النبي عليه السلام[1]. وقال عبيد بن شرية الجرهمي: اختلف رأي حِمْيَر حين مات ذو القرنين بحنو قُراقِر، فَمِنهم من قال يُحمل إلى اليمن، ومنهم من قال يُدفنُ مكانه، فدُفن مكانه، وقال ابنه شعراً يتندم فيه على أن لا يكون حمل أباه حين مات إلى اليمن». [ص١٨٧/٨].

وقد نال ذو القرنين الخلود في ذاكرة شعبه وأمته عبر الأجيال قبل الإسلام وفي الجاهلية ثم ازداد خلوداً بعد الإسلام بذكر الله إياه في القرآن الكريم. ومما قيل فيه وعنه من قديم الشعر، قال النعمان ابن المعترف الحميري:

بحنو قُراقِر أمسى رهيناً ... أخو الأيام والدهر الهجانِ
لئن أمْسَتْ وجوه الدهر سوداً ... جلين بذاك للملك اليماني
إذا جاوزت من شرفات حنو ... وسرت بأيك بُرقة رحرحان
هناك الصعب ذو القرنين ثاوٍ ... ببطن تَنوفة الحنوين عاني

وقال أعشى قيس الجاهلي:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً ... بالحنو في جَدَثٍ رميم مُقيما

وكانت وفاته سنة ١٣٥٠ قبل الميلاد.

٤ ـ الملك تُبّع صِيفي بن شُمّر الرائد الأكبر (١٣٧٠ ـ ١٣٤٠ ق.م.)

هو رابع ملوك العصر الأقدم لتبابعة سبأ، الملك صِيفي بن شمّر الرائد تُبّع الأكبر. ذكره الهمداني في الإكليل بأنه «الملك تُبّع صيفي بن شمر يُرعش»[2] وقال إن «تُبّع شمّر يُرعش: هو تُبّع الأكبر الذي ذكره الله في القرآن»[3]. ويتبين من ذلك أن المقصود «تُبّع الأكبر شمّر الرائد ذو مراثد» فوقع اللبس بسبب تشابه

(١) كان النبي موسى بعد ذي القرنين بنحو مائة وعشرين سنة. فقد مات ذو القرنين سنة ١٣٥٠ق.م. وخرج النبي موسى من مصر إلى سيناء في آخر عهد الفرعون رعمسيس الثاني سنة ١٢٢٤ق.م. وعاصر الرايش الثاني باران ذو رياش ملك سبأ.

(٢) الإكليل ـ الهمداني ـ ص٢١٦ جـ٨. (٣) الإكليل ـ الهمداني ـ ص٢١٠ جـ٨.

الاسم «شمّر» بأنه (شمر يُرعش) وإنما هو شمّر الرائد الأكبر والد الصعب ذي القرنين، فالملك تُبّع صيفي هو أخو الصعب ذو القرنين.

وقد حفظ لنا المؤرخون العرب الأوائل من أنباء الملك تُبّع صيفي بن تُبّع شمّر الرائد ما يلي:

١ - «إن شمّر تُبّع الأكبر لما رجع من بلاد الصين وغيرها نزل قصر غُمدان - بمدينة أزال - وجمع أبناء ملوك حِمْيَر [الأملاك والأقيال] ووجوه العرب [وجوه قحطان] فأوصاهم وقال: إن عندنا علم مصون مكنوت نعمل بأمره ونزدجر لنهيه ونتبع الأثر ويهجم علينا الأمر، وقد غُيِّب عنّا القدر، وكلٌ إلى غاية ومدةٍ. فإذا كان ما هو كائن فإن صيفياً هو تُبّع، فإن رأيتم خيراً منه فلكم، وإن رأيتم شراً فالأمر للعامة لا للخاصة، وقَدِّمُوا عليه مَنْ هو أفضل منه»[(١)]. وبما أن الذي حكم بعد تُبّع الأكبر هو الصعب ذو القرنين يكون هو الذي قال ذلك واستخلف صيفياً بعد عودته من رحلته إلى المغرب وأقصى المشرق وقبل مسيره إلى الشمال.

٢ - قال الهمداني: «قال أبو محمد - عبد الملك بن هشام -: كان صيفي أجمل أهل زمانه وأجود التبابعة كَفّاً، فَوُلّي أهل اليمن باللطف والكرم وأقام بغُمدان عشرين سنة. ثم جمع الجيوش وسار إلى مكة كما كان التبابعة العظماء يفعلون، فنزل صيفي مكة وبعث الجيوش في آفاق الأرض، فأقام بمكة عشر سنين. .»[(٢)].

وقد تبينت لنا من البحث وربط الوقائع والقرائن المعالم التالية:

- إنّ الملك صيفي كان ملكاً نائباً لأخيه الصعب ذي القرنين منذ بداية رحلته إلى المغارب (سنة ١٣٧٠ ق.م.) حتى عودته من المشارق (سنة ١٣٥٧ ق.م.). ثم منذ استخلفه وسمّاه ملكاً بعده وسار إلى الشمال حتى وفاته (سنة ١٣٥٠ ق.م.) فالمدة المذكورة أنه «أقام صيفي بغمدان عشرين سنة». هي في نفس عهد ذي القرنين.

- وكان القصر غُمدان بمدينة أزال مقر الملك صيفي. وقد ذكر (كارل راتجنس) من القطع الأثرية اليمنية المكتوبة بالهيروغليفية والتي عثر عليها في رحلته إلى اليمن: «قطعة أثرية من الفيانس الأزرق منحوتٌ عليها الصقر ورمز الإله تم العثور عليها في صنعاء»[(٣)]. وذلك يؤكد صحة ما ذكره المؤرخون

(١) الإكليل - الهمداني - ص٢١٠ جـ٨. (٢) الإكليل - الهمداني - ص٢١٦ جـ٨.
(٣) كتاب - SABEICA كارل راتجنس - ص٢١٥.

العرب الأوائل عن وجود مدينة صنعاء - وكان اسمها أزال - ووجود القصر غُمدان في ذلك الزمان بالقرن الخامس عشر والقرن الرابع عشر ق.م. فقد ذكر الهمداني وابن شرية الجرهمي وغيرهما من المؤرخين الأوائل القصر غُمدان في أخبار الحارث الرائش وتُبّع شمّر الرائد وصيفي بن شمر والرائش الثاني باران ذي رياش - بالقرن ١٢ ق.م. - مما يعني أن مدينة أزال كانت مدينة عاصمة في ذلك العصر الأقدم والأول لملوك سبأ التبابعة وربما كانت المدينة الرئيسية لعبادة (إله الشمس) الإله (إيس) في ذلك الزمان، وأن التحول عن تلك الديانة فيما بعد أدى إلى فقدان مدينة أزال مركزها القيادي إلى أن أُعيد تشييدها وسُميت صنعاء في عهد (كرب إل وتار يهنعم وابنه هلك أمر ملكي سبأ وذي ريدان) - كما سيأتي في أنباء ونقوش عهده - بالقرن العاشر ق.م.

- وقد عاصر الملك الصعب ذو القرنين والملك صيفي الملك أمنحوتب الرابع ملك مصر (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م.) الذي قام بتشييد مدينة العمارنة في مصر وجعلها مقراً له وعاصمة لعبادة إله الشمس - بدلاً عن مدينة طيبة التي كانت مقر عبادة الإله المصري الفرعوني آمون والآلهة المتعددة - وقد ذكر د. أبو العيون بركات من القطع الأثرية المعثور عليها في اليمن وتعود إلى ذلك الزمن «جعران عليه صورة الصقر وقرص الشمس كما في آثار العمارنة بمصر. وجعران عليه قرص الشمس وهو يخرج من الأفق كما في آثار ورسوم مدينة العمارنة بمصر»[(١)].

- وقد انفرد الملك صيفي بالحكم وتم تمليكه عند وفاة الصعب ذي القرنين سنة ١٣٥٠ ق.م. وحكم عشر سنين، وهي الفترة المذكور عنها في الإكليل أنه «جمع الملك صيفي الجيوش وسار إلى مكة فنزل بها وبعث الجيوش إلى آفاق الأرض، فأقام بمكة عشر سنين». فيكون ذلك ما بين سنة ١٣٥٠ وسنة ١٣٤٠ ق.م. وبالبحث في واقع تلك الفترة فقد تبين لنا وقوع انقسامات في الدولة الخارجية الحليفة لسبأ، وخاصة مملكة ميتاني في سوريا مما أدى إلى عودة مملكة الحثيين (الأتراك) إلى غزو واحتلال بعض المناطق في أطراف سوريا وقيامها بتشجيع الانقسامات والتحولات في آشور والشام ومصر. وقد خاض الملك صيفي وجيوشه التي بعثها من الحجاز إلى بيسان والشام وغيرها حروباً بتلك الجهات، ولكنه لم يتمكن من الحيلولة دون الانقسامات والتحولات ودون سقوط القوى الحليفة التي كان يُناصرها، فقد سقطت مملكة ميتاني وامتد حكم ونفوذ الحثيين إلى الشام، وتخلت مصر عن عبادة (إله

(١) العلاقات القديمة - د. أبو العيون بركات - مجلة الإكليل - العدد ١ - السنة الخامسة - ١٩٨٧م.

الشمس) وعادت إلى عبادة آمون والآلهة المتعددة على يد توت عنخ آمون، وشملت التحولات السياسية والدينية آشور وبابل.

ـ وفي تلك الأجواء أُصيب الملك صيفي وهو بمكة بقرحة الملوك في السنة العاشرة من عهده ومسيره إلى مكة والحجاز وتوجيهه الجيوش منها إلى الآفاق. قال الهمداني في الإكليل: «أقام الملك صيفي بمكة عشر سنين، فأتاه رجل فقال له: أيها الملك رأيتُ كأنّ الشمس سقطت في سملق من هذه الجبانة فابتلعتها. قال عرّاف كان بمكة: اسكت هتك الله فمك، والله إن صدقت ليهلكنّ الملك. فلم يلبث الملك صيفي إلا يسيراً حتى اعتلّ بقرحة في وجهه فلم يقم إلا ثلاثة أيام ومات. فسميت قرحة الملوك. فكان مُلك تُبّع صيفي ثلاثين عاماً.

وقال جُلهمة ابن العرّاف الكندي ـ في زمن لاحق لذلك بكثير ـ يرثي صيفياً ويضرب به المثل:

كرُّ الليالي لآجال الفتى سَببُ — يزجي له أثرُ بالحتم موقوتا
يضحي على أملٍ يمسي على أجلٍ — بفجعة تترك الإنسان مبهوتا
لم يدفع المُلْكُ عن صيفي منيته — فمُلكه صار بعد الموت موروثا
قد كان شمساً على الآفاق مشرقة — وتاجه مُحكماً دراً وياقوتا»

وكانت وفاته حوالي سنة ١٣٤٠ ق.م. بمكة.

المبحث الثاني

الملوك بعد تُبَّع صيفي وقبل الرائش الثاني

(١٣٤٠ـ ١٢٢١ ق.م.)

٥ ـ الملك حِمْير ذو ريدان بن سبأ الأصغر (١٣٤٠ ـ ١٣٢٠ ق.م.)

لقد كان الملوك التبابعة الأربعة الأوائل ـ الحارث الرائش، وشمّر الرائد، وذو القرنين، وصيفي ـ من بني «الصوّار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر بن سبأ الأكبر».

ثم انتقلت الملوكية إلى أسرة جديدة وهم «بنو جُشم بن عبد شمس بن وائل..» وكان عميدهم «سبأ الأصغر ـ واسمه زُرعة ـ بن كعب بن سهل بن زيد الجمهور بن عمرو بن قيس بن جُشم بن عبد شمس بن وائل». ولم تذكر المصادر التاريخية التراثية عن زُرعة بن كعب سوى أنه (سبأ الأصغر) ـ تمييزاً له

عن سبأ الأكبر بن يشجب ـ إلا أن تسمية زُرعة باسم (سبأ) يشير إلى بداية زمن وتحول كبير. وغالب الظن أنه كان بمثابة نائب للملك صيفي بن شمّر الأكبر الرائد حين سار الملك صيفي إلى مكة والحجاز ومكث عشر سنين في حروب خارجية، ثم اتفق الأقيال ووجوه اليمن على أن يكون زُرعة سبأ وأن يكون ابنه سدد حِمْير ـ وهو حمير الأصغر ـ وعقدوا المُلك لحِمْيَر بن سبأ الأصغر، واتفقوا أن يكون الملوك من سلالته، وكذلك كان. قال نشوان الحميري:

يا أيها السائل عن تُبَّع — وتُبّع كالشمس بل أشهرُ
قيسُ ابن صيفيّ أبو تُبّع — وجدُّه: حِميَرُ الأصغرُ

يعني تُبّع الرائش ـ الثاني ـ باران ذو رياش بن قيس بن صيفيّ بن حمير الأصغر ـ ذي ريدان ـ بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد الجمهور بن عمرو بن قيس بن جُشم بن عبد شمس.

وفي عهد حمير بن سبأ الأصغر تم بناء القصر (ريدان) بمدينة ظفار، فهو (حمير ذو ريدان)، وقد ذكرت النقوش في عصور لاحقة سلالته باسم (بني ذي ريدان). وكانت مدة حكمه ١٩ عاماً انتهت بوفاته حوالي سنة ١٣٢٠ ق.م. في القصر ريدان بمدينة ظفار غالباً.

٦ ـ الملك صيفي بن حِمير ذي ريدان (١٣٢١ ـ ١٢٧٠ ق.م.)

هو الملك صيفي بن حِمْيَر الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر. سادس الملوك التبابعة القدماء الأوائل.

ولم تذكر المصادر التاريخية التراثية شيئاً من أخبار عهده ـ الذي دام ٥١ عاماً (من حوالي ١٣٢١ ـ ١٢٧٠ ق.م.) ـ وذلك لعدم قيامه بغزوات خارجية. ويمكن القول أن عهده شهد اهتماماً بالداخل فنشأت العديد من المدن وقامت تقسيمات إدارية وسكانية للبلاد والشعب، فقد ظهر نظام الأملاك الثمانية أو مثامنة الملوك. قال نشوان الحميري في قصيدته عن تاريخ التبابعة وعصورهم:

أين المَثامِنةُ الملوكُ ومُلكُهم — ذَلّوا لصرف الدهر بعد جِماح
ذو ثَعلَبان وذو خليلٍ ثم ذو — سَحَرٍ وذو جَدَنٍ وذو صرواح
أو ذو مَقارٍ قَبْلُ أو ذُو خَزْفَرٍ — ولقد محا ذا عُثكلانٍ ماح
تلك المثامِنة الذُرى من حِمْيرٍ — كانوا ذوي الإفساد والإصلاح

ثم قال: «هؤلاء الثمانية وأولادهم أبياتُ ثمانية، يُسمون المثامنة.. ولا يصلحُ المُلك لِمن مَلَكَ إلا بهم حتى يقيمه هؤلاء الثمانية وإن اجتمعوا على عزله

عزلوه». [ص١٥٦] وكانت تلك المرتبة تتسلسل في سلالتهم عبر العهود. . وك الثمانية من بني سبأ الأصغر، وكل واحد منهم يتزعم منطقة من اليمن. ومنهم:

ـ ذو صرواح وخولان بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن حم الأصغر بن سبأ الأصغر.

ـ ذو مقار بن مالك بن زيد بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر.

ـ ذو جدن بن الحارث بن زيد. . ابن مالك بن زيد بن حمير الأصغر ب سبأ الأصغر. وكان ذو جدن زعيم مناطق شبوه وما جاورها إلى حضرموت. قا نشوان: «ذو جدن بطن من ولد الحارث بن حضرموت بن سبأ الأصغر [ص١٨٢] وقد ذكر الهمداني في الإكليل: «تريم بن حضرموت بن سب الأصغر. . شبام بن حضرموت بن سبأ الأصغر. .» [ص٤٠٤/٢]. ويستفاد م ذلك أنهم كانوا في عهد (صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر» وإن مد شبوه وتريم وشبام وغيرها تأسست في ذلك الزمن التليد.

وقد انتهى عهد الملك صيفي بن حمير الأصغر ذي ريدان بوفاته حوال سنة ١٢٧٠ ق.م. بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد.

٧ ـ الملك قيس بن صيفي (١٢٧٠ ـ ١٢٢١ ق.م.)

هو سابع ملوك سبأ التبابعة القدماء، قيس بن صيفي بن حمير الأصغر ذ ريدان بن سبأ الأصغر. وهو والد تبع الرائش بن قيس بن صيفي. قال نشوان الحميري

قيس بن صيفي أبو تُبَّعٍ وجدّه حِمْيَر الأصغر

وقد حكم قيس بن صيفي خمسين سنة (١٢٧٠ ـ ١٢٢١ ق.م.) ولك أهميته التاريخية تتمثل في أنه والد تُبّع الرائش باران ذي رياش أعظم المل التبابعة، وقد حكم فترة مع أبيه ثم حكم بعده أربعين سنة وذلك في الفترة (١٢٢٠ ١١٨٠ ق.م.) أي في القرن الثالث عشر إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

وبالبحث في تاريخ وآثار ذلك الزمن تبين لنا أن من الشواهد الأث والتاريخية لذلك العهد ما يلي:

١ ـ عثرت بعثة أثرية أميركية برئاسة د. جيمس ساور ـ من جامعة بنسلفاني على لقى أثرية في وادي الخانق بمأرب سنة ١٩٨٣م وتم فحصها في أمي بالإشعاع الكربوني ١٤ لتحديد ومعرفة زمنها. وقد صرح د. جيمس س بالنتيجة لصحيفة نيويورك تايمز الأميركية قائلًا:

«ترجع تلك اللقى الأثرية السبئية إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

ومنها قطعة خشبية من المحتمل أن يكون عمرها أقدم قرناً أو أكثر. . إن هذه المكتشفات تؤكد أن حضارة سبأ أقدم مما يظن العلماء»[١].

وقد أشار إلى تلك المكتشفات وزمنها أيضاً د. يوسف محمد عبد اللّه قائلًا: «إن اللقى الأثرية المعثور عليها في وادي الخانق يعود تاريخها إلى ما بين سنة ١٤٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م.»[٢].

٢ ـ أسفرت تنقيبات بعثة معهد الآثار الألماني ببرلين في موقع ومنشآت سد مأرب عن نتائج هامة من بينها «كشف منشأة من منشآت سد مأرب يعود زمنها إلى سنة ٢٠٠٠ ق.م.)[٣] وأسفرت دراسة البعثة لاثنتين من المنشآت الضخمة لاستقبال وتوزيع المياه في السد عن معرفة أنها «كانت موجودة في مطلع القرن العاشر قبل الميلاد»[٤] ويتبين من ذلك أن سد مأرب العظيم الأقدم كان موجوداً في العصر الأقدم والأول لملوك سبأ التبابعة (١٤٧٠ ـ ١١٠٠ ق.م.) وهو من الشواهد الأثرية لدولة وحضارة سبأ في ذلك الزمن.

٣ ـ تم العثور على عدد من المومياءات اليمنية في (ناووس جبل الغراس) بمحافظة صنعاء، وهي موجودة حالياً في متحف جامعة صنعاء. وقد قام المختبر الفيزيائي الهولندي بهولندا بفحص عينات منها بأشعة الكربون ١٤ وأسفر الفحص عن نتائج قال مدير المختبر الفيزيائي الهولندي:

«إنها نتائج مثيرة تدعو إلى الدهشة وتبوح بمعلومات كثيرة»[٥].

وقد حدد المختبر الفيزيائي الهولندي زمن المومياءات كما يلي:

«زمن المومياء الأقدم	٣٠٢٠ق.م.ـ٢٧٩٥ق.م.
زمن المومياء التالية	١٢٦٥ق.م.ـ٩٣٠ق.م.
زمن المومياء الأخيرة	٩٦٠ق.م.ـ٩٣٠ق.م.»[٥]

ويتبين من ذلك:

أ ـ أن التحنيط كان معروفاً في اليمن كما في مصر الفرعونية منذ الألف الثالث قبل الميلاد وفي الألف الثاني قبل الميلاد.

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز ـ العدد ٢/٤/ ١٩٨٦م ـ مقال وتحقيق بعنوان «هل كانت ملكة سب حقيقة في التاريخ، دليل جديد يؤكد ذلك» ـ كولن كامبل.
(٢) مجلة اليمن الجديد ـ العدد ١ ـ السنة ١٤ ـ ١٩٨٥م.
(٣) مكتشفات أثرية جديدة للبعثة الألمانية ـ مجلة الوطن ـ العدد ٥/ السنة ١١/ يونيو ١٩٨٨م.
(٤) تقرير بعثة معهد الآثار الألماني ٨٣/ ٨٤م.
(٥) تقرير جامعة أوتراخت Utrcht الهولندية ـ مجلة الاتحاد ـ أبو ظبي ـ عدد ٢٣/ ١١/ ١٩٨٨م.

ب ـ أن المومياء الثانية يعود زمنها إلى عهد الملك قيس بن صيفي (١٢٧٠ ـ ١٢٢١ ق.م.) ثم عهد الرائش باران ذي رياش وخلفائه في الحقبة الممتدة إلى القرن العاشر ق.م.

٤ ـ عثر د. أحمد فخري في رحلته الأثرية إلى اليمن سنة ١٩٤٨م على قطع أثرية يمنية مكتوبة بالهيروغليفية من بينها قطعة أثرية قال أنها تذكر (أمنحوتب الثالث ملك مصر سنة ١٤٠٥ ـ ١٣٦٧ ق.م.) وتدل على العلاقة الوثيقة بين مصر واليمن في ذلك العصر. ومن بينها «قطعة أثرية على أحد وجهيها رسم للصقر يعلوه قرص الشمس وعلى الوجه الآخر رسم ملك وعبارة (أمنفيس سيد عروش الأرضين)»[١] أو (ملك ملوك الأرض) وهو لقب «باران ذو رياش» وتعود القطعة الأثرية إلى عهده (١٢٢٠ ـ ١١٨٠ ق.م.).

٥ ـ تم العثور في مصر على نقوش فرعونية تذكر جلب البخور المقدس من اليمن ـ تانترايس ـ في عهد الملك (رعمسيس الثاني ملك مصر ١٢٩٠ ـ ١٢٢٤ ق.م.)[١] ويتبين من تاريخ تلك الفترة ما يلي:

ـ كان ملك اليمن: قيس بن صيفي ملك سبأ (١٢٧٠ ـ ١٢٢١ ق.م.) والد الرايش باران ذي رياش، وقد ذكر الهمداني في الإكليل أن الرائش «كان في عصر موسى عليه السلام»[٢]. وقد كان موسى في عهد رعمسيس الثاني ملك مصر (١٢٩٠ ـ ١٢٢٤ ق.م.) وهو فرعون المذكور في القرآن وفي الكتاب المقدس، وتدل آثاره على أنه ادعى الألوهية حيث «أنشأ رعمسيس الثاني مدينة في هربيط أدخل فيها عبادة شخصه وهو حيّ»[٣].

وقد قام الملك رعمسيس بتدوين نص اتفاقية بينه وبين ملك الحثيين تم عقدها «في السنة ٢١ من حكم رعمسيس الثاني» وهي اتفاقية تذكر «الصداقة والتعاون بين الملكين والدولتين» ويقول د. أبو المحسن عصفور: «وأغرب ما تضمنته الاتفاقية نقل شعب مجهول إلى مصر»[٣].

ونرى أن ذلك الشعب المجهول الذي جلبه رعمسيس من بلاد الحثيين وأرمينية إلى مصر هم الذين استعبدهم رعمسيس في مصر وهم بنو إسرائيل.

---

(١) العلاقات المصرية اليمنية القديمة ـ د. أبو العيون بركات ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١ ـ السنة الخامسة ـ ١٩٨٧م.

(٢) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص٢١٩ جـ٨.

(٣) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ د. أبو المحسن عصفور ـ ص١٩١ و ٣١٧.

لقد قام رعمسيس بنحت الاتفاقية في معبد الكرنك ومعبد ألرامسيوم وتذكر الاتفاقية «نقل شعب مجهول إلى مصر» وقد وصفتهم الاتفاقية بأنهم (خدم البوابات) وجاء فيها أنه: «إذا حارب أو تمرد خدم البوابات على رعمسيس وقام ليضربهم فإن حاتوسيل ملك الحثيين يسانده ـ ويؤيده ـ في ذلك. وإذا هرب واحد منهم أو أكثر يأخذهم ملك الحثيين ويعيدهم لرعمسيس ملك مصر»[١]. ويدل ذلك على ضخامة عددهم.

وقد استعبد رعمسيس ذلك الشعب المجهول الذي جلبه من أرمينية وبلاد الحثيين. وربما استعبد معهم أيضاً عشيرة بني يعقوب الذين كانوا في مصر وكانوا عشيرة صغيرة، فالغالبية العظمى الذين استعبدهم رعمسيس كانوا ذلك الشعب المجلوب من أرمينية وبلاد الحثيين وكانوا مئات الآلاف. وشمل اسمهم ـ فيما بعد ـ (بني يعقوب). وقد جاء في التوراة: «إن فرعون استعبد بني إسرائيل بمرارة وسَخَّرهم في بناء مدينة رعمسيس ومخازن فيثوم» وأنه (قال للمصريين: هو ذا شعب إسرائيل أكثر منّا، هلمَّ نحتال عليهم لئلا ينموا». فقام بقتل من يولد من أبنائهم وشمل ذلك بني يعقوب الذين كانوا عشيرة صغيرة في مصر، ثم كان من أمر موسى والفرعون ـ رعمسيس ـ ما هو مذكور في القرآن الكريم والتوراة.

وفي أواخر عهد رعمسيس خرج ذلك الشعب وبنو يعقوب مع النبي موسى من مصر السفلى. وجاء في سفر الخروج بالتوراة أنهم: «..كانوا ستمائة ألف رجل عدا الأولاد ولفيف من الناس» وأنهم «خرجوا وساروا من مدينة رعمسيس إلى سوف»[٢] ـ أي إلى أعالي مصر ـ وهلك فرعون (رعمسيس) حين لحق بهم ـ كما هو مذكور في القرآن ـ وجاء في كتاب الأمم السامية أنهم «خرجوا من مصر حوالي عام ١٢٣٠ ق.م. في عهد رعمسيس الثاني» بينما «يرجح بعض الدارسين أنهم خرجوا في عهد مرنبتاح بن رعمسيس الثاني، حيث يرجحون أنهم أخذوا يتذمرون في أواخر عهد رعمسيس الثاني وهو فرعون الكتاب المقدس، ولم ينجحوا في الخروج من مصر إلا في عهد مرنبتاح بن رعمسيس الذي سجل على لوحة نقوشية ورد فيها اسم إسرائيل لأول مرة في التاريخ خبر إخماده لتمردهم في السنة الثالثة من حكمه»[٣].

والصواب أنهم خرجوا من مدينة رعمسيس ومصر السفلى إلى سوف ـ بمصر العليا ـ في آخر عهد رعمسيس لأنه هلك حين لحق بهم كما هو مذكور

---

(١) مصر والشرق الأدنى القديم ـ د. نجيب ميخائيل ـ ص٢٧٢ جـ٢.

(٢) التوراة ـ سِفر الخروج.

(٣) الأمم السامية ـ حامد عبد القادر ـ ومعالم الشرق الأدنى القديم ـ د. عصفور ـ ص٣١٧.

في القرآن. (وذلك سنة ١٢٢٤ ق.م.) فيكون خروجهم في عهد مرنبتاح هو من مصر العليا إلى سيناء، وأن مرنبتاح بن رعمسيس قاد حملة طاردهم فيها بمصر العليا في السنة الثالثة من حكمه (سنة ١٢٢١ ق.م.) فخرجوا إلى برية سيناء. وقد ذكرهم مرنبتاح في نقشه باسم إسرائيل (شعب يسره إل) وهو أول ذكر لهم في التاريخ، ويؤكد ذلك عدم وجودهم من قبل في تاريخ المنطقة.

وقد ذكرت التوراة أنهم لما مكثوا في برية سيناء «فزعوا جداً وقالوا لموسى: هل لأنه ليست قبوراً في مصر أخذتنا لنموت في البرية.. أليس هذا الكلام هو الذي كلمناك به في مصر قائلين: كفّ عنّا، فنخدم المصريين لأنه خيرٌ لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية»[١]. فتلك الصفة (خدم المصريين) هي عين ما نصت عليه اتفاقية رعمسيس وحاتوسيل ملك الحثيين عن ذلك الشعب الذي جلبه رعمسيس من بلاد الحثيين إلى مصر فخدموه واستعبدهم ثم خرجوا من مصر مع النبي موسى وعشيرة بني يعقوب الصغيرة إلى برية سيناء في السنة الثالثة من حكم مرنبتاح بن رعمسيس، ثم قذفت بهم الأقدار فيما بعد إلى أرض فلسطين الكنعانية وانتحلوا نسب وتراث وتاريخ المنطقة.

٦ ـ إن هلاك الفرعون رعمسيس الثاني عند خروج موسى بالقوم من مدينة رعمسيس ومصر السفلى سنة ١٢٢٤ ق.م. كان في أواخر عهد الملك قيس بن صيفي والد الرائش باران ذي رياش وكان الرائش يشترك مع أبيه في الحكم. وربما كان لهلاك وسقوط الفرعون رعمسيس أصداء كبيرة امتدت إلى اليمن وجزيرتها العربية لأن دولة مصر الفرعونية كانت دولة كبرى يمتد حكمها ونفوذها إلى الشام في عهد رعمسيس وكانت تتصدى لامبراطورية الحثيين، فهلاك رعمسيس وما تلا ذلك من ضعف دولته أدى إلى نوع من الفراغ وإلى نوع من المخاطر على دولة اليمن والجزيرة العربية ـ سبأ ـ ومصالحها التجارية.

٧ ـ في أواخر عهد الملك قيس بن صيفي بدأ ابنه الملك الرائش بتكوين جيش عظيم واتخاذ السلاح والخيول والسفن للقيام بغزوات خارجية كبرى لتكوين عالم تجاري كبير بزعامة سبأ وتغيير الواقع السياسي والسكاني في العالم القديم بما في ذلك القضاء على امبراطورية الحثيين، وما لبث أن مات الملك قيس بن صيفي ـ سابع التبابعة ـ في آخر سنة ١٢٢١هـ وبدأ بتمليك الرائش عصر عظيم في التاريخ.

---
(١) التوراة ـ سِفر الخروج.

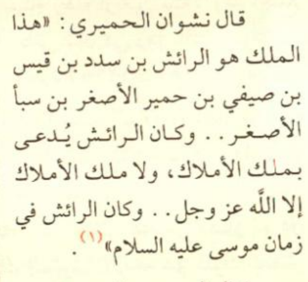
المبحث الثالث

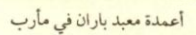
ملوك العصر الأول لدولة وملوك سبأ التبابعة

(١ ـ ١٢٠ للتقويم السبئي/ ١٢٢٠ ـ ١١٠٠ ق.م.)

١ ـ تُبّع الرائش باران ذو رياش ملك سبأ ملك ملوك الأرض

(١ ـ ٤٠ للتقويم السبئي/ ١٢٢٠ ـ ١١٨٠ ق.م.)




أعمدة معبد باران في مأرب

في العام ١٢٢٠ ق.م. تسنم عرش التبابعة أعظم ملوك التاريخ التليد، الملك الرائش باران ذو رياش بن قيس بن صيفي بن حِمْير ذي ريدان بن سبأ الأصغر.

قال نشوان الحميري: «هذا الملك هو الرائش بن سدد بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر.. وكان الرائش يُدعى بملك الأملاك، ولا ملك الأملاك إلا اللّه عز وجل.. وكان الرائش في زمان موسى عليه السلام»[١].

قال الحسن الهمداني: «.. وإنما سُمّي الرائش لأنه راش الناس بالعطاء. وقد يُقال ـ اسمه ـ ذو رياش، ومن يقول ذلك يُنشد بيت امرىء القيس:

أزال من المصانع ذا رياشٍ   وقد مَلَكَ الحزونة والرمالا»[٢]

ويدل ذلك على أن لقب الرائش المتواتر إلى زمن امرىء القيس بالجاهلية كان «ذو رياش».

---
(١) السيرة الجامعة ـ شرح قصيدة نشوان ـ ص٦٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص٥٢ جـ٢.